

# أدب وفن

مجلة الثقافة / الوطنية الديمقراطية

مارس ٢٠٠٨ - العدد ٢٧١

عدد خاص



رجاء النقاش :

صائد اللؤلؤ



---

## أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الرابعة والعشرون

العدد ٢٧٢ مارس ٢٠٠٨



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: حلمي سالم

مدير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير: د. صلاح السروي/

طلعت الشايب/ د. على مبروك/

غادة نبيل/ ماجد يوسف/

د. شيرين أبو النجا/ فريد أبو سعدة

---

---

## أدب ونقد

مستشار التحرير: فريدة النقاش

المشرف الفني: أحمد السجيني

إخراج فنى: عزة عز الدين

مراجعة لغوية: أبو السعود على

الرسوم الداخلية للفنان: محمود الهندي

لوحة الغلاف الأمامى للفنانة: نرمين بهاء

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٧٥ جنيها

البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكتروني:

Editor @ al - ahaly. com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب

القاهرة/ هاتف ٢٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٢٥٧٨٤٨٦٧

---

## المحتويات

- مفتتح: الميستر..... حلمى سالم ٥
- إلى اللقاء/ شعر/ ..... أحمد عبد المعطى حجازى ١٠
- أحن الذى لم تلد أمى ..... محمود درويش ١٣
- كنا نتجالس وفتأنس ..... جورج جرادي ١٥
- بيت ثقافة باسمه ..... د. محمد حافظ دياب ١٦
- الدور والفضل ..... د. عبد العزيز المقالح ١٧
- التمصير والتعريب ..... د. أبو بكر السقاف ١٩
- الراعى والحادى ..... مكرم محمد أحمد ٢٠
- إشارات ذات مغزى ..... رجاء النقاش ٢٢
- نستحق أكثر من العقاب ..... د. رفعت السعيد ٢٥
- شهادة لا تمثل مربية ..... د. صلاح فضل ٢٧
- الأب الثانى ..... أمينة النقاش ٣٠
- الباسق كنخيل القرية ..... محمد سلماوى ٣٤
- وداعاً أيها الخالم، يا شبيهى ..... د. جابر عصفور ٣٧
- المحب الغاضب ..... فريدة النقاش ٤٤
- حوان معه لم ينشر ..... د. محمد حسين أبو العلا ٤٨
- الموت مر ..... أحمد عبد المعطى حجازى ٥٤
- الوردة / شعر/ ..... ماجد يوسف ٥٨
- عليك سلام الله والوطن ..... صلاح عيسى ٦١
- ضمير جيل ..... فاروق شوشة ٦٨
- الديوان الصغير:
- مقدمة ديوان مدينة بلا قلب ..... رجاء النقاش ٧١
- الكاتب الضمير ..... عيد عبد الحليم ١١٧
- معارك العروبي ..... شعبان يوسف ١٢٠
- قدر النبلاء ..... فاروق جويده ١٢٧
- معه .. فى رحلة حب جديدة ..... حسن توفيق ١٣١
- الموت يخطف الشرفاء ..... سلامة أحمد سلامة ١٣٥
- تهريب الحوريات من الجنة / شعر/ ..... عبد المنعم رمضان ١٣٧
- أن يترك فيك قطعة من روحه ..... طلعت الشايب ١٤٠
- صياد اللؤلؤ ..... سناء البيسى ١٤١
- فارس الأدب الجميل ..... فرانسو باسيلى ١٥١
- رجاء فى المساء الأخير / شعر/ ..... حسن طلب ١٥٤
- سهيل إدريس ودور الثوار المؤثرين ..... رجاء النقاش ١٥٦
- الصديق الأثير ..... د. شروت عكاشة ١٦٠



# مفتتح

## المبشر

### حلمى سالم

رجاء النقاش هو الشخص الثانى فى الأسطورة . الشخص الذى يلمس الأشياء فتتحول إلى جواهر ودرّ وماس وذهب وحجر كريم . حدث ذلك التحول الأسطوريّ فى كل منبر ثقافى أو صحفى قادة رجاء النقاش . وحدث ذلك - كذلك - مع كل أديب أو شاعر أو فنان قدّمه رجاء النقاش إلى الحياة المصرية والعربية .

لم تكن ندرى (والحياة الثقافية المصرية والعربية تحتفل بمسيرة ومسار وفضل الرجل) أن هذه الاحتفالية هى أشنية البجعة الأخيرة . إذ رحل الرجل بعد أقل من أسبوعين من هذه الاحتفالية (التي كانت استفتاء عمومياً على محبة المحبوب) .

قد ترحل البجعات ، لكن الأغاني لا تموت .

كيف يمكن للمرء أن يحيط برجاء النقاش - أو ببعض بعضه - فى سطور أو صفحات قليلة ؟

xxx

كيف يستطيع المرء أن يبين فضله - وهو متنوع متشعب - على الحياة المصرية والعربية المعاصرة ، أفراداً وجماعات ومؤسسات وحياة ثقافية بكاملها ؟

هذا سعى مستحيل ، وإنّ ليس على مثل هذا المرء سوى أن يتجه

قلتُ في  
مستهل تقديم  
احتفالية  
حزب التجمع  
ونقابة  
الصحفيين -  
بل احتفالية  
الثقافة  
المصرية كلها -  
برجاء  
النقاش :  
«إن هناك  
شخصين في  
الأسطورة  
اليونانية :  
شخصاً كلما  
لمس شيئاً صار  
حجراً أو  
حديداً ،  
وشخصاً كلما  
لمس شيئاً أو  
تراياً صار تبرا .

أدب ونقد

وجهة أخرى، هي أن يلمح للإحاحات موجزة عابرة سريعة، إلى بعض مآثر حضور النقاش في الدنيا المصرية والعربية، الراهنة.

يمكن أن نشير إلى دعمه المبكر لتجربة شعراء الحداثة المصرية من جيل السبعينيات. وقد ذكرت من قبل - في غير موضع - تعضيدته المعنوي والمادي لنا أثناء نشوء جماعتنا ومجلتنا الشعرية «إضاءة ٧٧»، ولا سيما في أعدادها الأولى، وعطفه على شعرائها، حيث تجلى ذلك في كتابته تقديم ديوان حسن طلب الأول، وشم على نهدي فتاة، ١٩٧٣، وكتابته مقالاً ضافياً عن العدد الأول من مجلة «إضاءة ٧٧»، بعنوان، ماذا تريدون أيها الشعراء؟، في المصور (١٩٧٧) ومازلت أذكر إعجابه الشديد - في ذلك المقال - بشعر على قنديل (الشهاب الشاب الذي كان قد رحل قبل صدور المجلة، التي حلم بها معنا، قبل عامين).

ثم قدم بعد ذلك ملفاً شعرياً في «الهلل»، عن عشرة شعراء جدد كان معظمهم من جيل السبعينيات، وعندما أنشأ مجلة «الدوحة»، أوائل الثمانينيات تابع نشر الشعر الجديد فيها، لاسيما قصائد حسن طلب البنفسجية الجريئة، وخاصة قصيدته الغرائبية، بنفسجة للجحيم، التي كتبها على هيئة مثلثات هندسية متناظرة.

ويمكن أن نشير إلى النموذج الباهر الاستثنائي الذي قدمه رجاء النقاش مع أحمد عبد المعطي حجازي في ديوان «مدينة بلا قلب». ولكي نعرف مدى فريدة هذه التجربة الفريدة نوضح أن ديوان «مدينة بلا قلب»، لحجازي صدر عام ١٩٥٩، وهذا معناه أن حجازي كان في الرابعة والعشرين (فهو مواليد ١٩٣٥) وأن رجاء النقاش كان في الخامسة والعشرين (فهو مواليد ١٩٣٤) حينما كتب مقدمته الضافية اللامعة المقترحة لهذا الديوان المقترح، فانظر إلى هذه الأمثلة السامقة: شابان في الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين؛ أحدهما يقدم عملاً شعرياً فاتحاً شجاعاً، وثانيهما يقدم عملاً نقدياً مواكباً فاتحاً شجاعاً.

وحسب مقدار الشجاعات والاجتراعات الفنية والفكرية، ومقدار التففتح الوجداني والرويووي والإنساني الذي يمكن أن تنطوي عليه هذه الأمثلة الرائدة.

وإذا تذكرنا أن هذه التجربة الجديدة قد ظهرت في واقع ثقافي كان مايزال يذخر بأساطين التقليد من أمثال عزيز أباظة وعباس العقاد وزكي نجيب محمود، ومازال يطرب مع الفناء الرومانتيكي المذهب من على محمود طه وإبراهيم ناجي وأبي شادي وصالح جودت وغيرهم من عتاة الرومانتيكية الكلاسيكية الهائلة،

أدب وقد أدركنا حجم المخاطرة الخطرة في فعل هذين الشابين.



صحيح أن هذه اللغة التقليدية كانت قد اختزلتها بعض الشذرات الجامحة الطامحة مثل شعر عبد الرحمن الشراوى وشعر لويس عوض ثم وشعر صلاح عبد الصبور في ديوانه الأول ،الناس في بلادى (١٩٥٧)، لكن مجمل الأوضاع الثقافية الشعرية كان يشير إلى هيمنة الكلاسيكية والكلاسيكيين، وهو ما يعنى أن إنجاز هذين الشابين لهذه التجربة المكتملة (الديوان ومقدمته) كان بحق وحادثة، من كبار الحوادث على ضفاف النيل فى الثقافة المصرية الحديثة (إذا استعرنا تعبير شوقي).

هذا المعنى هو ما عبر عنه حجازى نفسه حين قال (إن الديوان ومقدمته كانا مشروعاً مشتركاً بين الشاعر والناقد - مشروع صعد بهما معاً إلى ذروة النضج وصدارة المشهد الشعرى والنقدى).

وعندى أن مقدمة رجاء النقاش لديوان حجازى تظل - إذا قيست إلى زمنها ولحظتها التاريخية والثقافية منذ نحو خمسين عاماً - وثيقة نقدية باقية ودرساً لا ينضب فى محبة الشعر والجمال والروح المتوثبة، حتى لو اختلفت - بمقياس اللحظة الراهنة - مع ميلها الواضح إلى شرح المضامين الفكرية والإنسانية فى القصائد أكثر من ميلها إلى استبصار الطرائق الفنية المغايرة والأساليب الجمالية الجديدة.

والمؤكد أن هذه المقدمة التاريخية لديوان حجازى قد مثلت سنداً كبيراً مبركاً لحركة الشعر الحر فى مصر، ساعدته على الانتصار فى معركته ضد التقليد والسكون، حتى صار شكل الشعر الحر هو الشكل السائد فى العقود الثلاثة التالية، إلى أن بدأت تزاحمه مؤخراً قصيدة النثر.

ولم يقتصر إسناد رجاء النقاش لحركة الشعر الحر على مصر وحدها، بل امتد إلى مجمل حركة الشعر الحر العربية، وهو ما تجلّى فى مبادرته الكبيرة بتعريف القارئ المصرى على شعر محمود درويش وشعر المقاومة الفلسطينية بعامة، حينما نشر فى «الهلال» - أواخر الستينيات - ديواناً كاملاً لدرويش هو «آخر الليل». كما تجلّى فى كتابه «الفتاح ومحمود درويش: شاعر الأرض المحتلة».

واستمر تعضيد النقاش للشعر، لاسيما الجديد منه، طوال مشواره الثقافى النقدى الخصيب، حتى وصل إلى ذروة من ذراه فى سفره الضخم «ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، منتصف الثمانينيات».

ويمكن أن نشير إلى إنجازاه الصحفى المتواصل، فهذا الرجل هو صانع صحافة مضيئة بامتياز. ما من منبر صحفى تولاه رجاء إلا وقفز من الظلمات إلى

أدب وفد  
النور فى وثبة واحدة.

ثمة مدرسة في الصحافة المصرية يصح أن نطلق عليها وصف «مدرسة الأحياء»، من رواد هذه المدرسة محمد التابعى وأحمد بهاء الدين وصلاح حافظ وكامل زهيرى. رجاء النقاش واحد من أبناء هذه المدرسة المباركة التى يتولى أحدها متبراً، صحيفة أو مجلة، بلا يلبث هذا المنبر أن يزدهر ويتفوق ويلمع . صنع النقاش ذلك مع المصور والهلل والإذاعة والتلفزيون والكواكب.

ووصل هذا الصنيع إلى قمة توهجه مع مجلة «الدوحة» التى أنشأها فى قطر فى الثمانينيات. هذه المجلة التى صارت - فور صدورها - قبلة المثقفين العرب، وغدت إحدى مواقع تشكيل الوجدان الثقافى والوعى المعرفى للنخبة العربية والقراء العرب على السواء.

صارت مجلة «الدوحة» نموذجاً من نموذجين اثنين يضرب بهما المثقفون المثل على «دور المنبر الإعلامى فى صنع دولة، وليس العكس». النموذج الأول كان فى الثمانينيات حينما صارت مجلة «الدوحة» علامة على دولة قطر، والنموذج الثانى نشأ فى بداية القرن الحادى والعشرين، ولا يزال، حينما صارت «قناة الجزيرة» علامة على دولة قطر! ما هى الأسس التى عليها يقوم إنهاض النقاش، وسائر مدرسته المباركة، المنبر الذى يتولاه فيقفز به من الظلمات إلى النور؟

عندى أن رجاء النقاش يبنى نهضته بالمنبر الذى يتولاه على مبادئ أربعة: الأول، هو الديمقراطية، واحترام كل رأى جاد، والاعتماد بوجهة النظر المقابلة، واحتضان كل التيارات الفكرية الجادة، حتى ليغدو المنبر الذى يديره أشبه بالجبهة الوطنية الديمقراطية المفتوحة.

الثانى، هو الذهاب إلى القيمة، الحية، النابضة، لا الجامعة الميتة، فى الفن والفكر والاجتماع والسلوك والرأى، وفى كل ما ينطوى على معنى حقيقى دافع لليقظة والتجدد والتقدم.

الثالث، هو الإتقان والجودة فى الأداء، والابتعاد عن الفهولة والركاكة واستغفال القارئ.

الرابع، هو المحبة: محبة العمل ومحبة الجمال ومحبة الوطن ومحبة الآخر ومحبة كل صاحب محبة كبرى، سواء فى السياسة أو فى الفلسفة أو فى الحقل الاجتماعى أو فى أصغر العواطف.

بهذه المبادئ الأربعة الأساسية، وما يتفرع عنها من قيم ومعان عديدة،

أدب - وقد قاد رجاء النقاش معجزته الصحفية المتكررة: إخراج المنبر الصحفى



ويمكن أن نشير إلى دوره كناقد مسرحى بأرزل له، مقعد أمام الستار، ساهم فى النهضة المسرحية الجادة طوال الستينيات أيام كان هناك مقعد وأيام كان هناك ستار وأيام كان هناك مسرح. سقا الله الأيام الخوالي.

ويمكن أن نشير إلى نقده الروائى، لاضيمها روايات الأرض المحتلة، ومغامرته فى تقديم رواية الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، وأضاءة عالم نجيب محفوظ وبخاصة فى كتابه الحوارى الكبير مع أديب نوبل. وأن نشير إلى جهده التنويرى والتثقيفى العمومى، بوصفه واحداً من كبار المبشرين فى ثقافتنا المعاصرة، وأن نشير إلى إسهامه الملحوظ فى التاريخ الثقافى والفكرى لمصر المعاصرة والحديثة.



الصفحات القادمة تحية بسيطة إلى ذلك الفتى الذى يكلم المساء (حسب وصف قصيدة حجازى عنه). تحية لا ترقى إلى قامته العالية، ولا تتناول معناه الجليل. لكنها محض سلام سلاح، - كما يفعل الجنود للقادة العسكريين المخضرفين - تمبيراً عن التلمذة والامتنان والعرفان الجميل.

تتصدر هذه الصفحات الكلمات التى قيلت فى تكريم الرجل بنقابة الصحفيين والرسائل التى بعث بها بعض الكتاب العرب إلى الاحتفالية، تركناها كما هى بما تحفل به من تمنيات للرجل بالصحة وطول العمر والمقاومة.

ولم يكن قائلوها يعلمون أن القدر لن يستجيب لأمنياتهم إلا أياماً، وأن مقاومة مصائد اللؤلؤ كانت قد وهنت بعد عامين من الصراع مع المرض الخبيث، وبعد أربعة وسبعين عاماً من الصراع مع الحياة المصرية والعربية الطاحنة.

وتلت هذه التحايا الاحتفالية الكلمات والمقالات التى كتبها محبوب الفتى الجميل بعد طيرانه إلى السحب البيضاء (وقد اقتطفنا بعضها من مصادر مختلفة).

أما المحبة التى غمرت كل الكلمات - قبل الطيران وبعد - فكانت الشروة التى حصلها الرجل الذى كان، كإخنا تون، العائش فى الحق.

يا رجاء النقاش،

عليك سلام الله والوطن (كما قال صلاح عيسى).

عليك المودة والورد والشعر،

يا أخانا الذى فى السماء.

أدب و نقد

---

شـ

## إلى اللقاء

(إلى رجاء النقاش)

أحمد عبد المعطى حجازى

(١)

يا أصدقاء!  
لشد ما أخشى نهاية الطريق  
وهد ما أخشى تحية المساء  
إلى اللقاء!  
اليمه إلى اللقاء، واصبحوا بخيرا،  
وكل ألفاظ الوداع مرة  
والموت مر  
وكل شيء يسرق الإنسان من إنسان!

(٢)

شوارع المدينة الكبيرة  
قيعان نار  
تجترق في الظهيره  
ما شريته في الضحى من اللهب  
يا ويله من لم يصادف غير شمسها  
غير البناء والسياح، والبناء، والسياح  
غير المريمات، والمثلثاته، والزجاج

أدب وفد

يا ويله من ليله فضاء  
ويوم عطلته  
خال من اللقاء  
يا ويله من لم يحب  
كل الزمان حول قلبه شتاء!

(٣)

يا اصدقاء!  
يا ايها الأحياء تحت حائط أصم  
يا جنوده في الليل لم تنم  
لشد ما أخشى نهاية الطريق  
أود ألا ينتهى  
ولا يضيق  
ويغرش الرؤى المخضلة السعيدة  
أمامنا .. في لا نهاية مديده  
كأفق قرية في لحظة الضروق  
والأفق رجب في القرى حنون  
وناعم وقرمزى يحضن البيوت  
وتسبح الأشجار فيه كالهوادج المسافره  
يا ليتنا هناك!  
نسير تحت صمته العميق  
ونوره المضرب الرقيق  
جزيرة من الحياه  
ينساب دفاً زرعها على المياه  
ولا تملئ سيرها .. يا اصدقاء!

(٤)

الليل في المدينة الكبيرة  
عيد قصير  
النور والأنغام والشباب  
أدب ووقت

عيد قصير  
والسرعة الحمقاء، والشراب  
عيد قصير  
شيفاً فشيئاً.. يسكت النغم  
ويهدأ الرقص وتتعب القدم  
وتكنس الرياح كل مائدة  
فتسقط الزهور  
وترفع الأحزان في أعماقنا رؤسها الصغيرة  
وتنثنى إلى الطريق  
صفان من مسارج مضطربة  
كأنها عمدان قرية مخزيه  
تنام تحتها الظلال  
وقد تمر مركبه  
ترمي علينا بمض عطرها السجين  
وسامة الميذان من بعيد  
دقاتها ترش المساء  
وتلتوى أمامنا مفارق ثلاثة  
تمتد في بطن الظلام والمسكون  
وتهمسون:  
«إلى اللقاء»

الليل وحده يهون  
وداعه يهون فالنهار ذو عيون  
تجمع العقد الذي انفرط  
لكن درينا طويل  
وربما جزناه أهراً وأهراً معاً  
لكننا يوماً سنرفع الشراع  
كل إلى سبيل  
فطهروا بالحب ساعة الوداع!

أبريل ١٩٥٦

أدب وفن

## أخي الذي لم تلده أمي

محمود درويش

منذ جئت إلى مصر، باحثاً عن الحق، وجدت في كنفك حرارة البيت  
وحنان العائلة. أخذت بيدي، وأدخلتني في قلب القاهرة الإنساني  
والثقافي، فعلمتني كيف ألتف وكيف أختلف وكيف أكون أنا، وسواي  
في آن واحد.

وكنت من قبل قد ساعدت جناحي على الطيران التدريجي، فعرفت  
قراءك على وعلى زملائي القابعين خلف الأسوار.

لم يكن التعبير عن الامتنان وحده هو واجبنا الأخلاقي تجاهك، بل  
الاعتراف العلني بأنك عمقت إحساسنا بأننا لم نعد معزولين عن  
محيطنا المرير إلى هذا الحد وساعدتنا على الإيمان بقدرة الشعر  
الخارج من القلب على الدخول في القلوب وعدم الخروج منها.

أي: أقنعتنا بأننا ذوو جدوى في زمن كاد أن يقتل المعنى. وكاد أن يقيم  
حنناً فاصلاً بين جمالية الشعر وفاعليته.

منعني الحياء من أن أشكرك بما يليق بك.. للأن يكون الشكر تعبيراً  
عن رضا مبطّن عن النفس. لكنني اجتهدت كثيراً لكي لا أسبب لرضائك  
عنى خيبة الأمل والخذلان. نعم، كان لك دور في تطوير وعي المسئولية،  
وفي تعميق العلاقة بين حرية الشعر وشعر الحرية.

نحن مدينون لك، لأنك لم تكف عن التبشير النبيل بالمواهب الشابة،  
وعن تحديث الحساسية الشعرية والدفاع عن الجديد الإبداعي في

عزيزي رجاء  
الناقش  
كنت وما زلت  
أخي الذي لم  
تلده أمي..

أدب وفد



مناخ كان ممانعاً للحداثة الشعرية. ومدينون لك لأنك ابن مصر البار وابن الثقافة العربية الذي لم تدفعه موجات النزعات الإقليمية الراجحة إلى الاعتذار عن صرويته الثقافية.

عزيزي رجاء!

كم يؤسفني ألا أتمكن من حضور حفل تكريمك هذا الذي تأخر بعض الوقت. لكن قلبي معك أيها الكريم المكرّم!

لقد كرمت أجيالاً من الكتاب الشباب بصداقة النقد والإبداع، وبعنايتك المشابة لتطورات الأدب العربي الجديد في كل مكان؛ في المراكز وفي الهوامش. أنت الذي تكرمنا؛ تكرم أصدقاءك ومحبيك وقراءك الأوفياء لك..

ولإنتاجك الغزير المتعدد..

أتمنى لك العافية والمزيد من القدرة على اختراع الأمل لنا.. ولك.

ولك كل المحبة

أدب وفد



## كنا نتجالس ونتأنس

---

جورج جرداق

---

الأخ العزيز الأستاذ رجم حفظه الله

تحياتي وأشواقي وبعد

ما كان أجمل الأيام التي كانت الأحوال العامة فيها تسمح للأصحاب والأحباب أن يتلاقوا ويسعد بعضهم برؤية بعض، وما كان أبغ فرحنا هنا بلبنان، عندما كنا نستقبل إخواننا وأهلنا المصريين في كل صيف فنتجالس ونتأنس وتعاظم أسباب المودة والإخاء.

منذ ثلاثة أسابيع كنا، منصور الرحباني وأنا، نستعيد ذكريات الأيام السالفة التي كانت تجمعنا بصورة مستمرة بإخواننا المصريين، حيث لم تكن نتصور أن الأحوال العامة في هذا الشرق العربي السعيد جداً... ستضطر الناس إلى الابتعاد عن إخوانهم، وحتى إلى الشموخ بالفرية عن أوطانهم. وكان أخونا الحبيب رجم النقاش في رأس قائمة الأحياء الذين طلبنا أسمائنا لقاءهم، وكان اسمه في طليعة الأسماء التي اشتقنا إلى أصحابها.

ومن الصدف الطيبة أن التقى بعد أيام بالأخ الطيب السيد أيمن الحكيم الذي علمت أنه صحافي فسألته عنكم، فأخبرني في كثير من الامتزاج والمودة وصرهان الجميل بأنه تلميذكم ومريدكم، وحدثنني طويلاً عنكم.

أرجو أن تكون في حالة صحية جيدة، وأمل أن تأذن لنا ظروفنا وأحوالنا أن نلتقى قريباً وعليكم السلام ■

بيروت ٢٠٠٧/٩/٢٤

أدب وفد

## رسالة

### بيت ثقافة باسمه

د. محمد حافظ دياب

أعرف أن كثيرين غيري يمكنهم أن يتحدثوا عن جوانب عديدة في فكر رجاء النقدي، لكنني أباهيهم بصلتي بالكاتب الكبير، وبخاصة في مرحلة التلقين الأولى بحارة سيدى عز الدين بقريتنا منية سنمود، تلك الحارة الفاتنة التي قدمت لوطنها أعلاما منهم - بجانب رجاء - د. محمد عبد المقصود النادى رائد علوم وبحوث الطاقة النووية، والفنان التشكيلى الدكتور مأمون الشيخ، والدكتور سيف الدين عاشور أستاذ الصيدلة وغيرهم.

كنت أريد أن أتحدث عن حتى حارة سيدى عز الدين تاركا لغيرى الحديث من الفتى الذى يكلم النساء، ومن الكاتب الكبير الذى أضاء الحياة النقدية بإسهاماته فى تقديم درس نقدي يمتلك رصيده القيمي والإنسانى.

وأظن أن الوقت قد حان للتفكير فى إنشاء بيت ثقافة رجاء النقاش بقريته، كدار يقصدها الباحثون من محبيه وعارفى فضله، ويسعدنى أن أساهم فى مكتبة البيت بعشرة آلاف عنوان.

تحية للناقد الكبير ودعاء موصولاً له

بالصحة والعافية

أيها  
الأصدقاء،  
تحول وعكة،  
حادثة على ما  
يبدو، دون  
مشاركتي فى  
الاحتفالية  
المقامة على  
شرف الكاتب  
الكبير الأستاذ  
رجاء النقاش.

أدب - وقد

## رسالة

### الدور والفصل

#### د. عبد العزيز المقالح - (اليمن)

الصديق الأمل الأستاذ رجاء النقاش

حفظه الله

لعلنى أجد فى هذه اللحظة السعيدة، لحظة الاحتفاء بك من صفوة  
كريمة من مثقضى شباب مصر وكهولها، فرصة لكى أجدد عهد  
الصداقة الحميمة، وأقول لك بكل ما فى الكلمات الطالعة من القلب  
من حب وبساطة وصديق أنا - نحن تلاميذك ومريدك خارج البيت  
العربى الكبير (مصر) - نتبعك ونقرؤك كاتباً وناقداً ومفكراً تنويرياً  
ليس من وقت قريب وإنما منذ أوائل ستينيات القرن المنصرم، ومنذ  
طلعت نجماً متألّقا فى عالم الكتابة المسلوقة، يفيض قلبك بالود  
والمعرفة والألفة والإخلاص للحق وللحرية بكل معانيها السياسية  
والاجتماعية والفكرية.

لقد أحببناك عن بعد وأحببناك من قريب قرأناك كاتباً وسمعناك  
متحدثاً ومحاوراً، وفى كل مرة كان حيناً لك يزيد وإعجابنا بك  
يتنامى لأنك منذ البداية، وحتى الآن، لم تبدل مواقفك الجادة  
الرصينة بل تسير على صراط مستقيم لا اعوجاج ولا التواء، حب مصر  
والتعربية هدفك ورعاية الإبداع والمبدعين هميتك، ومن استقامة  
خطواتك على الدرب الطويل الذى لم يكن سالكاً دائماً بل كان فى

تحية طيبة  
ولهنة من  
القلب بالعام  
الجديد،  
ويعد

أدب وفد

أغلب الحالات مفروشاً بالشوك لا الورد.

ونحن في هذه المناسبة، وفي كل مناسبة، لا نعترف بل نؤكد دور مصر العربية الحديثة من خلال الجهود العظيمة لأعلامها وكبار كتابها ونقادها، لكننا في الوقت نفسه نعترف ونؤكد أنك كنت في طليعة خدرة من المثقفين بتميز بالشخصية المختلفة الفريدة في سلوكها الرفيع وفي عطائتها الثمر، وفي رفضها الاقتراب من المناطق الجبوة حيث يكثر ذباب النميمة الأدبية وذباب الشتائم وأنصار اللغة الجارحة للقلب. وهكذا صرنا - نحن تلاميذك ومريديك من خارج البيت العربي الكبير - نؤمن بأن سلوكك ونقدك الأدبي العميق المذهب والحاني والذي يدعو القارئ بحميمية وإخلاص إلى أن يتعرف على فتاح المبعدين بروح صافية وإلى أن يقترب منهم وفي يده وردة لا حجر، وفي فيه قبلة لا بصاصة. ولأن ذلك كان نهجك فقد نجحت بامتياز وبقيت مواقفك وكلماتك الدقيقة نموذجاً، هي حين الطفلات أسماء بكيرة وكتابات أكثر، ولا أخالي إذا ما قلت أنك - يا رجاء - كنت تكتب براءة العصر الذي امتلأ زيفاً وإدواء.

ولن أنسى في مناسبة الاحتراف بك أن أذكر أنك كنت يوايتنا للتعرف على شعر الأرض المحتلة في ما كتبت عن محمود درويش، وأول من قدم لنا روائياً مبدعاً يقامة الطيب صالح، وسأظل أتذكر أن كتاباتك عن الشابي شهادة للتاريخ على شاعريته وعن قيم الحب والثورة في شعره، ولا ولن ننسى جميعاً الممارك التي خضتها بالنيابة هنا من أجل الثقافة العربية بوجه الدعوات الإقليمية والمحلية تلك التي سمت إلى تفتيت المشروع الثقافي العربي الواحد، واستجابت للدعاية الإمبريالية، ورضيت لنفسها أن تكون صدق لها، فكشفت الوجه الحقيقي للمنظمات والمنابر المشبوهة التي أريد لها أن تفرس في تربة ثقافتنا ومجتمعاتنا، وفي وقت مبكر ومنذ بدء نشاطها المشبوه أظهرت حقيقتها بالحجة الثقافية غير المنطقية من إفق حزبي أو تعصب ضيق.

أخيراً، وليس آخراً، فإن إنصافك رغم أنه تأخر كثيراً يجعلنا على ثقة بأن الأجيال الآتية ستقرأ ما كتبت بالصدق والعمق الذين كتبتهم بطوال مسيرة حياتك في الثقافة والأدب والفكر والفرن، وسيكون لك بين الخبالدين الذين كان لك فضل التعريف ببعضهم، مكان لا تحطيه ذاكرة التاريخ ولا ينساه ضمير أمتك.

أدب ورفق لك خالص تحياتي، ودمت لنا والكلمة ولأمتك ■

## التمصير والتعريب

د. أبو بكر السقاف (اليمن)

---

في جمع اليف بين الوطنية والقومية قال رجاء النقاش غير مرة: لا بد أن تتعرب مصر ويتمصر العرب، ويبدو هذا القول الجميل محملاً في جوانب منه يظللال فكرة الدولة القاعدة التي تعلق بها العرب منذ بداية صحتهم القومية، إلا أنه أيضاً يصدر عن تاريخ متين أشار إليه صبحي وحيدة عندما أكد محققاً أن مصر قد تعربت منذ القرن الرابع الهجري،، قام رجاء بجهد متواصل وهادئ ولا يزال في ميدان «الأدب الباقي» لإنجاز التمصير والتعريب وهو جهد لا شك في أنه يتضافر مع جهود كثيرين في هذا الأفق الوحيد الذي يشكل خط دفاعنا الأخير عن مستقبلنا ومصيرنا في البلدان العربية كافة. أصبح النقاش في تقدير المثقفين العرب وأحداً من صناعات الجسور المعنوية والثقافية بين غير جيل منهم.

أدب وثقافة

---

## الراعى والحمادى

مكرم محمد أحمد

فضلا عن مجموعة من الكتب القيمة التى تشكل تراثا بالغ الأهمية فى أدب النقد، إضافة إلى جهده الفريد فى اكتشاف عدد من المبدعين الشعراء وكتاب القصة والرواية قدم قدمهم رجاء النقاش إلى القراء المصريين والعرب من بينهم الشاعر المصرى الكبير أحمد عبد المعطى والشاعر الفلسطينى العالمى محمود درويش والروائى السودانى الطيب صالح والفنان المبدع سيف ونلى والشاعر الفلسطينى سميح قاسم ونفيس من الشعراء وكتاب القصة والرواية أثروا حياتنا الأدبية.

لقد عملت مع الأستاذ رجاء النقاش فى دار الهلال فكان نعم الأخ والزميل، أدب جم وخلق عظيم واعتزاز بالزمالة والمهنة، عفا اللسان ينحاز دائما إلى قيم الحق والجمال ويقف إلى جوار أصحاب الموهبة الحقيقية، ويساند كل حركة ثقافية تخدم المستقبل ولا اظن أن تاريخ النقد العربى منذ محمد مندور يعرف ناقدا عربيا قدم إلى الجمهور العربى هذا العدد الوافر من المبدعين الذين ما لبثوا أن أصبحوا نجوما فى الثقافة والأدب والفن فى العالم العربى، ولغرض إنسانية رجاء النقاش يكاد يكون فى رقة التعسيم أدبا وحياءاً وتواضعا، لكنه يملك قلبا حادا كالسيف عند الحق وعند الموقف، وهو لا يزال - أطال الله فى عمره فارس عصره ناقدا مبدعا ومفكرا أصيلا خرج من مهابات القرية المصرية كى ينشر ضياءا جميلا على حياة مصر

يسعدنى أن  
تتشرف نقابة  
الصحفيين  
المصريين بتكريم  
علم كبير من  
أعلام الصحافة  
والنقد والأدب،  
أستاذ جيله رجاء  
النقاش الذى  
سقط نجمه فى  
عالم الصحافة  
ولا يزال على  
امتداد خمسة  
عقود أثرى  
خلالها عالم  
الصحافة والأدب  
بمقالاته الأدبية  
والنقدية التى  
يكتبها بقلم من  
ذهب ويجهده  
الرائع فى إصدار  
مجلات ودوريات  
كان لها أثرها  
البائع فى أشراف  
الثقافة العربية،

أدب - نقد



الثقافية ويقدم لنا أسرة النقاش بتنوع أفرادها الموهبين والمبدعين التي كان رجاء راعيا وحاديها وأظن أنه منه دواعي نقابة الصحفيين المصريين أن تضم صوتها إلى صوت أكاديمية الفنون إن لم تسبقه لترشيح رجاء النقاش في هذا الموسم الثقافي لجائزة مبارك في الأدب تقديرا لشخصه وجهده وإبداعه وتاريخه.

اسمحوا لي أيها الزملاء أن نحى بالتصفيق وقوفنا زميلنا الرائع رجاء النقاش داعين الله أن يسبغ عليه من فضله الصحة والعافية والسلام عليكم ورحمة

أدب و نقد  
الله

## إشارات ذات مغزى

### رجاء النقاش

لا املك إلا ان اتقدم إليكم جميعاً بالشكر العميق على هذه الليلة التى اتخذت من شخصى موضوعاً للتكريم، وأصارحكم القول ببساطة وصدق اننى لم اعتبر هذا التكريم موجهاً لى بصورة شخصية، ولكننى اعتبرته تكريماً لبعض المعانى المهمة فى حياتنا الثقافية وحياتنا العامة وهذا ما جعلنى أتشرف بقبول هذا التكريم وأحرص على ان أكون بينكم فى هذه الليلة رغم ظروفى الصحية.

إن تكريمكم لى فيه إشارات واضحة ينبغى التوقف أمامها والتفكير فيها لأنها فى تقديرى هى أصل التكريم وليست فرعاً من فروعها.

الإشارة الأولى كما لاحظتم جميعاً من الكلمات التى ألقىت فى هذه الليلة تقول لنا إن الثقافة هى الجامعة العربية الحقيقية الأصيلة لهذه الأمة وليست تلك الجامعة الجالسة باطمئنان فى ميناها الأنيق على شاطئ النيل، فقد سمعنا الليلة أصواتاً متعددة جاءتنا من المواسم العربية على جناح من الحب والتفاهم والثقة العميقة، فالثقافة قبل أى شئ آخر هى التى تربط بين ثلاثمائة مليون عربى وذلك دون سفارات أو اتفاقيات على الورق، والثقافة تتخطى كل

الأستاذ مكرم  
محمد أحمد  
نقيب  
الصحفيين  
الدكتور رفعت  
السميد رئيس  
حزب التجمع  
السيدات  
والسادة  
الحضور

• كلمة رجاء النقاش فى الاحتفالية التى أقيمت بنقابة الصحفيين لتكريمه وألقاها نيابة عنه الشاعر حلمى سالم

أدب وفد



الحوار، ولا تتخرف إلا ببقاءات القلوب والعقول، وهذه الإشارة الثمينة التي تنطلق من هذا الحفل الكريم ينبغي أن تزيدنا إصراراً على التمسك بوحدة الأمة العربية التي لم تتأثر بالزلازل والعواصف إلا في المؤسسات الرسمية، أما الشعب فإن شعراء ومفكرين مايزالون يرفضون علم التماسك بين الأمة العربية من خليجها إلى المحيط، وسيظل هذا العلم مرفوعاً بإذن الله رغم ما أصابنا نحن الذين آمنا دائماً بهذه الوحدة من يأس وإحباط حتى أصبحت كلمة الوحدة كلمة نهمس بها ولا نكاد نعلنها جهراً حتى لا نتعرض للسخرية والمؤم.

وفي هذه الليلة جأئنا كلمة الوحدة مرفوعة الرأس، وذلك على لسان مفكرين وشعراءها من حتى أنحاء العواصم العربية، ووحدة الأفكار والعواطف هي دليل صدق من السياسة والاتفاقات والمعاهدات وكل ما هو مكتوب بالأقلام الرسمية.

الإشارة الثانية في هذا الحفل الكريم هي أن فلسطين حاضرة في قلب أي عمل عربي، صغيراً كان أو كبيراً فقد جاءنا في هذا الحفل صوت فلسطين، يقطر دماً ولكنه من وراء قطرات الدماء يفيض بالعافية والإصرار والصبر على المحنة حتى تنتهي وتزول.

الإشارة الثالثة في هذا الحفل الكريم هي ذلك الوفاء والاحترام المتبادل بين جيل والجيل الذي يليه، وفي هذا تكذيب لما كان يقال ويتردد منذ فترات طويلة من أن أجيال الفكر والثقافة والصحافة في بلادنا هي أجيال متصارعة، وأن هناك حواجز قوية بين هذه الأجيال، وأنه لا حنان ولا اهتمام من جانب الجيل الأكبر بأخوته وأبنائه من الجيل الثاني، ومن ناحية أخرى فقد كان يقال عن الجيل الجديد الذي جاء بعدنا أنه جيل يستهين بأبيه وأخوته الكبار وأنه لا يعرف الوفاء، وفي هذا الحفل الكريم تبددت كل الأفكار الهشة التي كانت تقال عن الملاقات بين الجيلين، فقد كان لعدد بارز من أبناء الجيل الجديد دور قوي وأساسي في إقامة هذا الحفل، حيث جرى نهر الوفاء فياضاً بالمحبة والثقة بين الجيلين في صورة رائعة تؤكد أن الذين يقولون بغير ذلك وأهمون وأن ما بين جيل والجيل الذي يليه عامر وسوف يظل عامراً بإذن الله، وهذه الظاهرة هي من أنبل الظواهر التي جعلتني اعتبر هذا الحفل أكبر من شخصي المتواضع لأنه ببساطة حفل يمثل لقاء المحبة والتكامل والثقة بين جيلين، فلا عداة ولا خصومة ولا صراع ولا قتال.

هناك إشارة رابعة يخلقها هذا الحفل الكريم وهي عندي إشارة بالغة الأهمية، وأقصد بذلك أن هذا الحفل هو تكريم لفرع من فروع الصحافة أظن أنه قد ولد مظلوماً وبقي مظلوماً إلى الآن، وأقصد بذلك الصحافة الثقافية، فالذين يملكون في هذا المجال وأنا واحد منهم كانوا يشمرون دائماً أنهم يكافحون في أرض

**أدب وثقافة**

بالغة الصعوبة، وكانت المادة الثقافية فريسة للتأجيل في نشرها بل وإهمالها في بعض الأحيان أمام المادة السياسية أو الرياضية أو الفنية أو الدينية، ومع ذلك فقد كافحت وكافح غيرى كثيرون في مجال الصحافة الثقافية من أجل تثبيت مكانتها وإتاحة الفرصة لها لكي تؤدي رسالتها بين أفراد الشعب، ولكي تساعد على تكوين رأى عام ليس من السهل أن يستقطف فريسة للخرافات والأوهام فيعطل تقدم البلاد ويؤدي إلى مصائب العنف والتطرف، ويضرب على الناس نوعاً من الإغواء الفكرية تحت تأثير مخدرات معنوية هي أخطر من الأفيون والحشيش وسائر المخدرات المادية.

فالتكريم الليلة هو تكريم للصحافة الثقافية التي ما زالت تعاني من بعض الضغوط عليها وتحاول أن تقف مرفوعة الرأس بين الألوان الصحفية المختلفة.

والإشارة الأخيرة في هذا الحفل الكريم، ولعلها أثنى الإشارات جميعاً، هي أنه حفل شعبي خلا من أى رسميات وليس فيه تدخل من هنا أو إرغام من هناك وكل ما هو شعبي يبقى ويدوم، أما غير ذلك فهو خاضع للتقلبات والأغراض وتغير الرجال والأحوال وانعدام الصديق في النوايا، ولذلك فهو زائل، وأن بقى منه شيء فهو بقاء الأطلال والأشباح.

هذه بعض الإشارات التي يحملها هذا الحفل الكريم، وهي التي اقنعتني بالمشاركة فيه على قدر ما أستطيع، فما كان من الممكن أبداً أن أقنع نفسي بأن هذا الحفل قد أقيم من أجل شخصي المتواضع، وعندما فكرت في الأمر توصلت إلى تلك الإشارات الكريمة التي يحملها هذا الحفل ويقوم على أساسها: فأطمأنت نفسي وأدركت أن هذا الحفل الكريم قائم على أساس راسخ متين، وهو حفل لإعلاء شأن قضايا كبيرة وليس حفلاً شخصياً محدود التأثير والقيمة.

شكراً لكم جميعاً أيها الأخوة والأخوات، شكراً للذين تفضلوا بتقديم كلماتهم النبيلة الطيبة وشكراً للذين شرفوا هذا الحفل بالحضور، وأدام الله على وطننا العربي ومصر في مقدمته هذه الروح المشتعلة بالوفاء والإرادة الحرة والحلم الدائم بوطن كريم مرفوع الرأس.

**أدب وفد** شكراً لكم جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله

## نستحق أكثر من العقاب

### د. رفعت السعيد

الرومانسى.. الذى استطاع أن يلزم الجميع حتى هؤلاء العقارب من المثقفين الذين اعتادوا على نهش كل قول جيد أو فكر مستنير أو رجل يصعد حتى هؤلاء ابتلموا سخافاتهم وعجزوا عن النطق. وهؤلاء الذين يزعمون أنهم نقاد بشتيم الآخرين عجزوا عن فعلها معه هصمتوا.

هذا الرجل الوديع الهادىء القوى الأبى المتى فى قول الحق وإيضاح الحقيقة التزم بالنزاهة والشجاعة وعفة القول وقول الصدق فى آن واحد، فكلم مثقفا مثله؟ السنا نعيش فى زمن يتسلى فيه الكثيرون على جثة الكلمة الشريفة ويبيعون أقلامهم لكل مشتر سواء بالمال أو بالمنصب؟ السنا فى زمن المثقف الحرياء؟ السنا فى زمن تتحول فيه الثقافة والصحافة إلى بضاعة حاضرة رخيصة؟

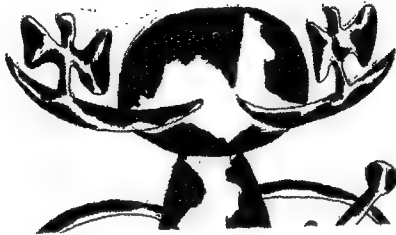
فهل مللت منا ومن زماننا الردىء؟ هل غضبت علينا فقررت إن لا مكان لك فى هذا المناخ المظلم والظالم؟ فقررت الرحيل. وفى طريقى إلى قاعة التكريم تألق فى ذهنى بيت من شعر كأنه جاء على مقاسك تماما..

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل

على أننا نذيب الحديد

فيما كنت  
أتوجه إلى  
حفلى  
تكريمك،  
جعلت أتايل  
سيرتك، رجل  
رومانسى،  
هادىء، وديع  
مبتسم دائما،  
وحداد، وعنيف  
وقاس فى  
لطف مهذب  
فى آن واحد.

أدب ونقد



فأنت هكذا تماماً، رومانسى هادى وديع مهذب حتى النخاع، هجاع قوى قادر على التحدى إذا كان للتحدى ضرورة.

ولكن هل تأذن لى أن اهتمن لك بسر؟

رايتك وانت مقبل تنتهادى متكلنا على عصائك مستنداً إلى احضان زوجتك الجميلة .  
الحانية التى عاشرت تمنحك حناناً كنت فى امس الحاجة إليه فى صراعلك مع الوحوش، فتوقف فى حلقى بيت شمر آخر لكننى خجلت أن اتلوه أمامك وامامها ..  
فى ساحة المشق نقتادنا الفيد

وفى الوغى نحن نقتاد الأسودا .

هكذا كنت تماماً ..

قاومت المرض بصبر وهجاعة ولكن ..

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الأجسام

وأخيراً قررت الرحيل ولعلك ناجيت فى رحيلك واحداً مثلك فى رومانسيته وأدبه  
وهجاعته فى قول الحق .. مجدى مهنا .

لعلك قلت له تعال فما لنا بقاء فى هذه الغابة المتوحشة المليئة بكتاب مفسوشين  
والمحتشدة بأرانب تدعى أنها أسود لمجرد أن أقلامها تسيل بذاقة .

ووافلك مجدى مهنا ورحلتما مما فى جنازة واحدة، رحلتما جنباً إلى جنب .

إنه القدر يعاقبنا .. ونحن نستحق ما هو أكثر من العقاب ■

أدب وفد

## شهادة لا تمثل مرثية

### د. صلاح فضل

فخصصت عدداً تذكاريّاً له واستكتبتنى كلمات فيه على سبيل الشهادة، ولم أعرف حينها ماذا كان وقعها على نفسه، وهل أرضته نغمة الحب والتقدير فيها، أم ألمته الصراحة النقدية في الكشف عن مواطن القوة والضعف لديه، في تقديري المتواضع.

وعندما فقدنا رجاء النقاش الذي أضاع الصحافة الأدبية بأشراقه قلمه، وعمر الحياة الثقافية العربية منذ إطلاقاته الأولى في الأدب التي صنعت أجيالاً من طلائع المثقفين، حتى كلماته العذبة المقطرة المفعمّة بالحب على صفحات «الأهرام» وغيرها من كبريات المنابر الأدبية. ولأن الشهادة لا يجوز تحويرها أو تغييرها استأذن القارئ في أن أعيد سطورها تحية لواحد من ألمع نجوم النقد وأبرز رموزه في العصر الحديث:

إذا كان النقد عادة هم قضية الفكر الأدبي، ورعاة العدالة الثقافية، المسكون بميزان الإبداع، فإن تاريخهم يحفل عادة بأحكام القيمة، والزمن والجمهور وتطور الاتجاهات درجات لاستئناف هذه الأحكام أو نقضها، وتمحيص مدى نزاهتها، أو صدقيتهم، فإذا خرج الناقد من كل ذلك بريئاً من الهوى، بصيراً بأقدار الناس عزز الثقة بمستواه وترسخت قيمته في ضمير قرائه على مدى الأجيال المتعاقبة.

قبل شهر  
قليلة  
استشعرت  
مجلة «لها»،  
التي تدين  
لرجاء النقاش  
بأجمل  
لحظات  
توهجها  
الأدبي  
والثقافي، أنه  
بدأ يخبو  
بمطاردة  
المرض  
العضال،  
أدب ونقد

ورجاء النقاش الذى تميز بنبوغه المبكر فى مجال الكتابة النقدية، وهى تتطلب عادة نضجاً متمهلاً واستحساناً بطيئاً، بهر قراءه بعين الصقر التى يمتلكها منذ صباه، فقد كان موهوباً فى اكتشاف المواهب الكبرى والتنبؤ بمستقبلها الواعد، سواء كان ذلك فى الشعر أو الرواية، وليس أدل على هذه المقدرة الفذة التى صدقتها الأيام من أسماء محمود درويش والطيب صالح وغيرهما، ولعل نشأة رجاء فى أسرة حافلة بالإبداع والذكاء المبكر من الرجال والنساء أن تكون عاملاً مؤسساً لهذا الوعى الناضج والرؤية الثاقبة، لكن ما صاغه من التحيز الساذج والاندفاع وزاء الهوى الشخصى فى الدرجة الأولى هو براءته من العمى الأيديولوجى الذى كان سائداً فى أوساط المثقفين من اليسار المصرى فى العقود الوسطى من القرن العشرين، فكم ضلل هذا العمى كبار النقاد وجعلهم يخطئون فى النبوءة ويقدمون من لا يستحق التقدير على رغم ثقافتهم العالية وإخلاصهم الشديد، لكن احتكام رجاء النقاش إلى وجدانه الوضى وضميره الفنى الشفيف وضعه فى زاوية الرؤية الصحيحة لمستقبل الإبداع، ومكنه من احتضان الكتابة بمشق وحنان ودأب، وإتاح له فرصة امتلاك نعمة، إذا فقدتها النقاد، اختلت البوصلة فى يده، وهى الإصابة فى معرفة أقدار الكتاب ونصيبهم من الإبداع، مهما كانت علاقته الشخصية بهم، وجعله فى نهاية المطاف قادراً على الإسهام الفعّال فى صناعة استراتيجية الثقافة العامة. بيد أن هناك نعمة أخرى ظفر بها رجاء النقاش وتقادى ما تضره من نقمة، وهى براءته من التقرع الأكاديمى الذى سقط فيه كثير من أساتذة الأدب والنقد، عندما سجنوا أنفسهم داخل أسوار الجامعات والمعاهد العلمية، فحرموا من الانصات لنبض الواقع الحى والكفاءة فى قياس حرارته وجمالياته، وقد نذكر بشيء من الأسى بعض المناوشات الخفيفة التى قامت بينه وبين هؤلاء الأساتذة وكيف خرج منها منتصراً مؤمناً برسالة الفكر النقدى فى التنوير والتحديث والتقدم من دون تعقيب أيديولوجى أو تقرع أكاديمى مقوت.

لكن نقطة الضعف التى حالت بين رجاء النقاش وتصدره مشهد النقد الأدبى بعد محمد مندور ولويس عوض وكان مؤهلاً لذلك أنه لم يعبر محطة الاتصال المباشر بالثقافة الغربية فى إحدى عواصمها الكبرى ولم يتقن بالقدر الكافى إحدى لغاتها باعتبارها منفذاً للتواصل الخلاق مع روح العصر والحضارة المجسدة له، فظل معلقاً بما يقدمه الآخرون من ترجمات من دون أن يصنع بنفسه أو يعجن بيديه بفطيرته الخاصة معتمداً على فطرته ويقلظته فى التقاط ما يوجد به الآخرون، وترتب على ذلك فى فترة السبعينات المفصلية فى تاريخ الفكر النقدى

أدب وفقد



العالمى أن خرج صديقنا من دائرة القيادة للفكر النقدى العربى مع كفاءته العالية فى ممارسته، ولم تشغله مشكلة المناهج المتغيرة بتطوراتها المعرفية المتوالية فاكنتى بمزاجه الشخصى وثقافته الموسوعية ونضارة حساسيته فى تلقى الأعمال الإبداعية وإضاءتها بمقارباته الواعية. على أن إنجازات رجاء النقاش فى مجال الصحافة الأدبية والثقافية سواء كان ذلك خلال رئاسته تحرير، الهلال، أو تخليقه لتيار عارم من الإبداع الصحافى والأدبى فى مجلة، الدوحة، التى تمتبر من أنفس ما عمّر الذاكرة العربية من مطبوعات ثقافية، أسهمت فى مضاعفة دوره فى مجال الفكر والكتابة حتى أصبح اسمه يتوهج بالمعرفة والعطاء النبيل والمثمر فى فلك التاريخ والتأصيل، ما جعله يحقق فى نهاية الأمر إحدى أجمل رسالات الخطاب النقدى فى حمل قارنه على عشق الفن والأدب والثقافة.

احتفظ رجاء النقاش عبر مسارات متقلبة عنيفة فى الحركة والعمل بقدر عظيم من التوازن محافظاً على طابعه الطفولى البرىء حتى وهو فى شيخوخته، فجعل من النقد الصحافى منبراً لتأكيد القيم العظمى فى الوطنية والحق والخير والجمال، الأمر الذى جعل من كتاباته منبعاً ثرياً للمتعة الراقية ونموذجاً بديعاً

**أ. د. وفد** للتواصل الجماعى الخلاق مع قرائه ومريديه ■

## الأب الثاني

### أمينة النقاش

وكانت أجمل اللحظات التي يقضيها ، تلك التي يتلو علينا فيها مقطعا من قصيدة لفضاحل شعراء العصرين الجاهلي والإسلامي، أو يقرأ علينا نصا أدبيا أو آية قرآنية ليكشف لنا من خلال ذلك عن ثراء اللغة العربية، وقدرتها المتجددة على الاستخدامات المختلفة للمفردات والمعاني. بما كان يستخرجه من تلك النصوص من أنواع هتئ من البلاغة، من كناية وتشبيه واستمارة وما إلى ذلك.

وإذا كانت الموهبة تورث، فقد ورث رجاء عن أبي عشقه للغة العربية، وشكل التراث العربي الإسلامي جزءاً رئيسياً من ثقافته الموسوعية المتنوعة. عوّبا رجاء حين يبدأ النقاش في أي موضوع خاص أو عام، أن يكون الأدب حاضراً بقوة، فيستحضر من ذاكرته روائع القصص العالني، وأبيات من هيون الشعر العربي القديم والحديث ليبدل بهما على صحة ما يقول، وربما ليقيم لنا من خلال ذلك إجابات فنية لبعض أسئلة الحياة المتلبسة والغامضة، فيحفزنا على تذوق الأدب ومحيطه من جانبه ويوسع مداركنا عبر استشهادات أدبية، نفهم بها يجري حولنا وتخفيف الآله من جانب آخر.

ارتبطت طفولتي وهيايى برجاء ارتباطاً وثيقاً وهيمنت قوته المعنوية على نشأتي. وحين بلغت السادسة من عمري، اتخذت أسرتي قراراً

أحببت اللغة العربية من والدي، ومن شقيقي الأكبر رجاء النقاش. صبق أبي اللغة العربية، ليس يحكم أنه كان مدرسا لها، فحسب، بل لأنه كان شاعراً وأديباً، وفارداً هماً لكتب التراث العربي والإسلامي، أدب وفد



يتأجيل التحاقى بالمدرسة الابتدائى لمدة عام، للإزمة والدتى المريضة آنذاك بالمنزل. فى تلك الفترة من طفولتى، أصبحت أمى هى كل عالى، إلتصقت بها إلتصاقاً شديداً، وأخذت أنظر بعينيهما لكل ما يدور حولى، أفرح لما يفرحها، وأغضب ما يغضبها، وإشارتها الأقليل الذى تقوم به، تعبيراً عن محبتها وإعزازها لآينها أليكر. كانت أمى تأين أن تنام الليل حتى تطمئن على عودة رجاء من الخارج ودخوله إلى غرفته كانت تطرب لسماع صوت ارتطام باب المنزل فور عودة رجاء إليه، لأنه يحمل إليها بيالما يمون الله، ولم يصبه أى سوء ويرغم أن أمى كانت امرأة أمية، لا تعرف القراءة والكتابة، فقد كانت تستطيع أن تميز اسم رجاء فى قصاصات الصحف والمجلات، التى كان قد بدأ يكتب بها وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، ولأن المرض أقعدها بطريقة الفراش، فقد جمعت أمى تلك القصاصات، واحتفظت بها تحت وسادتها، لتصبح لحظات البهجة الوحيدة التى تهنا بها، وتبدأ نفسها بالسرور والرضا حتى تسحب تلك القصاصات من تحت الوسادة، وتحليل التأمل فيها بفرح طفولى، وتغمرها بأحضانها وقبائلها من حين لآخر، ثم تميدها بحرص شديد إلى حيث كانت، كأنها كنز ثمين تخشى عليه من الضياع، كنت أقلدها تقرياً إليها، وإيتزازاً بمواطفها وإقتناصاً لأحضانها الدافئة وطبعاً حباً فى رجاء.

يحمل رجاء غصنة فى حلقة - كما أحمل أنا - لم تقل مع مرور الزمن، فحين مابتت أمنا أكتشفنا أنه لم يكن بحوزتنا صورة لها.

كنا أسرة كبيرة العدد، قليلة الموارد، وكان بيتنا فقيراً من كل الإمكانيات وأسطها، لكنه بفضل رجاء، كان غنياً بالكتب وبالثقفين العرب والمصريين، الذين كانوا يتوافدون - يكاد يكون يومياً - على منزلنا للتواضع، الذى ملأته أسرته بجانب ذلك يطموحات كبيرة، ما كان لها أن تصمد، أمام هطف العيش، وخشونة الحياة، وفقر الموارد، ثولا الدور البطولى الفذ، الذى تقدم للقيام به بسخاء وإحساس بالواجب والمسئولية بالأخ الأكبر، وهو الدور الذى أمد تلك الطموحات بمناخير البقاء، وقدم لها دعائم مشيدة، تزيل من أمام انطلاقتها، كل مبررات التمر والإعاقة.

وتجربة رجاء هى أسرته، تكاد تكون تجربة قاعدية للأخ الأكبر فى الأسرة المصرية، التى تنتمى لطبقة الوسطى الصغيرة، إذ يولد الابن الأكبر لأب فقير، كثير الأبناء، يجاهد من أجل أن يضمن لهم مستقبل أفضل، مما كفله له أبوه، فتتوالى موارده عن ذلك، فيتقدم الابن الأكبر لى يكون أياً آخر، يشارك فى حمل الأعماء. وفى هذا السياق يميز رجاء على كثيرين غيره ممن قاموا بمثل هذا

**أدب ووقت**

الدور، بأنه أضفى عليه لمساته الخاصة التي امتزج فيها الذكاء بالحنان ، كما أضفى عليه مواهبه التي ورثها عن أبيه، مما أثر في كل أخوته، سواء قصد إلى ذلك أو لم يكن يقصده.

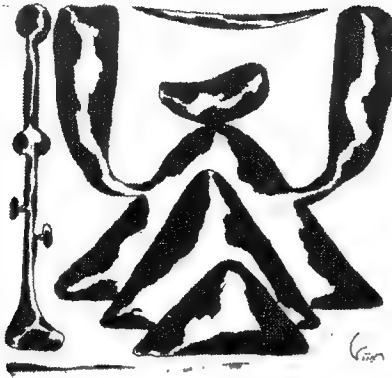
وعلى عكس كثيرين ممن ينتمون لهذه الطبقة الاجتماعية، فإن أبى الشاعر والأديب، كان يتسم بدرجة من الوعي السياسى، مثل كثيرين غيره من مدرسى المرحلة الأولى فى الريف المصرى، انتمى بوجدانه ومشاعره نحو حزب الوطنية المصرية وهو حزب الوفد، وكان حريصاً ألا يضحى بالابن الأكبر، ويخرجه من التعليم ، ويدفع به إلى وظيفة صغيرة، وساعده على ذلك، بأنه كان طالباً مجتهداً، يمتلك إرادة حديدية، ويدرك بوعى فطرياً بأن عليه أن ينهى تعليمه للبحث عن عمل أثناء دراسته الجامعية، فيعمل طول الوقت دون أن يتخطى عن طموحه وحلمه، فى أن يصبح كاتباً وأديباً، وصانعاً للنجوم، فى دنيا الأدب والثقافة والصحافة، ولم يتوقف رجاء أبدأ عن العمل، منذئذ، وعلى استداد أكثر من خمسين عاماً فى رحلة طويلة شاقة. حفلت بألوان شتى من المعاناة والقسوة والألم، وقلت فيها الأفراح والمسررات، لكن مواهب رجاء الإنسانية والثقافية. أميدته دائماً بالقدرة على التغلب على منغصات الحياة، والإفلات من الضغوط، التي قد تفرضها، وربما أكسبه هذا العناء بعض الحدة فى الطبع وبعض القسوة فى الانفعالات التي طالت فى بعض الأحيان أقرب المقربين إليه لكنه يمتلك قلب طفل يغضب بسرعة، ويصفو قلبه ويتمتع صدره من أغضبه بالسرعة نفسها.

رسخت رحلة رجاء العملية، لدى ولدى أخوتى قيمة العمل باعتبارها أحد أهم القيم العليا فى الحياة، وزرعت فى نفسى اعتقاداً راسخاً بأن أسوأ أنواع الفقر، ليس هو فقر المال والموارد، بل هو فقر الروح وفقر العقل والوجدان وأنه لا سلطة فى الحياة تعلق على سلطة الثقافة والمعرفة.

ماتت أمى وأنا فى الثامنة من عمري وتوفى أبى وأنا شابة أخطو أولى خطواتى فى الحياة العملية، فأصبح رجاء بالنسبة لى أباً وأماً وصديقاً. فى صحبته أدركت كثير من النشوات العليا فى الحياة، زرت معه الآثار القبطية والإسلامية فى القاهرة، وشاهدت معه المسرح للمرة الأولى، ومعه طلعت أقدامى دار الأوبرا المحترقة، وفى بيته استمعت للمرة الأولى أيضاً إلى أغانى الشيخ إمام عيسى وأحمد فؤاد نجم، والتقيت بأدباء ومثقفين لم أكن أعرفهم، إلا على الورق فقط، كان بينهم صلاح جاهين وصلاح عبد الصبور ولويس عوض وأحمد عبد المعطى حجازى، ويوسف إدريس

وسهيل إدريس، ومحمود درويش وعبد الرحمن منيف.

أدب- وفد



وفى هذه الجلسات تبتد موهبة رجاء الأخرى كواحد من الحكاين العظام، مثله فى ذلك مثل عبد الرحمن الخميسى ومحمد عودة ومحمود السعدنى، كما تجلت قدرته الفذة على السخرية والتهكم، التى تبدأ بنقد ما لا يمجبه من ظواهر الحياة، وتنتهى بالسخرية من نفسه إذا اقتضى الأمر، أو من أخويه الصغيرين فكرى وعاصم، اللذين كون معهما صداقة حميمة، طالما أسرتنى بما حفلت به من أبوة غامرة وحنان دافق. ولم يكن بوسع رجاء أن يواصل مشروعه الثقافى والأدبى، وأبوته الدافقة لنا، لولا وجود ملاكة الحارس زوجته ورقيقة مشوار عمره طبيببة الأطفال البارعة الدكتورة هانية عمر، التى خاضت بدوق رهيع ونفس شفافة نضالاً متصلاً، ضد شتى المقبات، التى اعترضت حياتها المشتركة مع رجاء، دون أن تشكو أو تتذمر، أو تخور عزيمتها أو أن تفقد ثقتها أبداً فى موهبة رجاء، أو فى الأدوار التى اختار لنفسه أن يؤديها فى الحياة.

كان مكسيم جوركى يقول إنه ينام نوماً هائلاً، عندما يعرف أن تولستوى حى يرزق فى نفس العالم الذى يتنفس فيه، وهانذا على نحو مستبعد التصديق لا يلتئم هدولى النفسى ولا أنام نوماً هائلاً، إلا لأن شقيقى الأكبر وأبن الثانى رجاء

أدب و نقد النقاش حى يرزق فى نفس العالم الذى آتنفس فيه.

## الباسق كنخيل القرية

محمد سلماوى

وربما كان فى ذلك احد اسباب القيمه الكبيره التى كان يمثلها رجاء النقاش فى مجال النقد الادبى ولاحد كبار النقاد قول ماثور موداه ان المحب للادب وحده هو الذى يصلح ان يكون ناقدا وقد كان رجاء النقاش مثالا فريدا لناقاد المحب للادب والادباء فى وقت كادت كلمه النقد عندنا تصبح مرادفه لكلمه الانتقاد.

ولقد حدثتني الزميله نوال المحلاوى ذات مره بعد مرور نحو عام على فوز نجيب محفوظ بجائزه نوبل عن رغبتها فى ان ينفرد مركز الاهرام للترجمه والنشر والذى كانت تراسه فى ذلك الوقت بنشر السيره الذاتيه لاميح نوبل الكبير فقلت لها على الفور.

ارىحى نفسك ان نجيب محفوظ ليس من الادباء الذين يكتبون سيرتهم الذاتيه فهو فى تواضعه الجع يمتقد ان حياته ليست ذات اهميه وان احداثها لا تهم احدا غيره كما انه يفضل الا يترك للناس الا انتاجه الادبى الذى هو اهم من تفاصيل حياته ومع ذلك فكل من اقترب من نجيب محفوظ يعرف جيدا ان حياته بها من الاحداث المهمه والشيقه ما يجعلها ذات مغزى كبير لكل من يهتم بادب نجيب محفوظ او بالحياء الثقافيه والادبيه طوال سنوات القرن العشرين.

جمعتنى  
بالكاتب الراحل  
رجاء النقاش  
روابط كثيره لم  
يكن اقلها حبنا  
المشترك لاديبنا  
الاكبر نجيب  
محفوظ فقد  
كنت اصرف حبه  
رجاء الجع  
لنجيب محفوظ  
كما كنت اصرف  
حبه وتقدير  
محفوظ له  
وثقته الكامله  
فيه.

أدب و نقد

ثم قلت لنوال المحلاوى، انا اعرف ان رجاء النقاش كان لديه مشروع قديم لكتابه حياه نجيب محفوظ، واعلم ان محفوظ لديه ثقه كبيره فى رجاء وانه اذا وافق على المشروع سيفتح له قلبه وذاكرته بالكامل.

ولم تمض ايام حتى كانت نوال المحلاوى قد اتصلت برجاء النقاش الذى اكد لها انه مازال يرغب فى التاريخ لحياه الاديب الاكبر كما التقت بالاستاذ نجيب لتعرض عليه الموضوع فرحب به ترحيبا كبيرا ورحب ايضا بان يكتبه رجاء النقاش.

وقد امضى رجاء النقاش وقتا طويلا يجمع ماده الكتاب من مصدر واحد فقط هو نجيب محفوظ نفسه الذى كان يجلس اليه مطولا ويساله فى كل الموضوعات التى تتصل بحياته واعماله فكان محفوظ يجيب عليها بالكامل حيث كان رجاء النقاش يسجلها على جهاز تسجيل صغير ليقوم بتفريغها بعد ذلك.

وبعد مرور ما يزيد على السنه كان رجاء النقاش قد انتهى من جمع مادته بصوت نجيب محفوظ لكن تلك كانت بدايه المشقه الحقيقيه ولم تكن نهايتها فهاذا يفعل بهذه الماده وكيف يعالجها ومن اين يبدأ؟. ولم تمض سنه اخرى ولا اثنتان ولا ثلاث بل اربع سنوات ودخلنا فى السنه الخامسه ورجاء النقاش يشعر بمسئوليته كبيره تجاه الماده الثمينه التى التمنه عليها نجيب محفوظ ومن ثم لا يستطيع ان يخرجها الا فى افضل صوره دون ان يكون فى لهفه كى يخرج اول كتاب من نوصه يورخ لحياه اديب نوبل الكبير بل كان الاله ان يجد الطريقه المثلى للتعامل مع هذه المعلومات النادره التى حصل عليها فهكذا كان رجاء النقاش وهكذا كان ضميره الادبى الذى جعله احد اهم نقادنا الادبيين واكثرهم حبا للادب واخلاصا له.

وبعد ان مرت خمس سنوات اقتنع الجميع خلالها ان الكتاب لن يظهر ابدا وتوصل رجاء النقاش الى ان قيمه الماده التى لديه

تكمن فى انها صادرة من محفوظ شخصا وان عليه ان يحافظ على هذه القيمه بان يقدمها للقارئ كما هى دون ان يستخدمها فى كتابه سيره صاحبها.

وهكذا كان كتاب نجيب محفوظ، صفحات من مذكراته واصواء جديده على ادبه وحياته، الذى اصدره مركز الاهرام للترجمه والنشر عام 1998... والذى اهدائى رجاء النقاش واحده من اول خمس نسخ وصلته من المطبعه وصدرها بهذه الكلمات.

الى الصديق العزيز الكاتب الكبير الاستاذ محمد سلماوى الذى يعرف كل ما فى هذا الكتاب، وما خلفه. مع خالص التقدير. رجاء النقاش.

وقد اصبح هذا الكتاب من اهم الكتب التى صدرت عن نجيب محفوظ

أدب و نقد

وأثار عند بدايه نشره ضجه كبيره حيث تعرض ضمن ما تعرض لجوانب شخصيه من حياه اديبنا الاكبر كان البعض يتصور انه لم يكن ينبغي الافصاح عنها بل لقد ذهب البعض انذاك للقول بان نجيب محفوظ لم يكن من الممكن ان يقول مثل هذه الاشياء وكان البعض يسأل الاستاذ امامى هل حقا قلت لرجاء النقاش كذا او كيت ٩. ولم يكن الاستاذ فى سنه المتقدمه يتذكر فى عام 1998\_ ما يمكن ان يكون قد قاله عام ١٩٩٠ لكنه فى ثقته الكامله برجاء النقاش كان يقول لسائليه. هل ورد هذا فى كتاب رجاء ٩. فيقولون. نعم هيرد بلا تردد. اذن فقد قلته.

اسرد هذه الواقعه لان فيها دروسا مهمه وصيرا ذات دلالة لنقادنا من الشباب وفيها ايضا سر عظمه ذلك الناقد الادبى العظيم رجاء النقاش الذى فقدناه هذا الاسبوع. ففيها اولا امانه الناقد مع ماده التى تحت يديه وعدم نهضته لنشرها بأسرع وقت وكانها سبق صحفى رخيص يمكن ان يصنع العناوين الساخنه اليوم ليكون بلا اهميه غدا فقد كانت عين رجاء النقاش على التاريخ والتاريخ لا يقبل الا الامانه والصدق. وفيها ثانيا تضافيه فى تقديم ما التمن عليه فى افضل صورته ممكنه حتى لو اخذ منه ذلك سنوات طويلا.

وفيها ثالثا روح الايثار التى تجعل الناقد ينحى نفسه جانبا مفضلا عمل الاديب وكلماته فقد كان من الممكن لرجاء النقاش ان يكتب كتابا لم يكتبه احد من قبل عن حياه محفوظ. ولكنه فضل ان يحتفظ لكلمات محفوظ كما نطق بها دون تدخل منه. وفيها قبل ذلك كله ويعدده الثقه التى يحوزها مثل هذا الناقد عند الاديب والتى جعلت نجيب محفوظ يرد دون بحث ولا تدقيق بان كل ما كتبه رجاء النقاش عنه او عن لسانه لابد ان يكون صحيحا.

لقد فقدنا برحيل رجاء النقاش قاصه كبيره فى رواق النقد الادبى يصعب ان نعوضها لكن ما نملكه هو ان ندرس كيف نهضت تلك القاصه فصارت بأسقه كتحليل القرية المصريه التى ولد بها ناقدنا الكبير رجاء النقاش الذى ترك لنا الساعه بعمده صحراء جرداء ■

أدب و نقد

## وداعاً أيها الحالم، يا شبيهي

### د. جابر عصفور

خصوصاً في زمن لا يزال في حاجة إلى أمثال رجاء النقاش، يملأون الحياة الثقافية من حولهم، بالحيوية الدافقة والاستنارة التي تتسع بعقول القراء وتمتد إلى ما لا نهاية برحابة أفق الثقافة التي تظل في حاجة إلى العقول التي تقود وتضيء وتشع بقيم الحق والخير والجمال في كل مكان حلت أو حل فيه، رجاء النقاش آخر الوارثين لجيل الموسوعيين العظام من أبناء ثورة ١٩١٩، جيل طه حسين والعقاد والمازني ويحدهما يحيى حقي وبقية النجوم الوضاء التي لا تزال الثقافة العربية مدينة لها بفرس وتعميق معنى الجامعة، والنظرة الشاملة التي تتعدد أدوارها الثقافية في المجتمع الذي تسعى للانتقال به من وهاد الضرورة إلى أعلى آفاق الحرية ولذلك كان رجاء النقاش دارساً وصحافياً ومحرراً أدبياً ورئيس تحرير لمجلات عدة، أحدث في كل منها ما دفعها إلى المزيد من الإنجاز والتقدم والاستشراف الطموح للمستقبل الخلاق الذي تبين له به مجلات رأس تحريرها، مثل مجلة «الكواكب» التي رأس تحريرها ما بين عام ١٩٦٥ و١٩٦٦، ومجلة «الهلال» (١٩٦٩-١٩٧١) و«الإذاعة والتليفزيون» (١٩٧١-١٩٧٢) وأضف إلى ذلك كله دور المحرر الأدبي الذي يؤديه رجاء بعد تخرجه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة القاهرة، عام ١٩٥٦، مزاملاً للأعلام الذين

ها هو رجاء  
النقاش يرحل  
عنا بعد أن  
أوجع قلوبنا  
بمرضه  
الطويل الذي  
ظل يسرقه،  
شيئاً فشيئاً،  
من محبيه،  
إلى أن قرر  
الموت أن  
يسرقه منا،  
تاركاً في  
نفوسنا ألم  
الفقد، ومرارة  
الحزن،  
والشعور  
القاهر  
بالخسارة،

أدب ووقت

تخرجوا معه أو قبله أو بعده، بسنوات قليلة، من أبناء الجيل الذى يضم صلاح عبدالصبور، وعز الدين إسماعيل، وعبدالقهار مكاوى، وعبدالرحمن فهمى، وفاروق خورشيد، وأحمد كمال زكى وهو جيل نضج وعيه فى ظل الأفكار القومية التى أشاعها أمثال ساطع الجبصرى وتبناها البعث ثم الناصرية بعدها وهى أفكار لم تكن تحول بين التوجه القومى واليسار فى دائرة اللقاء التى كان أساسها الإيمان بالعدل الاجتماعى والعداء للاستعمار الذى كان حارساً للرأسمالية القائمة على الاستغلال وقد ظل رجاء محافظاً على فكره القومى، منتسباً إليه، مؤمناً به فى كل الأحوال، لا يتحول عنه مهما كانت التغيرات المعاصرة التى ناوشت وهددت مسار الفكر القومى ولا أزال أذكر مقالاته فى ذلك خصوصاً تلك التى جمعها فى كتابه «الانمزيون فى مصر» الذى كتبه رداً على دعاة انفصال مصر عن محيطها العربى ولذلك كان رجاء النقاش متأثراً على نحو خاص بأستاذنا عبدالعزيز الأهوانى الذى كان أبرز القوميين بين أساتذة قسم اللغة العربية الذى تخرج فيه رجاء النقاش ولكن كانت سهير القلماوى الأستاذة الأكثر تأثيراً فى وهى رجاء النقاش، أولاً لاقترباه من الأدب الحديث ووقوفه فى صف التجديد فى هذا الأدب وضرورة انفتاحه على آداب العالم، ودراسته من هذا المنظور وكانت سهير القلماوى، التلميذة الأقرب إلى طه حسين، نصير الجديد دائماً، هى النموذج الذى يجسد هذا المنزع أكثر من غيره فى قسم اللغة العربية، وكان ذلك فى زمن أمين الخولى الذى تحلق حوله شكرى عياد وفاروق خورشيد وغيرهما من أعضاء الجمعية الأدبية المصرية، ومؤسسيها فى ما بعد وكان رجاء النقاش أقرب إلى صلاح عبدالصبور الذى تخرج قبله فى المنزع الحداثى نفسه ولذلك لم يكن من المصادفة أن يقوم كلاهما بتسجيل عنوان أطروحة ماجستير، تحت إشرافها فى قضايا التجديد الأدبى عموماً، والشعر خصوصاً، ولكن للأسف حال انشغالهما بالصحافة، والفرق فى دواياتها من دون الانتهاء من أطروحتى الماجستير اللتين حلما معاً بإعدادهما.

ولقد تخرجت فى القسم نفسه الذى تخرج فيه كلاهما، وبعد تسع سنوات من تخرج رجاء على وجه التجديد وابتدأت معرفتى له بقراءة ما يكتب فى «أخبار اليوم» ما بين ١٩٦١ و ١٩٦٤ وكانت البداية أن استأذنتنا جميعاً، سهير القلماوى، قرأت معنا فى إحدى محاضرات النقد التطبيقى، إحدى قصائد أحمد عبدالمعطى حجازى من ديوانه الأول «مدينة بلا قلب» وكان الديوان قد صدر منذ سنوات معدودة وكان تدريس سهير القلماوى، وقد كانت ملء سمع النقد الأدبى ويصره فى

أدب ونقد



تلك الأيام، حدثاً ترك أعماق الأثر في نفوسنا، وفي تذوقنا للشعر الجديد الذي بدأنا ننحاز إليه بفضلها وكانت النتيجة أننا اشترينا الديوان الذي صدر عام ١٩٥٩ مع دراسة باللغة الأهمية كتبها رجاء النقاش الذي كانت دراسته خير مقدمة لشعر أحمد عبدالمعطي حجازي، وخير مدخل إلى الشعر الحر عموماً وسرعان ما اكتشفنا أن كاتب هذه المقدمة هو رجاء النقاش الشاب الذي تخرج قبلنا بتسع سنوات عام ١٩٥٦ على وجه التحديد.

ولا أزال اعتقد، إلى اليوم، أن هذه الدراسة الاستهلالية لديوان حجازي كانت، ولا تزال، إحدى وثيقتين رائدتين في مجال تبرير الشعر الحر وتحليله. أما المقدمة الثانية، فقد كتبها بدر الديب لديوان صلاح عبدالصبور الأول بالناس في بلادى، الذي صدر عن دار الآداب، البيروتية في مطلع ١٩٥٧، قبل صدور ديوان حجازي بعامين ويعنى ذلك أنني قرأت ديوان صلاح عبدالصبور الأول بعد أن قرأت حجازي الذي أكملت ديوانه الأول بعد أن قرأت دراسة رجاء قراءة الطالب الذي يريد أن يفهم ويتعلم وينحاز إلى قضية الشعر الحر التي أصبحت أهم قضايا التجديد الأدبي لأبناء جيلى.

وقد كانت الدراسة التمهيدية التي كتبها رجاء لديوان حجازي هي البداية التي دفعتنى إلى السعى وراء قراءة ما يكتبه في النقد الأدبي وكانت البداية في جريدة «أخبار اليوم»، التي كان يكتب لها مقالاً أسبوعياً في النقد الأدبي وكان، أيامها، منغمساً، قبل السنة السابقة على تخرجى بكتابه، مقالات من المالم الروائى عند نجيب محفوظ، الذي كان قد استقر على عرش الرواية العربية من دون منازع، وانهالت عليه مقالات يحيى حقى ورمسيس عوض وعبدالقادر القط وسهير القلماوى وأحمد عباس صالح ومحمد مندور وغيرهم من كبار النقاد في الستينات من القرن الماضى، ولكن رجاء النقاش أثار أن يرى روايات نجيب محفوظ بعدسة نقدية مغايرة، فاكشف جوانب لم يكتشفها أساتذته، وكان لما اكتشفه أبلغ الأثر في إعجابى به بوصفه ناقداً أدبياً وأصداً، مرهف الإحساس، فقد كان نقده لا يقل أهمية ولا قيمة عن نقد أساتذته، بل كان يضيف إليهم ما تهديه إليه بصيرته النقدية النافذة وأذكر، على سبيل المثال ما أجمع عليه النقاد في تناولهم رواية «الطريق» الشهيرة، حيث رأى أكثر النقاد فى بطلتها إلهام نموذجاً للمصفا الروحى المقرون بالطريق الهادى للابن الضال، كى يصل إلى أبيه الرمزى الحقيقة المطلقة وهناك يجد، لديه

**أدب ونقد**

ويواسطته، الأمن والسلام والكرامة، على عكس كريمة التي راوها تجسيدا لعالم الحواس والفراغ الفارق فيها الابن صابر وللأسف مغزا، فيعجز عن الوصول إلى فيء أبيه وصدره الحنون، فإذا برجاء النقاش يقلب التفسير، ويجعل من كريمة موئل الروح التي لا تصل إليها إلا بعد أن نصل إلى قرارة القرار من الحسية التي ليس بعدها سوى الروح، وذلك بمنطق له بعد صوفي بمعنى أو بآخر.

هكذا انتقلت مع كتابات رجاء، قارئاً، من الشعر إلى الرواية، ومن الرواية إلى المسرح ومضيت متابعاً له، مستمتاً بما يكتب إلى أن انتهت الحقبة الناصرية، واضطر إلى العمل في قطر، رئيساً لتحرير مجلة الدوحة واستطعت خلال هذه الفترة أن أصوغ صورة لنقده الأدبي في ذهني، خصوصاً بعد أن استهوأت الجانب التنظيري، أو النقد الشارح، للنقد وانتهيت إلى أن نقده يتميز بسمات أساسية عدة.

أولها أنه نقد متطور، يفيد من التطورات الأخيرة لنظرية التعبير في ذلك الوقت، وأن العملية النقدية تبدأ عنده منذ اللحظة التي يتأثر فيها وجدانه بالعمل المقروء، ويسعى إلى فهمه وتفسيره، ومن ثم تقييمه وما بين الفهم والتفسير، يظل مشغولاً بجمع القرائن الدالة التي يجدها في العمل، ويصل بينها لتصور معناها، قبل تقديم هذا المعنى إلى القارئ في هيئة تفسير للنص وهي عملية تقضي إلى تحديد القيمة الموجبة للعمل أو نفيها عنه وهو في ذلك كله لم يكن يتطلع إلى إجراءات معقدة مثل البنيوية التي نقر منها، وما جاء بعدها، مثل التفكيك وغيره من البدع التي كان يمزج معي، مبرراً موقفه منها.

وثانياتها أنه ظل يرى في الناقد قارئاً خبيراً، اكتسب تجارب عميقة من طول معايشة النصوص الأدبية والغوص فيها، ولذلك جعل دور الناقد أشبه بدور الوسيط الذي يجمع بين طرفين يحبهما، النص الأدبي والقارئ، مؤكداً هذا البعد بنقده التطبيقي الذي يسعى إلى إيصال معنى النص إلى القارئ في بساطة آسرة، بعيداً من التعمق أو التعقيد، أو التنظير المتعالي، أو التقليد الساذج لنقد آخر أجنبي على وجه الخصوص وكانت نصوصه النقدية، في معظمها، رسائل محبة إلى القارئ عن نص محبوب، فقد ظل رجاء أميل إلى الكتابة عن النصوص التي يحبها، والتي يهتز بها، **أدب ونقد** ولم يكتب عن النصوص التي نقر منها أو رآها عديمة القيمة.

وثالثتها أنه كان يتمتع ببصيرة نقدية، تجعله قادراً على اكتشاف الجوهر الصافي في النصوص، قبل أن يكتشفها الآخرون، ولذلك كان هو السابق في الكشف عن جوهر شعر أحمد عبدالمعطي حجازي، ممهداً الطريق أمام من جاء بعده من نقاد حجازي وقد جاء بعد حجازي بسنوات اكتشافه الطيب صالح الذي لم يكن هناك أحد يعرف عنه على امتداد العالم العربي، فإذا برجاء يمسح التراب وغبار عدم المعرفة عن راعته، موسم الهجرة إلى الشمال، مؤكداً ظهور عبقرية فريدة في الرواية العربية وكان نقده لرواية الطيب صالح بداية لاهتمام متزايد بهذا الروائي الذي ما كان العالم النقدي ليحتفل به إلا بعد أن أزاح رجاء الستار عن تفرد إبداعه الروائي وقل الأمر نفسه عن شعر محمود درويش وشعر شعراء المقاومة ثانياً، وكانت النتيجة كتابه عن محمود درويش الصادر عن دار الهلال، القاهرة وكان ثمرة اكتشافه محمود درويش الذي كان لا يزال مجهولاً بالنسبة إلى النشاط النقدي الأدبي والذائقة الشعرية عموماً ولذلك فليس من المبالغة القول إن نقد رجاء النقاش التعريفي والتفسيري والتقييمي لمحمود درويش، وبعده شعراء المقاومة، بمثابة الضوء الذي وضع درويش وأقرانه في الدائرة التي سرعان ما جذبت إليها الجميع، فتسابق في اكتشافها وتناولها، إلى درجة أنها أصبحت، موضحة.

ورابعها أنه كان يؤمن أن أي نوع أدبي لا يمكن فهمه إلا في علاقته بغيره من الأنواع، فالأدب كيان متكامل، تتبادل أدواحه التأثير والتأثير، وتقوم بالعملية نفسها مع الفنون التي تتجاوب إبداعاتها وتتراسل على نحو لا يمايز بينها إلا بنوعية الأداة التي تقتزن بطبيعة الفعل التعبيري للإبداع من ناحية، وطبيعة الموضوع في علاقته بالمتلقي الذي يتلقاه من ناحية مقابلة ولذلك كان رجاء يكتشف عمليات التراسل بين النصوص الأدبية، وبينها والأعمال الإبداعية في الدوائر المتسعة من عمليات الاستقبال والتلقي.

وخامستها أنه ظل على إيمانه في عملية التقييم المرتبطة بالتفسير أن للأدب وظيفة إنسانية، تجاوز لغتها إلى غيرها من لغات العالم، وأن الفصوص إلى قرارة القرار الإنساني من المحلية هو الطريق إلى العالمية، وأن الأديب المؤثر حقاً هو الأديب الذي يتميز إلى جانب عمق مشاعره وصدق إحساسه بحرصه على التواصل مع قرائه، والوصول إلى أوسع دائرة من المتلقين، غير ناس أنه ينتسب إلى مجتمعات تغلب عليها، بل تتزايد، الأمية ولذلك ظل ناهراً من ما رأى فيه تعقيداً مسرفاً

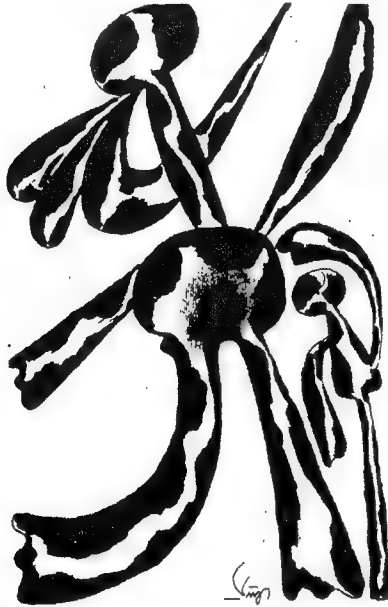
**أدب و نقد**

في الرمزية لا المبريالية، مؤثراً الوضوح الأبولوجي على الغموض أو الجنون الديونيسي، فكان أميل إلى حجازي وصلاح عبدالصبور ومحمود درويش في مواجهة أدونيس وغيره من شعراء الحداثة ذات الجذور الفرنسية التي كانت، ولا تزال، مختلفة كل الاختلاف عن الحداثة التي ترجع إلى جذور أنكلوسكسونية.

وكان البعد الفني في هذا الجانب الأخير الوجه الآخر من البعد القومي، فقد ظل نفوره من أدونيس نابياً من تصوره أن شعره تجسيد لرؤية الحزب القومي السوري للعالم، واصفاً إياها بأنها رؤية فينيقية غير عربية، وأن إبداعه غريب الوجه واليد واللسان للقارئ العربي ولذلك، أيضاً، ظل أقرب إلى شعر أحمد حجازي القومي، ناهراً من تحولاته الأخيرة التي انقلب فيها على القومية والناصرية وبالقدر نفسه، ظل أقرب وجدانياً إلى شعر صلاح عبدالصبور الذي كان حريصاً على استكتابه في الدوحة القطرية، حين كان رئيس تحريرها، كما ظل أقرب إلى تحولات صلاح الشعرية، في القصائد الغنائية والمسرح الشعري، أعنى التحولات التي ظلت أقرب إلى الوضوح الأبولوجي منها إلى الغموض والجمود الديونيسي، فشعر صلاح شعر من كان يريد أن يرى الجمال في النظام/ وأن يرى النظام في الفوضى».

وهما سطران يصوغان في إيجاز بالغ، مذهب رجاء النقاش في الحياة والفن. وليس من المصادفة، والأمر كذلك، أن تتوثق العلاقة الإنسانية بين صلاح عبدالصبور ورجاء النقاش، فقد كان كلاهما بالغ التقدير للآخر، كما ظل كلاهما، ويا للمفارقة، منظوياً على جرح لم يندمل، وندم لم يكن له علاج ناجع، فما أكثر ما كان يحدثني كلاهما، بعيداً من الآخر، وفي لحظات استرجاع التاريخ الماضي، عن الأسف البالغ لأن كليهما فرق في الرمال المتحركة للمصحافة، فأخذ من كل شيء بطرفه وخاض معارك خاسرة، وفرض عليه ما لم يكن يميل إليه، فانشغل عن التفرغ اللازم للبحث العلمي الهادئ طويل النفس، ونسى حلمه القديم بالاستمرار في الطريق الأكاديمي، لكن وآه من قسوتها، لكننا، لأنها تقول في حروفها الملفوفة المشتبكة/ بأننا ننكر ما خلفت الأيام في نفوسنا/ نود لو نخلعه/ نود لو ننساه،.

ولكن، وليس آه من قسوتها هذه المرة، على الأقل في نظري، فقد حقق كلاهما إنجازاً يدعو إلى الضحار، وأضاف كيفياً وعميقاً، في مجاله النوعي، وكلاهما أثر، ولا يزال، يؤثر في أجيال متتابعة، وكلاهما انطوى، في إنجازاته وإضافته، على أدب وقد إيمان عميق بالإنسانية وجعل من ممارسته الإبداعية والنقدية منارة



تستضيء بها الأجيال المتعاقبة، ويستهدى بها وطنه في الطريق الشاق للانتقال من شروط الضرورة إلى آفاق الحرية، ولذلك سيبقى منهما الكثير للتاريخ، وسيظل فقدتهما جرحاً عميقاً، غائراً، لا يندمل في نفس، وحزناً لا يفنى ولا يتبدد، فقد كان كلاهما صديقاً حميماً، وأخاً كبيراً راعياً، وزميلاً سابقاً في القسم الذي انتسب فيه، مثلهما، إلى تقاليد طه حسين الجذرية، العقلانية التي استمرت في تلامذته المباشرين، وانتقلت منهم إلى صلاح ورجاء، ومنهما معاً إلى، من ينزل منهما منزلة الأخ الصغير الذي أدركته، مثلهما، حرفة الأدب فوداعاً يا رجاء، يا

أدب وفقد شبيب، يا أخى ■

# المحب الفاضل

## فريدة النقاش

أذكر الآن جيدا الكلمات الأولى للرسالة التي كتبتها له حين سافر إلى القاهرة عام ١٩٥٢ ليلتحق بالجامعة، وكنا لانزال في قريتنا، منشية سمهود، دهلية قبل أن نشد رحالنا إلى العاصمة حتى نكون إلى جواره وندخل إلى الجامعة تباعا، نحن الأشقاء الثمانية من الأسرة الريفية المستورة بالكاد، والتي وجدت في التعليم قارب نجاة سيره أبى المدرس والشاعر، عبد المؤمن النقاش، رحمه الله بمهارة وتفان، وكانت رفيقة عمره قد خذلته حين مرضت مرض الموت بعد وصولنا إلى القاهرة وكأنها لم تحتمل الحرية في مدينة بلا قلب فقررت أن تعود إلى الريف. بالأديب الفاضل أخى الحبيب، هكذا بدأت الرسالة الأولى من حياتي. فكرت طويلا في هذه الكلمات التي خيل إلى حينها أنني أبدعتها وحدى حين كنت أنظف زجاج اللبنة الجاز ذمرة عشرة التي حذرتني أمى من كسرهما .. وكنا نستعد لدخول الليل الذي طالما أحسمته شديد الحلقة في القرية إذ تنطلق فيه العفاريات والأشباح والجوارح دون خوف من عيون النهار والبشر كما كانت تحكى جداتنا ونصدقهن. حدثت «رجاء» في خطابي عن ما قرأته، فقد كان هو بعد أبى رحمه الله أول من أعطاني كتابا أذكر أنه كان رواية مترجمة للأمريكي «جون شتاينبيك» .. قال لى خذى وإقرئى فلم أكف عن القراءة أبدا بعدها. كذلك هو الذي اختار لى قبل أن يسافر فستانا أصفر جميلا مزينا بوردة حمراء لم أستطع أن أخبئها في كراسى كما يفعل العشاق لأنها

أن أكتب من  
«رجاء»  
النقاش، أخى  
وأستاذى  
فكانها أكتب  
عن نفسي،  
وهل يكتب  
الإنسان من  
نفسه دون أن  
يكذب؟

أدب وفد

كانت من قماش .. كان فستانا للعيد ارتديه لأجريه قبل أن يحل الصباح فلم يرق له انه ليس مكويا فحمله إلى المكوجى وعاد به لكى يلقى الفستان بالملكة فريدة.. تلك الملكة الطيبة التى أنا سميتها ، وقد أحببتها ، أمى، كما أحبها المصريون وتعاطفوا معها لأنها كانت مظلومة فهي امرأة فاضلة وبسيطة تتحمل العيش مع الملك الفاسد ، فاروق، ولا تنجب سوى البنات، وكان الملك متلهفا لإنجاب وريث لعرش أسرة محمد على، ودستور العائلة لا يعترف بولاية النساء فتزوج «ناريمان» التى أنجبت له ولى العهد.

لا أنسى الفستان الأصفر ولا الوردية الحمراء، وأفكر الآن فقط أن هذا هو سر حبي الفاسد للون الأصفر والذي يحرك فى سرورا غامضا وحنينا لماضى بلا هموم ملأته الطفولة بسعادة مجانية.

هل أحكى حين لدغتنى عقيرة ذات مساء وحملنى هو بلهفة إلى حلاق الصلحة لكى يخرج الدم الفاسد من ذراعى ؟ أم حين حقنه الرجل نفسه بحقنة بنسلين - على ما اظن - فأغمى عليه، وكدت أموت خوفا وأخذت أصلى وأبكى إلى أن عاد إليه الوعي ؟ أم حين تعرض للفرق ذات مرة وهو يصطاد فى التربة ومنعنا أبى جميعا من السباحة والصيد، ولكن بعد أن كانت البلهارسيا قد لبدت فى أجسادنا وأخذنا نعالجها حتى بعد أن نزلنا إلى العاصمة، وماتت «أمى بسببها».

أخى رجاء محب للتأمل، وهو فضلا عن ذلك حكاء من طراز فريد، يملك حسا ساخرا جميلا ويسأل كثيرا عن معنى السعادة، ويحتل الرضا من قاموس مفرداته مكانا مميزا، وإن كان هو ليس راضيا، محبته غامرة وخصومته قاسية وشوقه للمعرفة بلا حد.

طالما سألت نفسى من أين يأتى «رجاء» بهذه العاطفة الجياشة تجاه الفقراء والفلاحين على نحو خاص، هل هى تجربتنا نحن مع الفقر والأيام الصعبة التى عشناها والتى علمته الصبر والجلد والمثابرة، وملأته بالخوف على مستقبل من يحبهم .. أم أنها الثقافة الواسعة والمعروفة العميقة بتراث الأدب العالمى كتعب فياض لرهافة المشاعر.. وأقول لعله التفاعل الخلاق بين هذه العوامل مجتمعة.

وحين أسأل نفسى: ترى كيف نجونا بعد هذه الرحلة الطويلة الصعبة أجد أن «رجاء» هو بطل هذه النجاة .. إنها الصلابة التى تعلمناها منه حين عمل ليل نهار وهو طالب فى الجامعة لنقف على أقدامنا، وتحمل فى صباه وشبابه الأول مسئوليات جسام ينوء بها الكبار كنت أتأمله حين يعود ماضيا من جامعة القاهرة فى الجيزة لبيتنا القاهري الأول فى شبرا حتى يوفر قروش المواصلات ويعود مرة أخرى فى المساء ماضيا أيضا إلى مقهى «عبد الله» فى ميدان الجيزة ليلتقى «أنور

أدب ووقت

المعداوى، الناقد الذى أنصفه هو بعد ذلك وكان صديقا حميما له، وكان نضر من الأدباء الذين لمعت أسماؤهم فى الحياة الثقافية بعد ذلك يلتقون كل مساء هناك.. وطالما راودتنى نفسى أن اذهب لولا أن النساء لا يرتدن المقاهى الشعبية.

وكنت شاهدة على قصة حبه الأولى فى بداية الخمسينيات التى تألم بسببها كثيرا، وكتب عنها «أحمد عبد المعطى حجازى، قصيدته، الأميرة» والفن الذى يكلم النساء، ونشرها بعد ذلك فى الديوان الأول «مدينة بلا قلب» الذى كتب له «رجاء» مقدمة ضافية تعد حتى الآن من أهم الدراسات النقدية عن شعر التفعيلة فضلا عن أنها قدمت «حجازى» تقديما يليق بموهبته الكبيرة.

كما أن «رجاء» هو أول من قدم للوطن العربى شعراء المقاومة الفلسطينية وعلى رأسهم «محمود درويش» فى وقت لم يكن العرب يعرفون أى شىء عن فلسطينى ١٩٤٨ الذين يعيشون فى إسرائيل ويتمرضون للتمييز ويحتمون بثقافتهم ويقدمون إبداعا جميلًا .. وقد تجاهلهم العرب الآخرون كأنما ليسوا النكبة التى حلت بهم.



ولولا أننى كتبت هذه الكلمات بمجلة وفى ظرف خاص جداً لكنت وضعت كتابا كاملا لا فحسب عن علاقته الحميمة - بل والشائكة فى بعض الأحيان - مع «رجاء»، وإنما أيضاً عن إنتاجه الفنى المتنوع والأصيل الذى جعله واحدا من أهم نقاد زماننا وهو يواصل مسيرة «طلح حسين» والعقاد، مضيفا تفردا الخاص، كنت سأكتب باستفاضة عن منهجه النقدى الإنسانى، أو ما كانت «هى زيادة» قد أسمته بمنهج العطف النقدى الذى وإن كان يقرأ الأعمال الأدبية والفكرية بعين الناقد الذى يمتلك أدواته بما يمكنه من وضع النص والكتاب فى المكان الصحيح، فإنه يتسم أيضاً بالمحبة الغامرة وهو يلتقط بمهارة مكامن القوة والموهبة، ويظل يرعاها ويرعى صاحبها مهما كان مغفورا إلى أن يشتد عوده، وينهض، كما بحث فى النص عن القيمة الإنسانية العليا التى تنعكس فى الشكل والأدوات.

يفرح «رجاء» أيما فرح لكل كشف جديد فى عالم الأدب والفكر ويظل يفتش بدرية صياد اللآلئ الماهر الذى يعرف كيف يفرق بين الأصداف والمحار. ومن من كتاب لم يكن يعرفهم أحد وحين سلب عليهم رجاء ضوء محبته استطاعوا أن يشغلوا المكان اللائق فى عالم قام تقوده المصالح الكبيرة وحتى الصغيرة، وتحكمه الجماعات والمقايسات ساعدته على إنجاز هذه المهمة الجليلة الموضوعية دائما على جدول أعماله، قدرته الفائقة على الإحياء، وبكم من مؤسسات محصنة كانت قد ماتت وركدت وحين تولى قيادتها بث فيها روحا وحياة، ودفع بها إلى متن الحياة الثقافية

أدب ونقد



والفكرية في مصر والوطن العربي، إذ أنه يرى أن مهمة المثقف المصري لا تكتمل إلا في بعدها المري وروحها القومية التقدمية الإنسانية الخلاقة.

حين أعاد إدوارد سعيد قراءة كتابه المدة الاستشراق بعد ربع قرن من صدوره مراجعاً بعض الأحكام والفرضيات والتوجهات الفكرية فيه، كتب يقول: لقد استقر بي المطاف على النزعة الإنسانية في شمولها وغناها، وأنا الآن حين أطل على عناوين كتب «رجاء» التي قراتها أكثر من مرة، وتعلمت منها شأني شأن الكثيرين، أقول إنه «رجاء».

وعلى العكس من إدوارد سعيد - قد بدأ بالنزعة الإنسانية ميكر جداً منذ كتابه الأول الذي صدر وهو في الرابعة والعشرين من عمره حين رأى في الإنسان أرفع القيم، واعتبره جديراً باجتهاده كي يصبح إنساناً ويخرج من طور الوحش، ودافع عن كرامته وحقه في الحياة وحرية، ووثق به ويقدرته - لو توفرت له الظروف المواتية - على أن يرتقى إلى ما لا نهاية ويسيطر على مصيره، ويذهب إلى أقصى ما يمكن أن تحمله إليه مواهبه التي تستفتح دونما قيود في مملكة الحرية هذا لو تخلص الإنسان إلى الأبد من ذلك الخوف والحاجة وحينئذ سوف يقطع هذا الإنسان كل صلة له مع الوحش ليفوص تاريخه الأول في الأعماق الفائرة للأرض الإنساني. ورغم أن نجيب محفوظ المتشائم الإنسان هي بلا حد... ذلك الإنسان الذي بوسعه دائماً أن يصنع نفسه.. ألم يفعل هو ذلك بالضبط؟

وفي نزعة الإنسانية تلك يمزج «رجاء» بين التراث العقلاني المجيد للثقافة العربية الإسلامية وصولاً إلى صصور الأحياء والنهضة، وبين تراث حركة التنوير الأوروبية والفكر الاشتراكي بمدارسه المتنوعة وكلها تضع الإنسان في أعلى مكان، ذلك الإنسان الذي يستحق الرحمة وليس العقاب بصرف النظر عن دينه أو جنسه، عن لونه أو طبقته، ومن كل هذه المنايع راكع «رجاء» شحنة نفور إضافية من الاستغلال والظلم وانسحاق الفقراء وإذلالهم.. وطالما دافع بحرارة عن مبادئ حقه، ومن هنا كان حبه العميق لجمال عبد الناصر وحلمه، ذلك الحلم الذي كان مثل صاحبه قصير العمر، عبد الناصر الذي أطل من شبائك قطار كان يحمله إلى بلد في صعيد مصر ذات يوم والتفت إلى محدثه قائلاً:

- ها نحن قفنا بالثورة قبل سنوات وما زال الفلاح يعيش على البصل والمش.. فمتى

سنغير كل ذلك.. متى؟

متى حقاً؟

أدب وثقافة

## فى حوار معه لم ينشر : رجاء النقاش : حرية الخطأ .. مبدأ فكرى أساسى

د . محمد حسين أبو العلا

ها هو الحوار ينشر اليوم لفظاً ونصاً ليظل محفوظاً فى ذاكرة جيل بكلمات نابضة بدفقات الوعى وافكار منسابة تطوق الاجواء ورؤية منطلقة من افاق ملهمة .. ها هو ينشر اليوم أيضاً ليقرأه القاصى والدانى بعد أن كان رجاء هو قاره الوحيد !!

لم يكن ما حدث من شد وجذب وأخذ ورد بين المثقفين حول ما اثارته اعترافات الكاتب الكبير "نجيب محفوظ" خاصة منها ما ارتبط بثورة يوليو وزعيمها ورجائها، إلا أصداً باهتة على هامش مساحات الحرية التى تجاوزت لديهم كل حد فتحوّلت إلى رعونة ثقافية وفوضى فكرية بدلا من كونها قيمة عليا يدافع عنها المثقف الحق لا أن يسمى نحو هدمها !!

وربما لا تقف أبعاد القضية عندي عند مجرد آراء صدرت وافكار أذيعت ثم وجدت موجات عاتية من الصدود والمعارضة الجوفاء ، بل أن طرح القضية على وجهها الحقيقى له إيجابيات ودلالات تتجاوز الحصر لكنها لا تخلو من عمق خطير وهى أن المثقف المصرى وفى لحظاته التاريخية هذه لا تزال تحكمه العواطف والانفعالات ولا تزال لغته وادواته فى التقييم والتحليل هى المهادة أو الهجوم الصارخ بل لا يزال يترجم العالم بمنطق أحادى يتركنا بمشاهد مثيرة فى تاريخ

سنوات طوال  
صبرت منذ أن  
هاتفنى ناقدنا  
وكتابتنا الكبير  
رجاء النقاش  
مبدئياً ضرورة  
إرجاء نشر ذلك  
الحوار اثر لك  
الزواجر والمهاترات  
الثقافية  
المتاحة للعقول  
والأنفس ، وقد  
غالبتنى دواعي  
الحب والعشق  
الخاص فكان  
احترام الرغبة  
ادراكاً لغزى ما  
يرمى إليه من درء  
طاقات الغضب  
الطائش والمتفجر  
على السنة  
المثقفين ....

أدب وقد

القرن الوسطى !! غير مكثرت نهائيا بآليات تعامل وتفكير ذلك المثقف الغربى الذى يطرح اية قضية على وجهها وبرؤية متعددة املا فى الخروج منها بنتائج ترضى طموحاته العقلية دون أن ترضى جموحه النفس !!

ويعد هذه الجولة التى خاضتها بعض الصحف المصرية ساعية سعيا دؤويا نحو توجيه اللطمات "لنجيب محفوظ" "سعيينا نحن ايضا إلى الناقد والكاتب" "رجاء النقاش" لنستوضحه آراءه فى قضية التنوير وطبيعة الفكر وآثره وعلاقة المثقف بالواقع بشكل عام بعد أن طافت براسى شكوك وهواجس كثيرة حول ما يسمى مائة عام من التنوير الثقافى ، على اثر ما سمعنا وقرأنا من احفاد رواد التنوير !!

### معنى التنوير

• وفى البداية قلنا للناقد الكبير "رجاء النقاش" : ما تعيشه الساحة الثقافية الآن من أحداث ومواقف وافكار يستدعى بالضرورة الايمان برهض فكرة أننا قد عشنا قرابة مائة عام من التنوير ما رأيك ؟

- هناك حقائق تاريخية يجب أن نعترف بها ونظرة إلى المستقبل يجب أن تكون أكثر طموحا وأكثر عمقا مما نحسه أو نعيش فيه فلو نظرنا إلى مجتمعنا منذ أن بدأت حركة التنوير على يد "رعاة الطحطاوى" وحتى الآن نجد أننا قفزنا قفزات هائلة، فقبل مائة عام أو أكثر لم تكن نعرف شيئا عن التقدم فى أوروبا وكان مجتمعنا يعانى المرض والجهل والامية والانكفاء على الذات والارتباط بمفهوم سئ لتراثنا كله بما فيه الدين أى أن تراثنا تحول فى الذهن بسبب الجمود الفكرى الى خرافات واساطير واشياء معطلة بعد أن كان فى الاصل قوة دافعة الى التقدم والحضارة ، انه لا يستلعب أحد أن ينظر إلى التاريخ وإلى جهود مفكرى التنوير نظرة منصفة إلا ويقول إن المجتمع قد تطور تطورا كبيرا فى هذه الفترة وخذ مثلا اية قضية جزئية لتقيس عليها وضع المرأة فى القرن الماضى فبسبب دعوات التنوير القوية التى تبناها "رفاعة الطحطاوى" من أجل تعليم المرأة ثم دعوات "قاسم أمين" من أجل تحريرها من الكثير من القيود الاجتماعية فى اطار مسيرة الاصلاح الاجتماعى ثم دور طه حسين فى معاركه الضخمة فى سبيل دخول المرأة الجامعة المصرية حتى أصبح مفهوم تعليم المرأة عند الطبقات الشعبية وغير الشعبية مفهوما مقبولا ،وعلى مستوى آخر لو أخذنا الأزهر كمثال مع جهد معلم التنوير الأكبر الطحطاوى من

أدب و نقد

أجل أن يصبح الأزهر جامعة عصرية يتخرج فيها الأطباء والمهندسون تأكيداً لدورها كأقدم جامعة في العالم وكذلك الدور التنويري لمحمد عبده من خلال دعوته العظيمة للإصلاح الديني القائم على الاجتهاد العقلي وفك الاشتباك بين الدين والمصر أو بين المجتمع وقضايا الحضارة ورغم ذلك تعرض لمشاكل لا أول لها ولا آخر من أجل تحقيق معنى التنوير وتحرير المجتمع .

ويؤكد "النقاش" أن حركة التنوير هي حركة ضخمة ولا يمكن إنكارها لأن الفكر مؤثر في الحياة تأثيراً كبيراً جداً ولكننا نحن اليوم ننظر إليه نظرة متشائمة ومرجع ذلك إلى عدة أمور أولها أننا لا نعرف تاريخنا جيداً فمئة عام من التنوير نحن لا نقرأها قراءة جيدة فضلاً عن أن حركة التنوير يجب أن تصبحها دراسات موضوعية حتى نعرف ما كنا فيه وما انتهينا إليه

ونقطة أخرى هي أن كل الشعوب تتعرض لهذه الأزمة فبعض اللحظات يكون فيها ضغط الواقع كبيراً جداً حينها تكون المشكلات أكبر من الجهد المبذول للتغلب عليها ، وبالتالي نحن نمر بمرحلة من هذه المراحل حين نقارب بين موقفنا الآن وما يحيشه العالم من قفزات ضخمة نستشعر على أثرها شكلاً من أشكال الأزمة النفسية ويضيف "النقاش" إن الإنفعال الوقتي لا يكفي لمعالجة المشاكل وبالتالي فالمطلوب وخاصة من المفكرين والمثقفين وأصحاب الرأي أن يدرسوا ويفهموا أصل وجذور المشكلة ويحاولوا حلها على ضوء ما حدث من قبل أو على ضوء أفكار جديدة من الممكن أن يتوصلوا إليها فنحن لسنا بحاجة إلى ادانة الماضي ممثلاً في حركة التنوير لأن هذه الحركة كانت تمثل إجابة حاسمة على مشكلات موجودة في عصرها بينما نحن اليوم نماني مشكلات أخرى جديدة !!

## الاستقلال الثقافي

• إذن أنت تعتبر أن جيل الرواد قد استطاع إعادة صياغة الفكر المصري؟

- نعم .. ويكل تأكيد فحركة التنوير المصري إذا أزعجنا منها من أخطر حركات التنوير الفكرية في العالم لأنها استطاعت أن تخلق مجتمعاً مؤهلاً لأن يتحمل مسئولية الاستقلال وبناء دولة حديثة وأنا اتفق مع مقولة طه حسين في أن الاستقلال الثقافي هو أساس الاستقلال السياسي والاقتصادي لأنه إذا لم يكن لديك عقل متحرر وقادر على المناقشة والعلم والاستيعاب فأنت لا تصلح إلى

أدب ونقد

الاستقلال لأن البداية من العقل والفكر، أقول إن جيل التنوير قد أدى دورا في منتهى القوة والخطورة انعكس على تطور المجتمع في كل المجالات ، فالذي يقرأ مجلة الرسالة القديمة يجد أن معظم الأفكار والمبادئ التي جاءت ثورة يوليو لتنفيذها .. على مدى ٢٠ سنة كان شغلها الشاغل هو ترسيخ هذه المبادئ في أذهان الناس ، بل أن عبارة الأعداء الثلاثة : الفقر والجهل والمرض هي عبارة مجلة الرسالة التي انتشرت في الشعب كله دون أن يعرف أصلها وهي عبارة أطلقها " أحمد حسن الزيات " وأكثر من ذلك انى قرأت في أحد مجلات الرسالة دعوة لإنشاء السد العالي .. ما رأيك ؟ في مقال واضح الملامح والمعالج من ضرورة إنشاء السد وفكرة العروبة وإن مصر جزء حيوي من الأمة العربية لمهندس شاب ، أقول .. إن عشرات المجلات الثقافية التي ظهرت في بدايات هذا القرن مثل الثقافة والرسالة والكتاب المصري ساهمت في خلق حركة تنويرية أكدت مبادئ عامة شاعت وأصبحت موجودة في المجتمع ولما جاءت الثورة وبدأت تحققها لم تجد صعوبة ما لأن المجتمع أصبح مهيا بذاته لاستقبالها وهذا هو دور الفكر التنويري الصحيح ، ولو جاءت هذه الثورة في أي عصر وطالبت بما طالبت به دون أن يكون هناك تهديد فكري لذلك لم تكن تتجح إطلاقا لولا الأعداد الذهني والروحي الدافع بالحركة للامام ، فالفكر ليس قرار أو قانونا تصدره إنما هو عملية تنوير بالمعنى المادى .

### • كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" هل مازال يحظى لديك بما كان يشعه من رؤية تنويرية خاصة أم ان الزمن قد تجاوزه ؟

- الزمن لم يتجاوز أكثر كتابات طه حسين، وما يشعه هذا الكتاب من رؤية تنويرية لا تزال نستلمهما ، فهذا الكتاب كان يناقش فكرة مستقبل الثقافة بعد الاستقلال لكنه أيضا كان يمثل دعوة صريحة نحو التمسك بالعناصر الإيجابية في الشخصية الأممية مع الانفتاح على حضارة العالم والاستفادة منها على عكس ما كان يطلب أعداء التنوير آنذاك .

ويصف عامة أجاب "طه حسين" على أسئلة عصره أجابة مستقبلية رائدة يمكن أن يستفيد منها مثقفونا الآن من حيث دراسة تاريخية الظواهر بشكل عقلاني وإخضاع كل شئ للمنهج العلمي الدقيق والجرأة العقلية النادرة ، وفي هذا الاطار اعتقد أن "طه حسين" قد حقق نصرا كبيرا في معركة كتابه "الشعر الجاهلي" الذي صدم به الحياة العقلية في مصر واستطاع أن يدير هذه المعركة متغلبا زوايها

وعواصمها حين اعتقد أن المواجهة والصدام غير مجديين ، وفي رأيي

أد- وقد

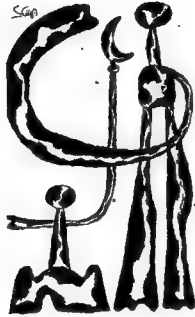
انه قد استخدم المنهج الفاي في هذه المعركة فكان يقرب ويبعد وينتظر ثم يبدأ مرة أخرى .اننى مهما انسى من "طه حسين" قلن أنس مقالته المعجزة "حرية الخطأ" أبان شهور الثورة الأولى والذي كان يكرر فيها انه ليس كل من يخطئ تكسر رقبته فالوصول للنتيجة السليمة يستلزم حرية التجربة والخطأ ))

## التغيير الحضارى

• هناك مقولة مهمة للدكتور "مراد رهبة" تؤكد أن مصريها مفكرون متنورون وليس بها تيار تنويرى ؟

- بالطبع لا أوافق على هذه المقولة لأنها تحمل نوعا من التشاؤم لدى الدكتور مراد وهبة نتيجة للكثير من الأحوال القائمة فى المجتمع الآن وهذا التشاؤم لايمكسه على الواقع بل يعكسه على التاريخ بدليل أن الكلام الذى قلناه عن قاسم امين مثلا يعبر عن ان دوره مستمر الى الآن ونحن فى حاجة إليه أكثر لأن هناك ردة حضارية موجودة الآن وبشكل مفرغ يدعونا إلى الرجوع لجنورنا التنويرية ،وبالتالى كيف يقال ان حركة التنوير لم تثمر شيئا بينما هى حركة رهيبة ومؤثرة تطور فيها الازهر وتحررت فيها المرأة وتم إقناع المجتمع بالحضارة الغربية وعدم الاحساس بأنها حضارة معادية لتراثنا وتقاليدنا وقيمنا وانا على يقين من إخلاص وصدق الدكتور "مراد وهبة وحسن "نواياه نحو الثقافة والفكر ولكن اقول له ان تاريخ التنوير عندنا يمكن أن يعطيه الكثير من التفاؤل وان الفكر لا يضيع والفكرة الجيدة ستظل معلقة فى الهواء الى ان تتحقق بعد ان تلمذ المجتمع ، والتطور هو فكر يقدمه المستنيرون والمبدعون ثم يشيع فى المناخ العام فى المجتمع ثم تأتى حركات التطوير والتجديد لتنفيذ ما شاع وما استقر فى الأذهان وائ مفكر مستنير يدعو إلى اراء مستقبلية لا تتحقق فى عصره ولكنها تتألق يوما بعد يوم لدرجة اننا نذكره وكلمنا مر الزمن تذكرناه أكثر مستوحين تاريخ حياته وافكاره لأن الأفكار الجيدة لا تموت والمفكر الذى يتصور ان الفكر رخاء ورفاهية هو تفكير قاصر لا يأتى من قبل المفكر الذى يحمل صورة للمستقبل ويحمل هم التغيير الاجتماعى والحضارى والفكرى فالافكار تعيش فى عقول الناس تختمر وتنضج ويضاف إليها وبعد ذلك تجدها فى لحظة انفجرت ثم اثمرت .

أدب وثقافة



• الساحة الثقافية الآن ؟ ماذا تحتاج من وجهة نظر ناقد في قيمة رجاء

النقاش ؟

- الساحة الآن تحتاج إلى مفكرين شجيمان لهم رؤية فكرية مستقبلية تدفعهم بأمانة وصدق نحو اجابات جديدة قوية للأسئلة المطروحة الآن ولابد أن يكون هناك وصل بين قوة الرأي العام وقوة المفكرين . خريد فكرا شجاعا لديه القدرة على الاقتحام والتواجد والا فسوف يزداد الظلام في العالم العربي حتى يتم تصحيح المعادلات القائمة وعلى رأسها معادلة وجود مفكرين مستنيرين مع رؤية مستقبلية قادرين على التأثير في الرأي العام والدولة والكوادر المستقبلية وبدون ذلك اظن ان المستقبل العربي سيتعثر كثيرا .

واقول انه لا ثقافة ولا ادب ولا فن إلا اذا كانت هناك رؤية مستقبلية ، هالثقافة هي ثمرة الاختلاف بين العقل الناضج الموهوب والواقع الممتلئ باخطاء وفي حاجة ملحة لتعديل فتخرج الفكرة الثقافية فكرة الاديب والفنان والمفكر لأن

الثقافة هدفها الاوحد هو التغيير والتقدم وتعديل اخطاء الواقع ■

أدب وفن

# الموت مُرَّ

## أحمد عبد المعطى حجازى

قبل خمسين عاما وبالتحديد فى العاشر من اغسطس عام سبعة وخمسين وتسعمائه والف دخلت دار روز اليوسف القديمة فى شارع محمد سميد باشا حسين حجازى الآن حيث كنت اعمل وجلست الى مكتبى لاجد برقييبنينى فيها شقيقى ان والدنا توفى اليوم.

كان الوالد فى نحو السبعين وليكنيشكو مرضا فلم يخطر لى ولا لغيرى حين زرقته قبل اقل من اسبوع ان النهايه قريبه الى هذا الحد وانها ستفاجئنا دون سابق انذار.

نهضت من مكتبى مهرولا متجها الى مواقف سيارات الاجره فى اول شبرا لالاخذ مكانى فى اول سياره متجهه الى قريتنا التى لا تبعد كثيرا عن القاهره مجتهدا فى الا تاخر حتى القى عليه النظرة الاخيره واشيعة مع المشيعين الى مثواه الاخير ووصلت السياره بعد اقل من ساعتين لالتقى المصاحاه الثانيه وهى ان الوالد مات بالامس ودفن بالامس وان البرقيه التى تلقيتها صباح اليوم ارسلت بالامس ووصلت بعد ان غادرت مكتبى فى روز اليوسف وكنت فى ذلك الوقت شابا اعزب لا يصبر كثيرا على البقاء فى منزله الذى لا يونسه فيه احد ولا يملك فيه من وسائل الاتصال مايمكن الآخرين من ابلاغه نيا كهذا النبا

الذى حدث لى قبل خمسين عاما مع ابى حدث لى منذ ايام مع رجاء النقاش.

أدب وقد



---

والنتيجة انى قرأت الخبر حين تسلمت البرقيه فلم التفت بسبب الصدمه للتاريخ  
الذى ارسلت فيه.

عدت الى القاهره وقد هالنى ما حدث لاكتب فى رثاء الوالد قصيدتى التى سميتها  
رساله الى مدينه مجهوله وفيها اقول:

ابى

وكان أن ذهبت دون ان اودعك  
حملت لحظه الفراق كلها معك

حملت الام النهايه احتبعت ادمعك  
اخفيت موجعك  
ثم اتفجع مخاطباً اصدقائى:-

مات ابييا اصدقاء  
الفرياء ودعوه بينما انا هنا  
لمحتهم فى الضغه الاخرى  
ظلالا فى غروب الشمس تنحنى  
على القبور

ما وجدت زورقا يقلنى  
لم استطع وداعه هيبومه الاخير!

\*\*\*

من الذى احتضننى بعد عودتى الى القاهره يواسينى ويخفف من لوعتى الحارقه  
ويحيطنى بدفله وحنانه؟ رجاء النقاش!

من الذى استمع الى قصيدتى فور انتهائى من نظمها؟ رجاء النقاش!  
من هم الاصدقاء الذين وجهت لهم الخطاب فى هذه القصيده؟ اولهم رجاء النقاش!  
فى تلك السنوات لم تكن نغترق وهاهى الفاجعه تتكرر ويكون بطلها  
الاول هذه المره رجاء النقاش!

أدب ونقد



فى الايام التى سبقت تكريم نقابه الصحفيين للفقيد منذ نحو شهر سقطت فريسه لنزله حاده منعنتى من المشاركة فى تكريمه فلم املك الا ان اكتب كلمه عنه تشرح حالى ولا توفى رجاء حقه ارجو فيها انيواصل المقاومه من اجل الكثيرين الذين يحبونه ويحتاجون اليه وقد دفعه نبلة لانيطليبنى فى التليفون ليشكرنى على ما قلتة فى هذه الكلمة بعد ان قراها فلميجد فى المنزل الا ابنى الذى اخبره انى مسافر ثم ابغنى بالتليفون ان الفقيد اتصل. كانت هذه اخر فرصه اسمع فيها صوته!

وانا متأكد من ان رجاء النقاش قاوم الموت بكل مايملك من طاقه روحيه وجسديه قاومه كما كانيقاوم الشر فى كل صوره وكان فى مقاومته للموت صبورا لانهمعرف ان معركه الانسان مع الشر معركه طويله وكان شجاعا لان احدا لايستطيع انيقاوم الموت مع احد وانمايقاومه كل انسان على انفراد فمن النبيل انيكون شجاعا. هذه الشجاعه ضروريه لنستنهض بها كل قواانا ونكسب معركتنا مع الموت فان لم نكسبها فهى ضروريه لتتقبله اذا ليكن منه بد.

وانا اعرف بعد ذلك ان رجاء النقاش ليقاوم الموت وحده بل قاومه معه كل الذين احبوه عرفوه او لميعرفوه وفى مقدمتهم زوجته وولداه واصدقاؤه لكننا فى النهايه نموت وحدنا!

ثم اننى اعرف شيئا اخر هو ان امثال رجاء النقاش قادرون على مقاومه الموت حتى بعد رحيلهم لانهم تركوا للحياه من نبضات قلوبهم وثمرات عقولهم ما لايستطيع الموت انيقريه اويفليه!



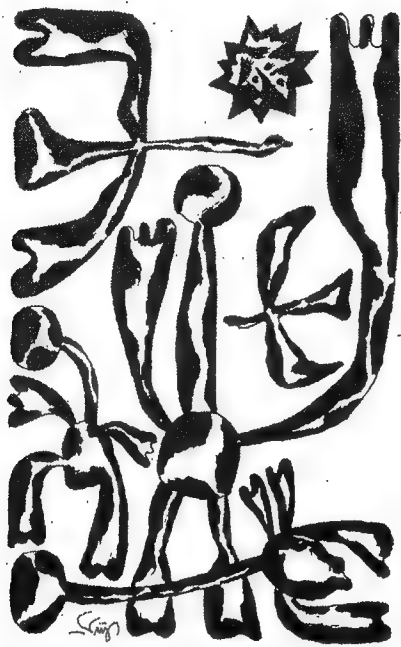
اكتب هذه الكلمه وانا لا ازال فى الضفء الاخرى فى فرنسا التى حملتنى على الرحيل اليها والبقاء فيها الى اليوم اسباب مختلفه لايدخل بعضها من قسوه تزيدها ايلاما انباء الرحيل التى اسمعها ولا استطيع المشاركه فى توديع الراحلين.

يا اصدقاء

لشد ما اخشى نهايه الطريق!

وشد ما اخشى تحيه المساء

أدب وفد



الى اللقاء!

اليمة الى اللقاء واصبحوا بخير  
وكل الفاظ الوداع مره  
والموت مر

وكل شئ يسرق الانسان من انسان! **أد-وقف**



## الورد (إلى رجاء النقاش)

ماجد يوسف

وشفنا النقد بيقرب لكل الناس  
وعشنا المعنى متشرب..  
.. برقة وقدرة ورهافة  
.. وروح حساس  
وكان الفصيل الواضح فى أى سياق  
خطاب زواج ما بين العقل والأعماق  
.. وعمره ما تاه عن البوصلة  
.. كما هو شأن أسلافه من الأصلاء  
وضوح للفكره بيكافئ صياغتها  
وعين على بكره تدى الروح بلاغتها  
وعمر الرؤية مازاغت ولا تاهت  
بصيرتها  
.. فى عز تكبر مضاد ليها  
ويبظاھر أعاديها  
دعوية مصر مش محتاجة للبراهين  
دخول العصرح يجدد خطاب الدين

صحيح الورد كان كاسى  
.. ومالى الأرض بالألوان  
.. وكله فى جنته راسى  
.. ومفيش فرصة لورده كمان  
لكن شفناها طالعة طلوع  
.. تشق طريقها للموضوع  
.. وتوسع لروحها مكان  
.. وتتضوع - ولا أروع - بعطر جديد  
.. حضور فاعم يبيع وعنيد  
.. بمسود أهيف وسط عيدان من  
المواميد  
.. رشيق .. أرهف  
لكن واضح وضوح الشمس  
.. وه وسط الزعيق الصارخ العالى  
.. كان هو استطيعا  
أدب ورفد الهمس

توسيع الافاق للفكر

.. لحوار اسوياء بلا حكر

.. مدخلنا إلى التمددين،

والعود الرهيف يشند

والعطر الشفيف يمتد

ويعائين في الاستبداد

ويبواجهه ببساطة الورود

وكان الدرس للأولاد

مفيش زى الحقايق مجد،

ويتضوع من الدوحة بأريج وأريج

ومصر في مركز اللوحة نشيدها

نشيج

ووردة حبه مجروحة ولها أهازيج

وكم مد الإيديين طيبطب

فضل مصري وعروبي أصيل

إذا شرق .. وإن غرب

لا زيف يوم ولا أفق ولا غرب

ولا دور له في الأزمات على مهرب

وعمر القلب ما عطب

في ليل أسود إيقاعه وييل

ولا قال الأدب شعطب

وقفلنا غنا المواويل

وفضلت كلمته أصعب في وسط رياح

وفضلت رؤيته أقرب لحل متاح

وكان دأبها مع النصف الملائم الكوب

ومش ويا البكا أبدا

على الذنب التي راح مسكوب

ولا هادن ولا هسون في

أدب وفد وضمية وطن

منكوب

لكن كان طبعه متفائل

وقلمه - لو بيان هادي -

لكنه ناقل الحركة لأفق ثاني

إلى الفيض التي مليان وجد إنساني

من الحب التي كان في القرية بيعاني

من اللحظة التي ممزوجة بشجن

مزمّن

عزف ويايا الحاني

في لحظة يأس

وكان أقرب لوجداني وشديد اليأس

ورد العقل لإيماني .. وروح للراس

وكان يستأنى شاتلها بجناين ورد

منين ما يروح

وكان بيعاني مشاكلها بجنان ويود

.. مش مجروح

وكان قايد مشاعلها في ضلام وفي برد

.. ويعزة وحلاوة روح

لا ضل طريقه في الحرية

ولا زأغ قلبه في أوروبا

ولا ضعف الوطن جواه

.. في أيام سودا أو صعبه

والوردة الوحيدة الحرة في جنينته ..

بقت وردات

.. لها في مصر العريضة ثبات

لها في كل مصر أخوات

يخش الكاتب الناشئ جنينة حبه ..

يبقى كبير

يخش الشاعر الباهق حديقته ورده

متردد

.. ف يكشف له - ببساطة وحب -  
عن غاية اتملت مصافير  
وكان قادر على كشف اللي جى لسه  
فى علم الغيب  
كانه رادار  
بيملك للمواهب حاسة ملموسة  
لها قرونها للاستشعار  
ف يملأ الأرض بالأزهار  
ويرشق ف الطريق ورده  
.. ف عمرو كل بيت وجدار  
وخلا الكلمة ف الضلمة  
.. جميلة.. ونضرة ..زهزاه  
وياما فيه بشر جحدوك  
وحاولوا يخنقوا الورد  
ودارت ع اللي يوم ظلموك  
واهى سطور الكتب شاهدة  
وعشنا معاك بنتياهى

ووردة عمر تتضوع بحساره

وود وازاها

أدب و نقد

.. بحب ورقة ونزاهة

وأخيرا يا صم رجاء  
لسان حالك تملى يقول  
على الورد اللي ورق فيك  
وفتح للأمل شبابيك  
ونادى الفجر يبقى وشيك  
وقلنا عليك  
على الورد اللي ملو عينيك  
على الزرعة اللي زرع ايديك  
مفيش فاضل على الورد إلا كلمة  
ونص  
اقولها لك

.. وحتى لو جحود الناس أذاها  
مفيش للوردة مهرب من شذاها  
مفيش للوردة مهرب من شذاها  
.. وحتى لو جحود الناس أذاها  
.. وحتى لو جحود الناس أذاها  
مفيش للوردة مهرب من شذاها.

يناير ٢٠٠٨

## عليك سلام الله والوطن

### صلاح عيسى

ليس في سيرة. ومسيرة. رجاء النقاش ما يختلف كثيرا عن مسيرة غيره من النخب الثقافية والفكرية والعلمية التي ساهمت في صنع مشروع النهضة العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى اليوم. جاء مثلهم أو جاءوا مثله من آلاف القرى والكفور والضيعات التي تنتشر على خريطة الأمة. ليجدوا أنفسهم رعايا في بلاد يحتلها الغزاة. ويحكمها الطفافة. ويحاصرها الجذب والجوع والفقر والمرض من كل اتجاه... والحدروا من أصلاب أسر مستورة تنتمي للشرائح الصغرى من الطبقة الوسطى. من ذلك النوع الذي لا يبيت على الطوى. ولا ينام. مع ذلك. ممتلىء المعدة. يملكها رعب من السقوط في هاوية الحاجة. ويقودها إصرار عنيد على أن تصنع لأولادها مستقبلا أفضل وحياة أكثر سعادة. في ربوع وطن لا احتلال فيه ولا طغيان. يصبحون تحت علمه مواطنين أحرارا لهم حقوق مرعية ولمزمة لا رعايا ينتظرون المكرمات والعطايا. ويتلقون الركلات والصفعات وهم يهتفون فيمن يضربهم؛ ضريك فينا شرف لنا يا أفندينا!!

هؤلاء هم الأفندية.. أولاد الأفندية من صغار التجار وكتبة الدواوين وطلاب المدارس واسطوات الفابريكات وياشكتبة المحاكم وصغار علماء الأزهر. ووكلاء مكاتب البريد وهاويشية الجيش والبوليس الذين قدر

ها هورجاء  
النقاش يرحل  
صنا بعد أن  
أوجع قلوبنا  
بمرضه  
الطويل الذي  
ظل يسرقه،  
شيئا فشيئا،  
من محبيه،  
إلى أن قرر  
الموت أن  
يسرقه منا،  
تاركا في  
نفوسنا ألم  
الفقد، ومرارة  
الحرز،  
والشعور  
القاهر  
بالخسارة،

أدب وقد

لهم أو لأبنائهم فيما بعد أن يقودوا الحلقات المتتابعة من مشروع النهضة العربية في كل المجالات. من السياسة والحكم إلى الإدارة والحرب ومن الأدب والفن إلى العبارة والتشديد.

من أصلا ب هؤلا ب جاء رجاء النقاش حين كان الزمن منتصف ثلاثينيات القرن الماضي وبينما كان الجيل السابق من الأفندية أولاد الأفندية يقود معركة ضارية ضد ديكتاتورية إسماعيل صدقي ويسعى لاستكمال مسيرة التحرر والديمقراطية التي بدأها عام ١٩١٩ .

وما كاد رجاء النقاش يتعلم معنى الكلمات حتى شغفته مجلة الرسالة التي كان والده، مهندس اللغة العربية الذي يكتب الشعر. يحتفظ بكل أعدادها القديمة ويحرص على قراءتها كل أسبوع على الرغم من قلة المال... وكثرة المعال.

كانت الرسالة. التي أصدر أحمد حسن الزيات عددها الأول عام ١٩٣٢ قبل مولده بعامين. متبرا لجيل من المثقفين المصريين والعرب. تفتح وعيهم وازدهرت مواهبهم على مشارف وفي أثناء وعقب الثورات الوطنية التحررية التي اشتعلت شراراتها في الأنظار العربية. بعد الحرب الكونية الأولى في مصر (١٩١٩) والعراق (١٩٢٠) وليبيا (١٩٣٣) والسودان (١٩٢٤) وسوريا (١٩٢٥) وفلسطين (١٩٢٩) يتعاشون على صفحاتها على الرغم من اختلاف منابهم الفكرية. ويتحاورون فيما بينهم حول مشروع للنهضة العربية يجمع بين الأصالة والمعاصرة. وبين الموروث والوافد وبين الشرق والغرب وبين الوطنية والقومية.

وعلى صفحاتها وعلى صفحات غيرها من المنابر والمنشآت الثقافية والفكرية والسياسية اكتشف رجاء النقاش موهبته وعرف طريقه واختار موقفه وتخلق ذلك الجيل من الأفندية أولاد الأفندية الذين سيقدرون لهم فيما بعد أن يقودوا مشروع النهضة العربية في مرحلته التي بدأت حين نهضت الأمة. من بين طيات ظلام. وركام انقاض. الحرب العالمية الثانية تهتف للاستقلال والحرية والعدل والوحدة.

وكان رجاء في الثامنة عشرة من عمره يستعد لدخول الجامعة ليدرس في قسم اللغة العربية بكلية الآداب. حين قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليتأكد له ولجيله أن تضحيات الأجيال السابقة من الأفندية أولاد الأفندية لم تضع هدرا وأن الزمن لم يتوقف والوطن لم يعقم والشعب لم يكف عن الحلم. وفتحت أمامهم أبواب الأمل في أنهم يستطيعون استكمال ما صنعه الأسلاف واستئناف مسيرة النهضة على الرغم من كل العقبات.

**أدب ونقد** ومع أن الذين صنعوا الثورة وقادوا المشروع. كانوا. كذلك. من الأفندية



أولاد الأفندية. ومن صفار الضباط أولاد صفار الموظفين والتجار وفي أحسن الأحوال أولاد عمد الأرياف. ولم تكن الثقافة من بين همومهم الضاغطة أو الملحة. فإن أبواب الأمل التي فتحوها على مصراعيها. سرعان ما اجتذبت إليهم. كل المتخصصين والموهوبين والحالمين في كل المجالات: من أبناء الشريحة ذاتها. ليشاركوا في صياغة الحلم. فلم يصنوا أحدا. ولم يرفضوا فكرة. طالما أن صاحبها لا ينازهم الحق في قيادة المشروع. وفي حيازة السلطة.

هكذا حانت الفرصة لرجاء النقاش وجيله لكي يعبروا عن حبهم للوطن. وانتمائهم للشعب بأن يشاركونا في صياغة المشروع الثقافي لثورة يوليو! وكان قد أخذ نفسه منذ البداية. بالحزم الذي يليق بأصحاب الرسالات. فعمق العمل. وآمن بأنه مصدر كل الطيبات. ولم يكف على امتداد عمره. منذ غادر الطفولة. عن العمل الشاق صبيًا وشابًا وكهلاً وشيخاً. يقرأ بعمق ويكتب بفزارة. ويناقش بحرارة. وكان أقسى. ما يتعرض له. هو أن تجبره تقلبات السياسة وعواصفها. على أن يكف عن العمل.. ولأنه كان يملك حيوية عقلية خارقة. فقد كان ذهنه المشتعل لا يكف طوال الوقت عن الابتكار. وعن توليد الأفكار والأحلام. ولم تكن الثروة تشغله. إذ كان ماهراً. وموهوباً. في تبديد ما يكسبه. ولم تكن السلطة تمنيه. إلا بمقدار ما تتيح له من فرصة للتأثير في الناس!

ومنذ البداية. وحتى النهاية. ظل رجاء النقاش يخوض المعركة على جبهة الثقافة والوعي. انطلاقاً من إيمانه بأنهما أساس وحدة الأمة وبأن الانتصار في ميدانها. هو الذي يقريها من حلمها. وحلمه. المراوغ. الوصول إلى صيغة للنهضة تجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين الموروث والواحد وبين الشرق والغرب. وبين الوطنية والقومية.. وهكذا نهض مع جيله. لتجديد لغة الكتابة في النقد الأدبي. ليخلصها من بقايا الزخارف اللفظية. ومن التقمير الأكاديمي الذي يعنى بالمصطلحات أكثر من عنايته بالفكر والرؤى. وساند بقوة كل تيارات التجديد والتحديث في الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرح والسينما على صعيد الأمة بكل أقطارها. وخاض الممارك في صف أصحابها ونيابة عنهم. وجدد في شكل ومضمون المطبوعة الثقافية. لتجمع بين الجاذبية والعمق وبين الفرجة والفكر. وتبنى الأجيال التي جاءت بعده. وتحمس لها وسلط عليها الأضواء. إذ كان يدرك منذ البداية. أنه وجيله مجرد صفحة من صفحات مشروع النهضة العربية وأن عليهم أن يسلموا الراية لمن يأتي بعدهم. كما تسلموها ممن جاء قبلهم

أدب و نقد رجاء النقاش.. عليك سلام الله والوطن!

---

## نص

### انقشاعات الغمام

إلى صاحب العطاء الثقافي العظيم  
رجاء النقاش

قاسم مسعد عليوة

---

الزمن

أفمى

تكورت

على نفسها

الزمن أفمى تكورت على نفسها..

والأرض خرابية من حما وحصى..

والسماء دخان..

وأنا وحيدى..

فهل يمكن للعالم إلا أن يكون خواء مخلوطاً بيسم

فى سديم؟

لماذا

أدب وقد أفتر

---

يا غزالة

منى

خالصة؟

لماذا أنتِ يا غزالة منى خالصة ؟

تركضين والاحقلى ..

فلا أنتِ تختفين ..

ولا انا بقادر على الإمساك بك ..

تنظرين وراءك وتقيسين مكى بُعدك عتى ..

ولا اظفرُ منك بغير مرأى العضل وقد غيَّمه الغبار ..

لماذا تجفلين منى ..

يا من أَسْمِلكِ الحياة ؟

نحن

لا

نشتهى

رؤية

الماء

نحنُ لا تشتهى رؤية أماء فى البحر ..

نحنُ تشتهى رؤية الانفساح .

نحنُ لا تشتهى رؤية الإنسان فينا ..

نحنُ تشتهى رؤية الإنسانية .

بالتأكيد انتم لا تصنّفوننى ..

لأننى احاولُ إقناع نفسي بما أقول ..

ولا أستطيع .

أدب وفد

---

يا..

كل

هذه

الاصطخابات

فى

دمى ؟

يا.. كل هذه الاصطخابات فى دمي ؟..

كل هذا العناد ممزوج بملايحي ؟

يا.. تأخرت كثيراً لاكتشف أننى إنسان.

أمران

عابران

فى

مدينتنا

أمران عابران فى مدينتنا المكتظة بالخرسانة..

والأسفلت..

ومستخلصات البترول.

ذبح الحبب بخناجر المحبين

ومصرع دجاجة فى حادثه طريق.

لا

تكشف

المحبوب

أدب ونقد لا تكشف المحبوب بمواجيدك.

إن فعلت فأنت تعطيه ما ليس فيك وإن اعتقدت  
فالبذر الذي تراه في السماء ليس هو بذر السماء،  
والغيب المجلو ليس هو ذات الغيب..  
فلا تكاشف المحبوب بما جديك..  
لأنك لن تكون صادقاً معه وإن اعتقدت.

كل

جسد

على

ذاته

منطلق

كل جسد على ذاته منطلق.  
كل جسد يؤخذ ليموت.  
كل جسد جدير بالتجلة والاحترام ..  
هبطاً ينسلك ، بلحمه وعظمه ، الروح التواقة للاتصال ..  
يعود فيمتقها ..  
بعدما تنهل من خبراته في دنيا الألم والالتداد.

في

بيوتنا

غرف

للطعام

في بيوتنا غرف للطعام ودورات للمياه وشرفات.  
في غرف الطعام نمنع الحب..  
وفي دورات المياه نتبرر الكراهية .  
وفي الشرفات نشهد الكون على أننا نعساء.  
أدب وفن أي والله .. نعساء.

# ضمير جليل

## فاروق شوشه

وكانت رسائله الشهيره فيها التى يكتبها بذوب قلبه ويسكب فيها معاناته الوجوديه الهائله زادا للالوف التى بدأت تقروه وتلتف من حوله. من ابناء جيله من الذين راوا فيه صوتهم. ومن غيرهم. وهو مايزال طالبا فى قسم اللغة العربيه بكلية الاداب فى جامعه القاهره. ثم يتجاوز عامه التاسع عشر. هذه الرسائل اصبحت فيما بعد كتابه الاول فى ازمه الثقافه المصريه الذى اتاح لصاحبه مكانه ومكانته وموقعه المتقدم فى الساحه الثقافيه كاتباً وناقداً ومفكراً. وجعل كثيرين يقارنون بين كتابه والكتاب الذى سبق صدوره للناقدين الكبيرين محمود امين العالم وعبدالعظيم انيس فى الثقافه المصريه. يقارنون بين منهجين ورويتين ولغتين فى النقد. منهج رجاء النقاش الذى يقوم على افق انسانى رحب يمتزج فيه الفكر بالوجدان. ويرى الظاهره الثقافيه فى اطار مكوناتها وعناصرها الفرديه والاجتماعيه دون تزمّت او تمصّب لنظريه ما. ومنهج العالم وانيس الذى يلتزم الرويه الواقعيه فى نموذجيه الايديولوجى الصارم الاحكام والتطبيقات. وهو ما ظهر فى تناول اعمال مبدع كبير من طراز نجيب محفوظ. اثبتت الايام فيما بعد. صدق منهج رجاء النقاش وانسانيته

قرب منتصف  
الخمسينيات  
اصبح رجاء  
النقاش واحداً  
من النجوم  
البازغه بقوه فى  
سماء حياتنا  
الادبيه  
والثقافيه. كان  
مراسلاً من  
القاهره لاهم  
مجله ادبيه فى  
العالم العربى  
هى مجله الاداب  
البيروتيه  
الـدـوـقـد

وافقه الرحب فى التعامل معه. وتتمصف التناول الايديولوجى الملتزم وعجزه عن استشراف افاقه... وسرعان ما اصبح اسم رجاء النقاش يمثل عمله نقديه جديده. تستند الى فكر حضارى وثقافى واجتماعى واعد. وتستوعب انجازات الكبار الذين سبقوه من امثال طه حسين ومحمد مندور وانور المعداوى وغيرهم دون ان تكون تكرارا لها. والتمتع اسمه اكثر حين اصبح صوتا قويا وبارزا فى كوكبه النقد الجند الامر الذى جعل خصومه يطلقون عليه عبدا لحليم حافظ الادب

ويخوض بكل ما يمتلكه من شجاعه وجراه وحراره واخلاص معارك عتيقه من اجل ما يؤمن به من قيم. وما نذر حياته لاجله من موقف ورساله يجمعهما دائما ضرف الكاتب ونبل الكتابه. من هنا كانت كتابته المبكره وهو ما يزال طالبا عن عبقرية الشابى. واكتشافاته المبكره لعبقرية الطيب صالح من خلال راعته موسم الهجرة الى الشمال. وشاعر فلسطين محمود درويش. ورهانه المبكر على عبقرية محفوظ فى وقت انصرف فيه كبار النقد منه. بدعى انه اصبح موسسه غير قابله للنقاش. او ان سرده الطويل يهبط بمستوى ايقاع رواياته. او انه يقف عقبه فى وجه الاجيال الجديده من مبدعى الروايه. فلما جاءت نويل قليب موازين هولاء النقد جميعا. واكدت نبوءه رجاء النقاش الذى لم يفقد يقينه بمبقرية نجيب محفوظ...

ويوم عاد رجاء النقاش بعد دوره طويله من الزمان الى دوره النقدى التنويرى من خلال كتابه قصه روايتين. الذى قدم فيه دراسه نقديه وفكرية لروايتى ذاكره الجسد لاحلام مستفانمى ووليمه لاعشاب البحر لحيدر حيدر. كتبت احبيه واشيد بكتابه على هذه الصفحه التى تجاورنا فيها تسع سنوات بمقال عنوانه... رجاء النقاش وعوده النقد الجميل. وكاننى كنت استشرف صداقه غاليه بدأت منذ منتصف الخمسينيات واستمرت حتى رحيله. ارتبط فيها اسم رجاء بمحطات ثقافيه وادبيه بارزه من بينها دوره رئيسا لتحرير مجلتى الهلال المصريه والدوحه القطريه. كاشفا عن موهبته. وقدرته الهائله فى اصدار مجلات ثقافيه ناجحه. تقوم بادوار تنويريه وطلعيه بارزه. وتجسد افقه الثقافى الرحب. واختياراته الشديده للتوفيق لقضايا والموضوعات. وللمبدعين والكتاب او من منطلق التزامه بالموضوعيه. لدرجة التسوه الزافده على النفس. فقد تجنب الكتابه عن كثير من اصلقائه المقربين من ابناء جيله. فلم يكتب عن غالب هلسا او بهاء طاهر او سليمان فياض او ابوالعاطى ابوالنجا او غيرهم من الروائيين والشعراء..

ادب ونقد . وبالرغم من هذا الموقف. فقد ظل فى قلوبهم نموذجا نبلا لقيم



الشرف والترفع والاحترام...

ولسوف تفتقده هذه الصفحة التي بسببها اصبحت كتاباته زادا للالوف المؤلفه من قرائه ومتابعيه وعاشقى لغته. وسنفتقده نحن اصديقاه ومحبيه وعارفى قدره وجها انسانيا نبيلًا. وقلما مبدعا يتوهج بالصدق والنقاء والعذوبه والجمال ■

أدب ونقد

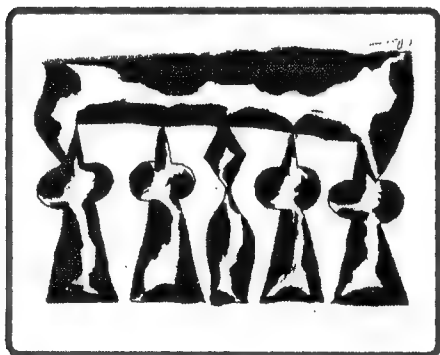


---

الديوان الصغير

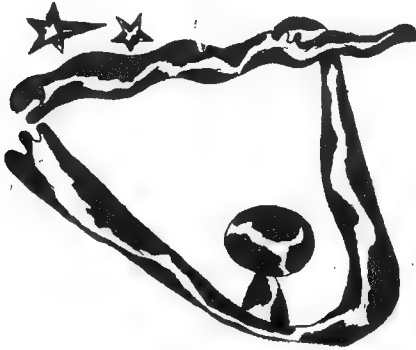
مقدمة ديوان أحمد عبد المعطي حجازي

«مدينة بلا قلب»



رجاء النقاش

(١٩٥٩)



هذه هي مقدمة رجاء النقاش لديوان حجازي الأول «مدينة بلا قلب، الصادر عام ١٩٥٩، حينما كان عمر النقاش خمسة وعشرين عاماً، وكان عمر حجازي أربعة وعشرين عاماً. ننشرها، هنا، على طولها الطويل، لأنها تمثل وثيقة تاريخية شعرية نقدية، بوصفها أحد التدشينات البارزة لحركة الشعر الحر في مصر، ويوصفها ضربة كبيرة مظفرة في الصراع بين التجديد والتقليد في الشعر المصري والعربي، ساهمت في تقريب الشعر الحر إلى ذائقة المتلقين، وفي تمهيد الطريق إلى جموح الخيال وإلى الحرية وإلى الاجترار.

هذه هي المقدمة التي جعلت كاتبها والمكتوب عنه نجمين ساطعين في سماء الحق والخير والجمال، نقدمها لمحبي الشعر والنقد، وللناشئة من المبدعين وشداة الأدب، لكي يتعلم الجميع - بعد وضعها في سياقها التاريخي والثقافي - كيف يكون الحب راية للتقدم والعدل والفرح.

«أدب ونقد»

أدب ونقد

القصيدة الأولى التى تطالع القارئ فى هذا الديوان هى قصيدة «العام السادس عشر» .. ولست أدري هل هى مصادفة أم أنه شيء مقصود أن تكون هذه القصيدة بالذات هى أولى قصائد الديوان.. فالقصيدة تقول لك بوضوح : إن صاحب هذا الديوان شاعر ثائر .. وهى لا تكتفى بهذا القول بل إنها تزيد على ذلك شيئاً مهماً : إذ تدل على نوع من الثورة يعيش فى وجدان هذا الشاعر، ويمبر عنه ديوان «مدينة بلا قلب».

فهذه القراءة الأولى لقصيدة «العام السادس عشر» نعرف أن الشاعر يصور مرحلة نفسية فى تاريخه الذاتى، تلك هى مرحلة «المراهقة» .. ثم يدعو إلى الحذر منها وتجاوزها، لأن فى العمر مراحل أخرى تتبع هذه المرحلة وتختلف عما فيها من سلطان للوهم والخيال وعشق للصمت والموت والتحرر المطلق ، وفى اللحظة التى تحس فيها أن الشاعر يدعو إلى تجاوز مرحلة «المراهقة» أو المرحلة التى اختار لها اسم «العام السادس عشر» تحس أيضاً أن هناك دلالة عامة لهذا التجاوز .. لهذا الانطلاق إلى عالم «ما بعد العام السادس عشر» .. بل «ما بعد العام التاسع عشر» .. وهذه الدلالة العامة هى التى تعطينا نقطة انطلاق الشاعر، وتحدد لنا الدنيا التى نأثر عليها، والدنيا الجديدة التى يتطلع إلى الاستقرار بين جناحيها.

إن مرحلة «العام السادس عشر» لم تكن مرحلة فى عمر الشاعر وحسب... بل كانت أيضاً مرحلة فى حياتنا العربية ... عندما أراد الشاعر أن يتجاوز مرحلته الذاتية، كان فى نفس الوقت يريد أن يتجاوز نفس المرحلة فى حياة المجتمع الذى يعيش فيه .. ربما لم يكن يهدف إلى ذلك أو يميح وعياً إرادياً مقصوداً.. ولكنه كان يحس به، ويمبر عنه فى تلقائية واضحة. فأحمد حجازى ليس من هؤلاء الشعراء الذين «يقصدون» أولاً ثم يكتبون الشعر بعد ذلك تحقيقاً لمقصد محدود.. بل هو شاعر يصدق فى إحساسه صدقاً عميقاً لا سذاجة فيه.. صدقاً خالياً من التقليد فى الشعر أو فى تجربته الحياة على السواء، ولندكر فى هذا الميدان ما قاله نبى الفكر اليونانى القديم سقراط عندما اجتمع بالشعراء، ثم ... «لقد سألت كلا منهم عما عناء بشعره، فلم يكن فيهم من استطاع الإجابة عن سؤالى هذا، ولقد جمعنى وإياهم مجلس ضم كثيراً من المعجبين بهم وبأشعارهم، فلم يكن بين الحضور رجل إلا وهو أقدر على التحدث عن تلك الأشعار من الشعراء أنفسهم»

... إن معنى كلام سقراط، أن أهم إجابة يقدمها الشاعر الموهوب عن «مقصده» من كتابة

الشعر هى الشعر نفسه...

والحق ما قاله سقراط.

أدب وفتح

ربما لم يقصد الشاعر أن يعبر عن ثورته على مرحلة العام السادس عشر، في حياة مجتمعه، كما ثار عليها في حياته الذاتية .. ولكن هذا هو الذي حدث تماما .. لقد كانت نقطة انطلاق أحمد حجازي في فنه وحياته هي الثورة على مرحلة العام السادس عشر، في حياة مجتمعه .. ولنسارع إلى القول بأن ثورة حجازي ليست ثورة اندياء وإنكار، إنما هي ثورة الرغبة الحادة في النمو والتطور .. هي ثورة تتجاوز وتمتد دون أن تقتلج الجذور والأصول .. إنها ثورة البذور التي تريد أن تشق التراب لتلقى في رحابة الفضاء بنور الشمس وحنان النهار.

فما هي مرحلة العام السادس عشر.... تلك التي نتحدث عنها؟

في استطاعتنا أن نتذكر فترة في حياتنا العربية كان شاعرها الأكبر ونموذجها المثالي هو أحمد شوقي.... وكان شوقي أميراً في الشعر وشبه أمير في الحياة... ونقد كان هذا الأمير شاعراً عظيماً بحق.... ولكن من الناحية الموضوعية ماذا كان؟... إنه كان يمبر عن الحياة العامة، ولم يكن يمبر عن الحياة الخاصة.. كان يرى الحياة الرسمية الظاهرة، ولم يكن يرى الحياة الداخلية المخفية في نفوس الأفراد.. ولذلك فقد كان شعره تسجيلاً وتعبيراً عن الأحداث الكبرى في حياة المجتمع... إذا وقع حادث سياسي مثل مأساة دنشواي أو حادث اجتماعي مثل خروج المرأة إلى الحياة العامة لأول مرة.. أو حادث اقتصادي مثل إنشاء بنك مصر.. إذا وقع حادث مع هذه الأحداث، فشعره يسجله ويعبر عنه ويجعل منه نفماً رصيناً باقياً.. ولكن لم يكن هذا هو كل شيء في حياة الناس، وعلى الأخص في حياة الجيل الجديد الذي ظهر على مسرح الحياة في مصر بعد الحرب العالمية الأولى .. فهذا الجيل يعاني أشياء لا يعانيها شوقي، ويميش حياة مختلفة عنه تمام الاختلاف.. إنه يشارك مثل شوقي في الحياة العامة، ولكنه لا يستطيع أن يكتفي بهذه المشاركة أو يقتصر عليها.. ذلك لأن هذا الجيل الجديد لم يولد وفي فمه ملمعة من أي معدن.. بل كان عليه أن يبحث عن ملمعته بنفسه، ويكد، ويكافح ويعاني الإرهاق والتعب في سبيل الحصول على احتياجات حياته المادية والمعنوية على السواء .. ثم يكن يعيش في قصر كما كان يمشي شوقي، ولن يكن يتصل بمجتمع مفتوح محلل المشاكل مثل مجتمع شوقي، وفي مثل هذا المجتمع المفتوح تكون مشكلة المرأة على سبيل المثال - مشكلة غير موجودة، فشوقي يتصل بفتيات مثقفات متحررات من بنات طبقته، وهي الطبقة العليا في المجتمع آنذاك، وهنا لا شعور بالحرمان الذي كان يشعر به الجيل الجديد الوافد إلى القاهرة من المدن الصغرى.. أو الذي كان يعيش في البيئات الشعبية في العاصمة.. فالمرأة، بالنسبة لهذا الجيل مشكلة، والعمل مشكلة، والحياة إجمالاً مجموعة من الإشكالات، الخاصة، التي تحتاج إلى حل.. وقد تكون هذه الإشكالات، الخاصة، هي في حقيقتها إشكالات مشتركة بين عدد كبير هم من أبناء الجيل المولود على فراش السلام الجريح بعد الحرب العالمية الأولى.. ولكن الاشتراك في هذه المشكلات لا ينفي أنها تعترض كل فرد على حدة، وتدعوه إلى معركة معها .. معركة لا يفنيها اشتراك الآخرين فيها عن إحساسه بالوحدة

أدب وقد

والانفراد..

وشوقى ثم يكن يعبر عن شيء من هذا .. لم يكن شوقى يعرف المشكلة الخاصة التى تجعل منه وحيدا منفردا ، بل كانت حياته الخاصة دائما منسجمة متناسقة ، لا تعترضها مشاكل ولا احتياجات ناقصة .. أما الذى كان يشغل ذهنه فهو المشكلات العامة ، شأن عملية القوم آنذاك من الوزراء والحاكمين .. وإن اختلفت طريقته فى التعبير عن تلك المشكلات فاختلف الشعر وسيلة له وطريقة.

وعندما وجد الجيل الجديد طريقه إلى التعبير عن نفسه وقع على الفور فى معركة مع شوقى ومدرسته وتحدد مطلب الجيل الجديد فى الشعر بالتعبير عن الذات، وتخليص الشعر من تلك الحالة التى تذوب فيها الشخصية الشاعر إلى عمل فنى يبرز هذه الشخصية، ويعبر عن مشاعرها وما يدور فى وجدانها من خطرات وأحاسيس ، وفى سبيل ذلك لابد من التخلي عن جعل الشعر أداة للتعبير عن المشكلات العامة، ما لم تدخل هذه المشكلة فى صميم التجربة الذاتية للشاعر.

وارتفعت أعلام تشير إلى ميلاد جديد، وأنبعثت الفرحة بهذا الميلاد، وأخذ موكب شوقى يتوارى بعيدا عن الأفق، وعلى مسرح الحياة أخذت الجماعة الجديدة تحتل مكان الغائبين عن سماءنا فى نهاية الربيع الأول من القرن العشرين على التقريب، وكان أعلام المدرسة الجديدة هم: عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى، وتلقف الدعوة جناح آخر مثله الفنان العربى اللبنانى ميخائيل نعيمة أحد رواد الشعر المهجرى ، وقد لخص أحد أبناء الجماعة الجديدة وجهة نظر الجماعة فى الفن عندما قال:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وصاحب هذا البيت هو عبد الرحمن شكرى، وقد جعل منه شعارا للجزء الأول من ديوانه، الذى أسماه ضوء الفجر.

منذ هذه اللحظة بدأت فى حياتنا مرحلة العام السادس عشر... وإذا استخدمنا الاصطلاح النقدى فإننا نستطيع أن نسميها بالمرحلة الرومانسية، وقد استمرت هذه المرحلة فى حياتنا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية بفترة غير قصيرة، وقد كان الجيل الأول من أجيال هذه المدرسة هو الذى دعم الأسس النظرية لمرحلة العام السادس عشر وجاء بعد ذلك جيل ثان هو الذى استطاع أن يخلق الفن الذى يمثل هذه المرحلة خير تمثيل فعلى محمود طه وإلياس أبو شبكة وإبراهيم ناجى وأبو القاسم الشابى ومدرسة المهجر... كل هؤلاء هم الشعراء الذين مثلوا مرحلة العام السادس عشر فى أحسن صورها الفنية.. ونحن حاول أن نستخلص شخصية هذه المرحلة من واقع قصيدة أحمد حجازى نفسها:

عامى السادس عشر

يوم فتحت على المرأة عيني

يوما .. واصفر لوني

أدب و فن

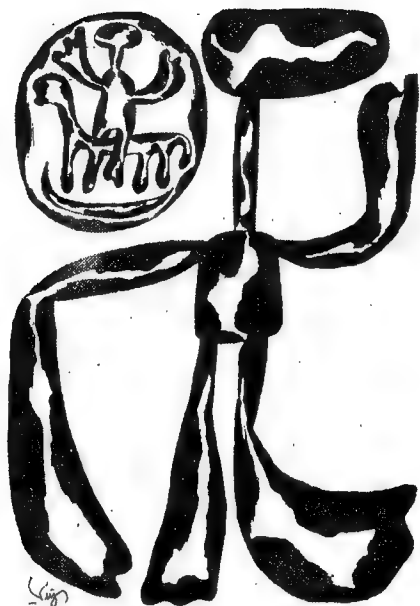
يومها .. درت بدوامه سحر  
كان حبي شرفة دكناء أمشى تحتها  
لأزها  
لم أكن أسمع منها صوتها  
إنما كانت تحييني يداها  
كان حمبي أن تحييني يداها  
ثم أمضى أسهر الليل إلى ديوان شعر:  
ديا فؤادي رحم الله الهوى  
كان صرحا من خيال هوى

اسقنى واشرب على أطلاله

وارو عنى ظلما الدمع روى

فالعلامة الظاهرة الواضحة في الجيل الرومانسي هي اكتشافهم لشخصية المرأة وجعلها موضوعاً من موضوعاتهم الشعرية، على أن المرأة كانت دائماً موضوعاً من موضوعات الأدب عامة والشعر على وجه الخصوص، ولكن المرأة في الأدب الرومانسي هي محور رئيسي جوهري فيه. فالمرأة في الألوان الأخرى من الأدب موضوع إلى جانب الموضوعات الأخرى، وليست أهم الموضوعات ولا اقربها إلى الأهمية، كما أن المرأة يمكن أن تصبح في ألوان الأدب الأخرى غير الأدب الرومانسي وسيلة إلى شيء آخر، قد تكون وسيلة لشرح فكرة الفضيلة والدعوة إليها، وقد تكون وسيلة للبحث عن اللذة الحسية، ولكن في الأدب الرومانسي تكون المرأة لذاتها هي الهدف الأسمى، بل إن النظر إلى الحياة إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة فروح الجمال تشع في الدنيا وفي الطبيعة إذا ما كان هناك أمل في نجاح لتجربة مع المرأة، أو مجرد وهم في هذا الأمل، وتحل محل هذا الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق، وفي ميدان التجربة الرومانسية عموماً تتعرض التجربة دائماً لعقبة من العقبات، بل إن الرومانسية لا تظهر إلا إذا كانت هناك عقبات كبيرة في داخل المجتمع، فقد ظهرت الرومانسية في القرن التاسع عشر في أوروبا، وبالتحديد منذ أواخر القرن الثامن عشر، وكان ظهورها تعبيراً عن مقاومة الضغط الذي يلقاه الفرد في تجاربه النفسية وعلى رأسها تجربة الحب. ومن أمثال هذه العقبات عقبة الاختلاف الطبقي، فقد يحب إنسان من الطبقة الفقيرة فتاة غنية، فيفضل هذا الحب بالطبع. وهناك عقبة التقاليد الاجتماعية فقد يحب إنسان له أسرته ومكانته في المجتمع بغياً يرى فيها المجتمع إنسانة غير شريفة، إنسانة خارجة عليه لا يجوز لصاحب الوضع المستقر أن يرتبط بها أي ارتباط، وعقبة أخرى مثل نظرة المجتمع القديم إلى الحب باعتباره دعيماً، أو أمراً شائناً... كل هذه العقبات كانت تفرض القيود الرهيبة العنيفة على الفرد ومن هنا ظهرت النزعة الرومانسية لتحطيم هذه القيود وتجاوزها، وظهرت هذه النزعة

أدب - وقد



فى الأدب، وكان الجو العام الذى تصوره هذه النزعة هو الحب الفاضل ، والحب العاجز الذى لا يستطيع تحقيق أمانيه فى ميدان الواقع، وما يرتبط بهذا كله من أحزان وألوان قاتمة، وما يدعو إليه من وحدة وانفراد والتماس للمعزاء فى الطبيعة أو فى الظلام أو فى مزيد من التخيل والوهم، وفى المقطع الذى ذكرناه من قصيدة «العام السادس عشر» يصور أحمد حجازى نوع الحب الذى يعمشه ابن العام السادس عشر، وهو نفسه نوع الحب الذى يعمشه الرومانسيون عموماً، فهو يحب فتاة.... «لا يراها» ، ولم يكن يسمع منها صوتها، .. وفى ذلك دلالة على نفسية «ابن العام السادس عشر» ودلالة على «النزعة الرومانسية» التى تعنى أن ظروف الحياة تحمل من العقبات ما يحول بين الإنسان وبين تحويل حبه إلى حقيقة عملية وقد كان العصر الرومانسى عندنا هو هذا العصر بالضيبط، وهو العصر الذى يضع العقبات والمعوقات فى طريق العاطفة، فالمرأة لم تكن تخرج إلى الحياة العامة، وإذا خرجت فهو الخروج المتردد الخالف، أما الحب فهو شيء تنكره تقاليد المجتمع وتآلباه، وقد اتضحت هذه التقاليد واستقرت سطوتها فى نفسية الفتاة فهى لا تجرؤ على الاستجابة لنداء ذاتها المحتاجة إلى الحب أو الاستجابة لنداء الذى يدعوها للمشاركة فى التجربة العاطفية.

لذلك فقد أصبح للرومانسية تقاليد هى الأخرى.. فالحب هو «الحب المحروم»... الحب الذى يعتمد على الخيال والوهم، لا على الواقع والتجربة.. الحب الذى يتفنى من السهر والقلق والخروج بالشعور والفكر عن منطقة الواقع الحى.. ويصور أحمد حجازى هذه التقاليد تصويراً دقيقاً عميقاً عندما يقول:

وأرى الحب... شروداً وتهاوياً، وحزناً

والحبيب الحق... من يهوى ويفنى

وعميق الحب.... حب لم يتم

ليقولوا..... يا للحن لم يتم!

ونفس هذه الصورة الرائعة لتجربة «العام السادس عشر» فى عمر الأفراد وعمر المجتمعات» هى التى يصبر عنها فكتور هوجو أحد أعلام النزعة الرومانسية وأساتذتها على لسان أحد أبطال رواياته عندما يقول هذا البطل مخاطباً حبيبته:

«حبيبك حبا صادقا، وأسفاً إلى أحلم بك حلم الأعمى بالضوء، سيدتى! عندي أحلام لا عداد لها، أحبك من قريب ومن بعيد وفى جو من الظلام، ولا أجرؤ على لمس طرف أصبعك».

أو منا يقول شاعر رومانسى من شعراء فرنسا فى القرن التاسع عشر:

«أحب» وأستطيع أن أصرخ دون مبالاة، أحب وأنا وحيدى الذى أدرى، وحبيب إلى مسرى، وحبيب إلى عذابى، وقد عقدت العزم أن أحب حبا خائياً من الأمل، ولكنه ليس خائياً من السعادة. أراك وهذا حبيبى».

مثل هذه المشاعر هى التى تعيش فى وجدان العصر الرومانسى تماماً..

**أدب وفن**



إنها على التحديد هي: الحب الخيالي المحروم، والعزلة والانفراد ثم حب الطبيعة واتخاذها ملجأ آمناً تستقر فيه المشاعر والأحاسيس.. تلك هي العناصر الأساسية في تجربة «العام السادس عشر» وقد رصد أحمد حجازي هذه المشاعر ورصدًا فنياً أصيلاً . ذلك لأنه عاشها في فترة من حياته، وكانت هذه الفترة هي بالمصادفة التي بدأ فيها العصر الرومانسي يعطى وجهه الأخير حيث يتوارى بعمقه ليضئ المكان لتجارب جديدة في الحياة وفي الفن.

فبعد الحرب العالمية الثانية على التقريب كانت المدرسة الرومانسية تجمع كل طاقاتها وإمكاناتها محاولة أن تستمر في البقاء؛ لأنها بدأت تشعر بتغير حاسم في الحياة، وبدأت بدور هذا التغير تمكس نفسها في الأدب؛ أي بدأت تعمل على خلق شخصيات أدبية جديدة ذات رسالة من نوع جديد، وقد كانت المرحلة الأدبية التي امتدت منذ أيام الحرب العالمية الأولى، منذ أن قال عبد الرحمن شكري «يا طائر الفردوس، إن الشعر وجدان» إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.. كانت هذه المرحلة هي مرحلة «العام السادس عشر».. كانت تحمل في تعبيرها الأدبي، والشعري على وجه الخصوص كل خصائص هذه المرحلة... كانت منابها الرئيسية هي الحب المحروم، ووحدة الفرد وعزله عن المجتمع. والارتقاء في أحضان الطبيعة بحثاً عن الأمان وتهللة القلب... وكانت هذه النزعة واضحة تماماً في شعر «على محمود طه وإبراهيم ناجي وإلياس أبو شبكة وأبو القاسم الشابي»؛ وقد ظلت هذه النزعة مسيطرة عليهم حتى آخر لحظة في حياتهم وفيهم من مات فوق الأرمين مثل على محمود طه، ومن مات فوق الخمسين مثل إبراهيم ناجي.. ومع تقدم هؤلاء الشعراء في السن لم تتغير هذه النزعة على الإطلاق... ذلك لأنها كما قلنا كانت مرحلة في حياة اجتماعية كاملة، لا مرحلة في حياة الأفراد وحسب.

وقد صور أحمد حجازي هذه المرحلة، لأنه عاشها في تجاربه الأولى، بينما كانت المرحلة نفسها في تجاربها الأخيرة، وبعد أن صور المرحلة في حياته تصويراً واقعياً صادقاً، ينتهي من ذلك وفي نفس القصيدة إلى أن هذه المرحلة لا بد أن تذبل وتتغير وتسلم الإنسان إلى مرحلة أخرى هي «العام التاسع عشر».... وهو العام الذي يتحول فيه الشاعر تحوله الذاتي الخاص، وهو أيضاً رمز لبداية هذا الشاعر في طريق الحياة، فقد بلغت الحياة نفسها «عامها التاسع عشر»، وانتهت المرحلة الرومانسية وبدأت مرحلة جديدة.

يقول أحمد حجازي في ختام قصيدته الرائعة:

أصدقائي

نحن قد نغفو قليلاً

بينما الساعة في الميدان تمضي

ثم نصحو، فإذا المركب يمر

وإذا نحن تخيرنا كثيراً

وتركنا الأقبية

أدب وفن

وخرجنا نقطع الميدان في كل اتجاه

أصدقائي

ها هي الساعة تمضي

هإذا كنتم صفارا فاحلقوا الا تموتوا

واحذروا عامكم السادس عشر

... والرموز في القصيدة واضحة حتى لتكاد هذه الرموز أن تكون تعبيراً مباشراً لا رمزياً فيه فـ الساعة، هنا هي الزمن هي أيام الحياة.. والركب، هو المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه الفرد.... والأقبية، هي المنعطفات والزوايا التي كان الفرد يتعزل فيها عن مجتمعه ودينه، ليلتمس لنفسه مجتمعا ذاتيا خاصا عناصره هي الوهم والخيال والصمت والظلام..... وأحيانا تكون الطبيعة هي عنصره الرئيسي، يقنى بها الإنسان الرومانسى نفسه عن الناس..... وهكذا تعلن هذه القصيدة في رموزها البسيطة. وبناؤها الفني الذي لا يحدسه نقص على الإطلاق أن شاعرنا قد تجاوز مرحلة العام السادس عشر، فترك دنياه دون كيشوت، وما فيها من أحلام وأوهام، إلى أرض الواقع بما فيها من صراع ومشكلات مع الحياة والأشياء... لقد حلف ألا يموت، وقرر أن يحذر عامه السادس عشر... بل إنه يدعو الذين يعيشون معه، ويمارسون تجربة الحياة في جيله أن يدخلوا أيضا مجرعة الوجود الاجتماعي.... وأن يدركوا الحقيقة.... لقد مضت مرحلة العام السادس عشر... ولن تعود من جديد.

وهكذا يصل الفنان إلى نقطة البداية، أو نقطة الانطلاق، وهكذا تبدأ قصة الإنسان الذي يعبر عنه هذا الديوان.

إنها تبدأ كما قلنا بالثورة على مرحلة في حياة الشاعر الذاتية، تقابلها ثورة مشابهة على مرحلة في حياتنا الاجتماعية.. وتصل «مراسيم» هذه الثورة إلى تمامها عندما يأخذ شاعرنا أهيمته لمفادته بلدته «تلا» إلى مدينة «القاهرة»... وتلا هذه ليست مدينة بالمعنى الصحيح، فهي مدينة صغيرة، وقرية كبيرة في نفس الوقت... ولكنها على الإجمال تتميز بكل ما يتميز به الريف في مصر من ميزات وخصائص، وهي تزيد على ذلك بأنها قريبة إلى عدد من المدن وعلى رأسها مدينة القاهرة، ولذلك فإن أضواء المدينة وضواها تصل إلى حدودها، ثم تخترق هذه الحدود في هدوء وبلا عنف، فإن هذه الحدود هي آخر مدى يمكنها أن تصل إليه... على أن العين البصيرة الدقيقة، كانت تتعلق بخيوط النور من المدينة الكبيرة، لأنها تعرف أن وراء هذه الخيوط عالما جديدا آخر، يجذب إليه النفس المستقلة بالإمكانات الفنية بألوان الطموح، الرغبة في مزيد من تذوق الحياة، ومعرفة أعماق تجربتها الحقيقية البعيدة.... وقد تعلق شاعرنا فعلا بهذه الخيوط، وارتبط مصيره بها، وصمم على أن يركب مركبه الصغير إلى محيط المدينة العتيق...

ذلك المحيط الذي تصل إليه أصداء أمواجه الحاتية وهو قابع في مأمنه

أدب وفن

فى تـلا..

وتستطيع أن تتصور شاعرنا وهو يستعد للرحيل إلى المدينة الكبيرة، إلى أكبر مدينة فى الوطن العربى بل أكبر مدينة فى الشرق الأوسط كله وإلا تبخل عليه بكل عواطف المحبة والإشفاق وأنت تتصور آنذاك.. أنه ينطلق بجناحه البسيط الذى لم يعرف مرارة التحليق فى الأفاق الواسعة حيث العواصف تلو العواصف لا ترحم العصافير ولا النسور.. وهو ينطلق بزاد من المشاعر الفطرية الخالصة التى لم تتعقد على الإطلاق، وهو ينطلق من المسافات الضيقة والشوارع المحدودة، والمجتمع الصغير الذى يعرف فيه الناس بعضهم بعضاً إلى مسافات واسعة وشوارع لا حدود لها، وناس كثيرون جداً قلما تستطيع أن تكتشف فيما بينهم أى نوع من العلاقة.. فالمدينة الكبيرة هى بحق كما يصورها إليوت «وحش ضريب أو هوة للموت تبتلع من فيها وتحيل الفرد إلى قزم».... لقد جاء أحمد حجازى إلى «القاهرة، وحيداً لا يملك إلا موهبته.. لم يكن يملك عملاً بعد أن رفض عمله المحدود الضيق كمدرس فى قريته، ولم يكن يملك مسكناً مستقراً يأوى إليه عندما يأوى الناس إلى عوالمهم الخاصة، ولم يكن له فى المدينة الكبيرة أصدقاء يعرفهم ويعرفونه.. كل شئ تركه فى قريته الصغيرة ورأه.. وجاء إلى المدينة متصوراً أن موهبته سوف تكفل له ما ينقصه من عناصر الحياة وهو تصور فطرى طبيعى... ولكن كم كان أمام هذا التصور عقبات واقعية تحول بينه وبين التحقيق! وقد لمس شاعرنا هذه الحقيقة الصلبة منذ اللحظة الأولى، وكانت صدمة لوجدانه ومشاعره ظلت تمكس آثارها على شعره، حتى اليوم.. والواقع أن هذه التجربة العنيفة المبررة ليست تجربة أحمد حجازى وحده ولكنها تجربة الكثيرين جداً من أبناء جيله، وهذه التجربة نفسها هى الامتحان القاسى الذى يخرج الناس منه إلى فئات وأصناف مختلفة، فلا بد له من حل هذه الأشكال والوصول إلى طريقة للخلاص، فأهدف البعيد الدائم للحياة الإنسانية هو «التكامل». التكامل الداخلى الذى يصنعه انسجام الذات مع نفسها، وتسوية القلق والانقسام النفسى بطريقة ما.. والتكامل الاجتماعى، بأن يتم انسجام الفرد مع المجموع الذى يعيش معه، طالما أنه لا يستطيع الاستغناء عن الحياة المشتركة مع الجماعة.. ولقد عرضت هذه المشكلة لكل أبناء الجيل الذى ينتسب إليه أحمد حجازى.. وإذا كانت المشكلة واحدة أمام أبناء هذا الجيل، فطريقة الحل مختلفة تماماً... هناك الذى أراد أن يتغلب على المشكلة عن طريق «العقيدة السياسية، التى يؤمن بها تمام الإيمان، ويوجد فيها مأواه وأمنه، كما كان الإنسان فى العصور السابقة يجد مأمنه الكامل فى الأساطير مثلاً، أو كما يشعر الإنسان المتدين نحو دينه... إن دينه ليس «واجباً، وحسب بل إنه بالدرجة الأولى طريقة للخلاص، طريق لتطهير النفس من أزماتها، وتدريبها على التخلص مما يعرض للحياة من عناصر الشقاء، وما يعرض للنفس من تجارب فاشلة وأسئلة لا تجد الإجابة الكاملة... هناك من لجأ إلى العقيدة السياسية كحل للمشكلة الكبرى التى تعرض له وما يتفرع عنها من تفاصيل وجزئيات... وليس معنى هذا أن كل صاحب عقيدة سياسية

أدب وفن

إنما يرتبط بعقيدته فقط لأنها حل ذاتي لما يعتيره من قلق وانقسام نفسي وحنين إلى التكامل الداخلي والتكامل الاجتماعي على السواء... بل معناه على التحديد أن العقيدة السياسية إلى جانب وظيفتها العامة إنما تقوم بوظيفة ذاتية، ولا يمكن تجاهل هذا العنصر على الإطلاق إذا ما أردنا أن نعرف حقيقة النماذج النفسية الموجودة في عصرنا... إلى جانب العقيدة، التي يلجأ إليها نمط من الجيل الذي يمثلها وينتسب إليه أحمد حجازي، فإننا نجد طرائق أخرى للخلاص من مشكلة هذا الجيل... هناك نمط المنحل، الذي يجد في اللذة الحسية عقيدة تكفيه، وتحقق له الانسجام النفسي الكامل.. ويجد المنحل، اكتفاءه وخلاصه في الجسد الأنثوي، وفي الشراب وفي الطعام، وفي اكتساب كل المظاهر الاجتماعية الشككية من العناية البالغة بالملبس وطريقة الحديث وغير ذلك وهناك نمط ثالث يلجأ إلى حل المشكلة عن طريق لا مفر لنا من تسميته بالانتهازية.... إنه مجامل منافق لا يقيم وزناً للقيمة الإنسانية في سبيل الوصول إلى مكان اجتماعي، أو سلطة مادية تمكنه من تحقيق مطالب حياته، والوصول إلى الاكتفاء النفسي، وإحاطة مشاعره بسياج يحميها من تسلسل ذرات القلق والتمزق.. وهناك نمط آخر هو المفاسم.... ذلك الذي يملأ فراغ حياته بخلق الإشكالات العنيفة المفتعلة، والتماس التجارب الحادة التي تثير الحماس وتستنفذ الطاقة الإنسانية، وتبدو طريقاً للخلاص.. وهناك في آخر الأمر ذلك الذي يختار الانطواء والعزلة، يقتات في منفاه، بأي شيء.. ربما بالقراءة، ربما بالوهم والتخيل، وربما بالاكْتفاء بموقف المتفرج السلبي الذي قرر أن يقول أمام كل إشكال يمترضه كما كان يقول أحد أبطال سارتر.. دوماً الفائدة؟.

هذه هي الأنماط الرئيسية في الجيل الذي ينتسب إليه أحمد حجازي، وهذه هي طرائق الخلاص الكبرى بالقياس إلى هذا الجيل، فأى طريق اختارها شاعرنا وأي حل ارتآه؟.. إننا نود أن نقف لحظة لنرى كيف صور المشكلة، وكيف عبر عنها... وذلك قبل أن نبحث عن الطريق التي اختارها كحل أخير.. وفي هذا الديوان نجد أربع صور للمشكلة التي يعانيها الشاعر، والتي تلفح وجدانه، وتهز مكان الإبداع فيه...

والصورة الأولى لهذه المشكلة، الصورة الباهرة الكبرى، هي قسوة المدينة وتمقدها.. ولكاد هذه الصورة تلقاك في معظم قصائد الديوان، وعلى الأخص قصائده التي يرتفع فيها الشاعر إلى التعبير عن أعظم ما لديه من مشاعر وانفعالات، فهذه القصائد تضرب دائماً على وتر الإحساس بالفقر... ففي قصيدته الرائعة العملاقة، كان لي قلبه، يقول الشاعر:

وذاًت مساء

وعمر وداعنا عامان

طرقت نوادي الأصحاب لم أعثر على صاحب

وعدت تدعني الأبواب واليواب والحاجب

أدب ونقد

يدحرجنى امتداد طريق  
طريق مقفر شاحب  
لاخر مقفر شاحب  
تقوم على يديه قصور  
وكان الحائط العملاق يسحقنى  
ويخنقنى  
وفى عيني.. سؤال طاف يستجدى  
خيال صديق  
تراب صديق  
ويصرخ اننى وحدى  
ويا مصباح مثلك ساهر وحدى  
ويتحدث من «البشر فى المدينة» فى قصيدته «الطريق إلى السيدة» فيقول فى تصوير  
صادق باهر وإن كان أقل لوعة وأخف صوتاً من ذلك الصراخ الداخلى المتمزق العالى فى  
«كان لى قلبه»  
والناس يمضون سراعاً  
لا يحفلون  
أضبا بهم تمضى تباعا  
لا ينظرون  
حتى إذا مر الترام  
بين الزحام  
لا يفزعون  
لكننى أخشى الترام  
كل غريب ها هنا يخشى الترام  
.... ولنلاحظ «خوفه الريفى» من «الترام» تلك الآلة التى هى علامة ظاهرة من علامات  
المدينة بالنسبة للريفى الغريب الذى لم يعرفها من قبل ، ولم يالفها .. فهى شئ جديد  
على حياته...  
وفى قصيدة «مقتل صبي» نقف أمام صورة تدلنا دلالة واضحة على مدى ما يعانى به  
الشاعر فى المدينة.. فالقصيدة تتحدث عن طفل صغير داسته عرية فى الطريق.. ولكن  
الناس هنا بلا أسماء .. لأنهم كثيرون متزاحمون ، وكل مشغول بنفسه عن الآخرين.. من  
هو الطفل الذى داسته العرية؟ من صاحب ذلك الدم الوردى الصغير الذى داسته أقدام  
قاسية ممزقة ومزجته بالتراب والغبار والزحام؟

ابن من هذا الذى مات ذات صباح.. ذات مصادفة؟... من أمه ومن أبوه  
ومن شقيقته وشقيقه؟.. لا أحد يعرفه لأن الناس هنا لا يعرفون

أدب وفن

الأطفال، ولا يعرفون آباء الأطفال وأمهاتهم، لقد مات الولد الصغير وحمل معه «سره»:

الموت في الميدان طن

العجلات صفرت، توقفت

قالوا ابن من

ولم يجب أحد

فليس يعرف اسمه هنا سواء

ولم يجب أحد

فالناس في الدائن الكبرى عند

جاء ولد

مات ولد

وفي قصيدته «أنا ومدينتي» لا يجد نفسه إلا «وريقة في الريح دارت، ثم حطته ثم ضاعته

في الدروب... ثم

لقد طردت اليوم

من غرفتي

وصرت ضائعاً بدون اسم

هذا أنا

وهذه مدينتي!

والغرفة، هنا قد تكون غرفة حقيقية، وقد تكون غرفة رمزية، تدل على المأمن المفقود، أو

تدل على الريف الذي كان يعيش فيه من قبل، ثم فقده أو رحل عنه.. أو طرده، منه كما

يتراءى لشعوره في لحظة الضيق والضيق... فما يستطيع ضائع أن يقول إنني اخترت

الضيق.. ولكنه دائماً مرغم عليه.. لقد صار «ضائعاً بلا اسم».

وفي قصيدة «إلى اللقاء، تطل التجربة.. تجربة الشعور بقسوة المدينة.. على أن تفاصيلها

قد ازدادت وتعمقت عناصرها، إن القصيدة لا تعبر عن «الصدمة الأولى» للتجربة، ولكنها

تعبر عن التجربة بعد الممارسة، ومحاولة تكشف الوسائل المختلفة التي تيسر على الشعور

المرهف، إمكانية تحمل التجربة القاسية، مادام لم يعد هناك مفر من تحمل هذه القصيدة

يصور أحمد حجازي نهار المدينة، وتليها.. إنه في المرحلة الأولى من تجربته لم يكن يعرف

التفاصيل، بل كان يعتمد على الانطباع الأولى العام.. أما الآن فقد عرف أن:

شوارع المدينة الكبيرة

قيعان نار

تجتر في الظهيرة

ما شربته في الضحى من اللعب

يا ويله من لم يصادف غير شمسها

غير البناء والسياح، والبناء والسياح

أدب وقد



غير المريمات، والمثلثات، والزجاج  
ثم يتحدث عن ليل المدينة بعد أن تحدث عن نهارها :

الليل فى المدينة الكبيرة

عيد قصير

النور والأنعام والنساء والشباب

والسرعة الحمقاء والشراب

عيد قصير

هيفاً .. هيفاً ، يسكت النخم

ويهدأ الرقص وتعب القدم

وتكنس الرياح كل مائدة

فتسقط الزهور

وترفع الأحزان فى أعماقنا رؤوسها الصغيرة

... ولكن هذه الرؤوس الصغيرة تظل تنمو وتنمو حتى تصبح كائنات تسيطر على النفس،  
وتشيع فيها الكآبة والأسى.

وفى قصيدة "حب فى الظلام" يمرر عن التجربة بطريقة أخرى، فهو وحيد طريد يريد أن  
يقول لحبيبته إنه يحبها فلا يستطيع ، وعندما ينفرد بنفسه ينسى أحزانه، ويلتمس فى  
ضوء المدينة وحبيبتها أنيسا له، فيتصور مدينة جميلة، الناس فيها يعرفونه ويمرهم،  
ويتحدثون إليه، ويسألونه عن حبه، عن أهاليه الخاصة ، إنه فى هذه المرة لا يحكى عن  
قسوة المدينة بطريقة مباشرة، بل يتحدث عن هذه القسوة بطريقة نفسية خاصة، فهو  
يتصور المدينة كما يتمناها لا كماهى موجودة فى الواقع، ويمنح هذه الصورة الوهمية  
حبه .. وهمسه. وأنت لا تستطيع أن تهمس إلا لحبيب .. وهو فى هذه القصيدة يتحدث عن  
حب لم يستطع أن يبوح به لصاحبه ... ثم.

وتكننى فى المساء أبوح

اسير على ردهات السكينة

وأفتح أبواب صدرى

وأطلق طيرى

أناجى ضياء المدينة

إذا ما تراقص تحت الجسور

أقول له يا ضياء أرو قللى فإنى أحب

أقول له يا أنيس المراكب والراحلين أحب

لماذا يسير المحب وحيدا

لماذا تظل ذراعى تضرب فى الشجرات

أدب- وقد  
بخير ذراع



ويبهرنى الضوء والظل حتى،  
أحس كأنى بعض ظلال ، وبعض ضياء  
أحس كأن المدينة تدخل قلبى  
كان كلاما يقال وناسا يسIRON جنبى  
فأحكى لهم عن حبيبى

تلك هى المدينة التى يحلم بها ... أن يكون هناك كلاما يقال وناسا يسIRON جنبى،... وهو  
يتخيلها ويتصورها مادامت صعوبة التحقيق فى الواقع الملموس.  
وفى قصيدة أخرى تظل المشكلة بعنف ومرارة، من جديد، تلك هى قصيدة «رسالة إلى  
مدينة مجهولة»...

وهو يبعث فيها برسالة إلى والده الذى مات، يحكى له فيها حكايته هو.... وفى هذه  
القصيدة يقول:

أبى

وكان أن عبرت فى الصبا البحور  
رسوت فى مدينة من الزجاج والحجر  
الصيف فيها خالدا، ما بعده فصول  
بحثت عن حديقة ، فلم أجد لها أثر  
وأهلها تحت اللهب والغبار صامتون  
ودالما على سفر  
لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك؟

... هذه مرحلة أخرى من مراحل الصورة الأليمة المريرة التى يلحظها فى الناس داخل  
المدينة، فالتشئ الذى يحكم علاقاتهم هو السرعة، والعجز عن الارتباط الإنسانى المتأنى  
الأنيس. . حتى إذا سألوك عن شئ فمن الساعة، وهى نفسها رمز من رموز السرعة....  
إنها رمز للطرف الثانى من أطراف الصراع داخل هذه المدينة المليئة بالأحزان... هذا  
الطرف هو الوقت، فما أكثر ما يتحمله إنسان المدينة من أعباء صغيرة لا تنتهى، ومن  
خلال هذه الأعباء المتراكمة تذوب مطالبه الإنسانية الحقّة.

هذه أول صورة للمشكلة التى يعانىها شاعرنا كإنسان، والتى يعبر عنها فى شعره، تعبيرا  
صادقا نابضا مليئا بصمق الرؤية وعمق الإحساس حتى أنك تستطيع أن ترى فى هذا  
التعبير جيلا باكمله ، أو ترى بتعبير آخر قلق جيل، يسلك عديدا من الطرق ويستخدم  
أكثر من وسيلة . كى يصل فى نهاية الأمر إلى التكامل الذاتى، والتكامل الاجتماعى.. كى  
يتغلب على انقسام نفسه وتمزقها فى مشكلات متلاطمة بلا حل، وكى يتغلب على  
الانقسام بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه إما بتغيير هذا المجتمع أو بتغيير ذاته.. هذا  
كله يصوره شاعرنا فى ثلاث صور أخرى غير الصورة السابقة وهى قصوة

أدب وفد المدينة.

فهناك من ناحية : «الشعور بالمأساة... وذلك الشعور الذي يشيع في قصائد الديوان ، وفي اختيار التجارب التي يعبر عنها.. والديوان في مجمله هو «تراجيديا، عنيفة... هو شعور غامر بمأساة، وتعبير متعدد الجوانب عن هذه المأساة، فمعظم القصائد التي يمكن أن نسميها قصائد ذاتية إنما تنبعث من هذا الشعور، ولكن القصائد «الذاتية» لا تدل وحدها على عمق المأساة الغائرة في نفس الشاعر بل تدل على ذلك القصائد ذات الموضوعات الخارجية... القصائد التي تكون خامدة التجربة فيها من موضوع خارج ذات الشاعر.. إن هذه القصائد كلها تعبر عن مأساة وتنبع منها، وإذا كان الشاعر يجد في تجاربه الذاتية عناصر المأساة تتسرب إلى حياته، ثم تظهر في شعره، فإن شيئاً آخر يواجهنا في هذا الديوان هو أن يلجأ الشاعر بمحض اختياره إلى الموضوعات الخارجية التي يكون جانب المأساة فيها واضحاً بارزاً قوياً... هناك غير التجارب الذاتية المباشرة في الديوان بارزاً قوياً .. هناك غير التجارب الذاتية المباشرة في الديوان قصائد تستمد تجاربها من موضوعات عامة، وهذه القصائد هي: مذبحه القلعة، بغداد والموت، سوريا والرياح، صبي من بيروت، قديسة. وفي هذه القصائد كلها يطل علينا «الشعور بالمأساة» بارزاً واضحاً.. فمن الواضح أن الذي أغرى شاعرنا بصياغة القصيدة التاريخية المعروفة عن مذبحه القلعة هو ما في هذه القصة من جانب تراجيدي وما فيها من تشابه الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر والرؤى التي تملأ دنياه .. فالعنى المباشر الذي يسود هذه القصيدة هو أن المماليك كانوا متأهبين للفرح بالحياة، فاستعدوا لأفراحهم، ولبسوا أجمل الثياب، وركبوا خيولهم القوية التي تبعث في النفس مزيجاً من الإحساسات، ثم سار هؤلاء المماليك في «الموكب» تدق أمامهم موسيقى وتستثير خيالاتهم أحلام حلوة وأمان جميلة... وبينما هذا الموكب السائر الفرحان بالحياة، الراغب في مزيد منها والمتطلع إلى مختلف جوانبها .. يمشى في طريقه إذا بالكارثة تقع:

دخلوا القلعة ثم التفتوا في بعض ريبة

فإذا بالباب يرتد هناك

وإذا صوت الجموع

صادر من خلف باب ... من هناك

«أطلقوا»!

قالها قائد جند الأرنؤوط

«أطلقوا»!

فانارت هوى كالخيوط

كالطر

زغردات مستريبة

تردى بين أسوار وأبراج رهيبة

وهكذا يقع الاعتراض على «الرقبة في الحياة، على «الرغبة في الفرغ» ،

أدب وفن



وتتلوث كل الثياب التي استعد بها المماليك لخلق دنيا من السرور المنجح.

والسير في موكب النشوة بلا مخاوف أو أحزان....

هذا هو ما حدث للمماليك، وهذا ما يحدث لشاعرنا الإنسان كل يوم: رغبة عارمة في الصرح... رغبة عارمة في الحياة... إرادة تريد أن تنطلق في عالم السرور والتجربة... جناحان فيهما حنين لا اختراق تلوج الحزن وإذبتها فإذا هي أمواه غدِير، وطيور حلوة تحسو القطرات العذبة، وريح أخضر يتثنى هنا وهناك... ولكن هذه الرغبة العارمة ما تكاد تولد، حتى تعترضها العقبات تلو العقبات، ومن هنا ترتد هذه الرغبة النابعة من مكامن الفرح في الذات الإنسانية لتصبح جزءاً من أحزان تلك الذات والآملها .. وهذا هو الخيط الذي أمسك به شاعرنا في مأساة منبحة القلعة، لقد استعاد التفاصيل الإنسانية، لا السياسية، في هذه المأساة التاريخية، وأعاد بناء هذه التفاصيل، استجابت له ملكاته الشعرية استجابة فلذة لأنه وهو يعيد بناء هذه المأساة، كان في الواقع يلمح التطابق بينها وبينه.

فكل رغباته في الحياة تذبح أمام العقبات فيها يشبه المؤامرة أو التدبير، وثياب أفراحه المزرقة لا يكاد يأتي الليل إلا وقد تناثرت فوقها بقع حمراء من الدم، بعد أن مسرت الأحداث والعقبات رغبة كل عصفور حلو من عصفير أفراحه وأمانيه.

نفس المطابقة بين الذات والموضوع في القصائد الأخرى ذات الموضوعات العامة.

في «بغداد والموت» تطل صورة الشهيد صلاح الدين الصباغ لتحكي حكاية إنسان يريد الحياة ويدافع عنها.. حكاية «حيران بالحلم النبيل، ... ويبغ الشاعر قمة روعته وهو يعبر عن أحزان بغداد، ويرسم في صورة باهرة ما كانت تعانیه من الآلام في ذلك العهد الكئيب من عهود تاريخها...

بغداد درب صامته وقبة على ضريح

ذباب في الصيف لا يهزها تيار ريح

نهر مضت عليه أعوام طوأل لم يفيض.

وأغنيات محزنة

الحزن فيها راكد لا ينتفض

وميت، هيكل إنسان قديم

سيف على صدر الجدار، خنجر من النضار

أردية ملونة

غطت ضلوعاً من هشيم

وامرأة تغلق في وجه المساء بابها

تبكى على أخشابها أحبابها

وأوجه منقبات لا تبوح

وأوجه منقبات لا تبوح وهذا الحزن الغامر، ليس صورة من أحزان بغداد في فترة من فترات

أدب ونقد

تاريخها وحسب» بل إن هذه الصورة تتطابق مع أحزان الشاعر نفسه... إنها فى نفس الوقت صورة من عالمه الداخلى، على أنها صورة خاصة من ذلك الحزن الكئيب الذى أجده طول الكفاح فالتمس العزاء فى نوع من الغفوة والسكون .... وهى حالة أخرى غير حالات التمرد والصراخ والعنف» وإن كانت تحتوى فى داخلها على استعداد لمعاودة الصراع... إنها تلك اللحظة التى تنساب فيها دموع العين بيسر وهواة وغزارة. فإذا ما وصلت إلى النغم بلغ الاستسلام المتحفز الصابر بالإنسان ذلك الحد الذى يشرب فيه دموعه دون مقاومة، ودون تغيير لمجرى تلك الدموع.. هذا هو نوع الحزن الذى يصوره شاعرنا فى ذلك المقطع الكئيب، إنك تكاد تحس أن كل شئ قد أصابه الركود والتوقف عن الجريان.

أما النغم المختار لتصوير التجربة فهو «الرجز ... ذلك النغم الشعرى الهادئ المتناسب المتماثل مع طبيعة تلك الحالة تماما.

وفى قصيدة «قديسة، يلقى الشاعر بنظراته إلى الجانب الذاتى الحزين فى مأساة البطلة جميلة أبو حريد، ذلك الجانب الذى تتطابق فيه «أحزان جميلة، مع أحزانه هو، وأحزان أبناء جيله، هؤلاء الراغبين أشد الرغبة فى الحياة، والعاجزين فى ذات الوقت عن تحقيق تلك الحياة.... هؤلاء الذين يمثلون فى جانب من جوانب حياتهم أسطورة «سيزيف» اليونانية القديمة... «سيزيف» يريد أن يرفع صخرة إلى قمة الجبل، ويظل يسمى ويناضل حتى يصل إلى بداية القمة وقد ركب الأهوال من السفح حتى تلك الغاية... وإذا بـ «الصخرة» تندرج لتعود إلى السفح، ويعود معها «سيزيف» لبدأ الكفاح من جديد ثم تتكرر القصة باستمرار... وأسارع فأقول إن قصة «سيزيف» هذه لا تنطبق على جيلنا من جانب: أنها تصور العجز عن البلوغ إلى غاية معينة، وعدم جدوى الكفاح فى تحقيق تلك الغاية... كلا، فالجيل الذى يعبر عنه أحمد حجازى يعرف لنفسه غاية، بل وغايات كثيرة... ولكن ما هو السبيل لتحقيق تلك الغايات؟ إن الاضطراب والقلق والحزن تنبع كلها من التفكير فى الوسائل... وأحيانا كثيرة يصبح الإنسان البصير بغايته الذى يعرف نهاية المطاف فى مآزق نفسى مرير... إن قلقه ليس فى البحث عن «غاية»، وهدف... بل القلق، فيما يحول بين تلك الغايات والأهداف من عقبات... إن «سيزيف» عاصرنا يعرف أنه يريد أن يضع الحجر على قمة الجبل، ويعرف قيمة هذا الأمر تماما... ولكن الغاية السليمة.... ينبغى أن تتوفر لها الوسيلة السليمة أيضاً، حتى لا يتدحرج الحجر كلما شارب البلوغ إلى القمة.... هذه هى المحنة، هذا هو مصدر القلق.

وقد اختارت «جميلة» وهى من أبناء جيل أحمد حجازى ... اختارت لنفسها طريق التضحية لتصل إلى قمة الجبل...

ولكن كم كان فى هذا الطريق من متاعب... يصورها لنا الشاعر خير تصوير، ويعبر بها عما يحسه فى نفسه هو، ولكنه لا يقول لنا أبداً: توقفوا عن التضحية لأنها طريقة شاقة متعبة محزنة.. كلا بل يقول شيئاً آخر.. إنه يقول: اعرفوا قيمة التضحية

لأن ثمنها غال... فلنزد من إعجابنا بتضحية «جميلة»، ولنعرف لها

أدب و نقد

عظمتها الباهرة.. إنها إنسانة عظيمة ... قديسة:

لم تبتسم جميلة

لم تفتش عشبا بجانب عاشق تحت القمر

لم تعرف اللثما

لم تعرف الغرام إلا خاطرا ، حلما

فقد مضى كل فتى فى سنّها إلى الجبال

.....

وكلما تذكرت يا سيف

كادت تطير

يا سيف تحت الأرض يمسك المدينة

يا سيف من خمس سنين لم ينم

يا سيف عندما يراها يبتسم

يحب ترديد اسمها

يسألها عن أمه عن أمها

وهذا هو الذى يضنيه ضنى المتمردين لا ضنى المستسلمين العاجزين... إن أمام الرغبة فى الحياة عقبات تخلق الحزن، وأحزاننا جميلة كأحزانه، كأحزان أبناء عمره وعصره، فمأساة جميلة فى معناها الإنسانى تتطابق مع أحزانه تماما.... ما وجه الشبه كما يقولون؟.... إن وجه الشبه هو: رغبة فطرية خارقة فى الحياة تحول بينها وبين التحقيق عقبات وعقبات.... على أن هذه العقبات لا تؤدى إلى السلبية والسكون... ولكنها تؤدى إلى نوع عنيف من الإيجابية يشوبه الحزن، ويقطر منه أسى لا يفله الشاعر وإنما يتبناه.... وكل صاحب قضية كبيرة مثل جميلة إنما يدافع فى الأساس عن قضايا فطرية طبيعية كالحب والأمن وطمأنينة النفس... صاحب هذه القضية عندما يدخل ميدان المعركة فإنه يدخلها بنفس قوية ولكن هذه النفس مع ذلك تستشعر الحزن الذى يمتزج بقوتها فيزيدها رصانة.

وفى صدى من بيروت، وسوريا والرياح، تتطابق الأحزان فى الموضوعات التى يعبر عنها شاعرنا مع أحزانه هو.

ذلك هو الشعور بالمأساة الذى يشيع فى التجارب الذاتية لأحمد حجازى، ويشيع فى الموضوعات العامة التى يعالجها بمحض اختياره، أو التى يعالجها عن طريق الاختيار أيضا ولكن بدافع من الضمير الإنسانى والوطنى الذى يستجيب له قلبه الموهوب.

وصورة أخرى من صور المشكلة التى يعانىها شاعرنا ويعبر عنها.. تلك الصورة هى الفراغ النفسى،... والوحدة الروحية... وتتمثل هذه الصورة على التحديد فى تجربة المرأة فى حياتها، أو تجربة الحب... فابن العام السادس عشر، عندما انتقل إلى دنيا

كفاحه فى عامه التاسع عشر كان لا بد لقلبه أن يرتوى وهو ظمآن... إنه

أدب وفن

لم يعد ظمان بالطريقة الرومانسية التي تعتمد على الوهم والخيال... ولكنه اليوم يشعر بذلك الظلم الفنى الواضح الذى هو احتياج حيوى اصيل يحس به الشاعر والإنسان... ولكن ما أفرغ الجراب من حصاد النهار وحصاد المساء.... إن شاعرنا محروم من واحدته، فارغ الوجدان، بينما دنیا هذا الوجدان الموهوب مفتوحة النوافذ والأبواب . وما من طارق يحن ، وما من طائر يريد أن يستقر هنا ويقضى على هواء... ربما كان سبب هذا الحرمان هو الضائقة المادية التي فرضت على الشاعر وعلى أبناء جيله مزيداً من العمل والكفاح ، والانطلاق بلا اعتماد على شيء فى ميدان الحياة... الانطلاق من نقطة الصفر... وربما كان السبب هو ضيق الأفق الذى يسيطر على المجتمع فيحنق فيه كل التجارب المفتوحة .. والذى أوشك أن يدفع بهذا الشاعر ، لولا قوته وصلابته واصالة منبته فى دنيا المواهب إلى أن يكون نديماً يقضى للناس.. وهم يشربون ويطربون.. ثم يتفرق السامرون إلى امشاشهم .. ولا عش يؤويه، ولا طائر يضم جناحيه حول روحه الوحيدة المنفردة الأسبانية ليدهق عظامه، ويشعل عناصر الحياة فيه... ولكن الشاعر الموهوب وقف أمام المشكلة يمرضها ويفنيها ويصرخ صرخات الذى يعرف أنه منسلوب الحقوق... وفى هذا الديوان تمبير صارخ رابع عن تجربة الحب... وهو دالماً حب واضح.. ولكنه حب ناقص أو حب فاضل.. وقد تعود إلى الذهن هنا ذكريات عن الرومانسيين وطريقتهم فى الحب فهم أيضاً كانوا يضرّبون على وتر الحب الناقص أو الحب الفاضل.. ولكن الفرق جوهرى رئيسى.. فالحب المازوم هنا حب مفهوم لا غموض فيه...العقبات التي تترض واضحة، ويمكن إدراكها ... ليس مثل ذلك الحب الرومانسى الذى ينشأ فى غموض، ثم يفشل أو ينهار أيضاً - فى ميدان التعبير الفنى - بطريقة غامضة .. على أن هناك فرقاً آخر بين الحب هنا، والحب الرومانسى... ذلك هو الفرق فى طريقة الأداء الفنى... وهو فرق جوهرى سنعرض له بعد قليل.

فى قصيدته العملاقة «كان لى قلب» يفشل حبه، لأن هذا الحب كان يتناقض مع الفكرة المثالية التي رسمها الشاعر لنفسه عند ميلاد هذا الحب... لقد كان الشاعر فى البدء «خاماً» فيها إمكانيات التشكل فى قالب ما، ولكنها لم تكن قد تشكلت بعد.. لا بد أن تتحول «الهيولى» - كما يعبر أرسطو - إلى صورة .. ولم يكن أمام الشاعر طريق غير الفن... إن الصورة التي يريد أن يصبح عليها هى صورة «الشاعر».... يريد أن يكون شاعراً فى سلوكه كما كان شاعراً بموهبته.. ولكن أى شاعر .. لقد اختار أول صورة وقمت عليها حينها، وأراد أن يحققها ويطبّقها فى مجال الحياة.. إن الشعر فى هذه المرحلة من حياته كان هو الحياة، لم يكن قد شعر باحتياجات أكبر من احتياجه للتعبير الفنى.. كان مازال فى بدء الحياة... وكانت نظرته إلى الأمور تتشكل حسب علاقتها بشعره إذا كان الإنسان أو الموقف يؤكد إيمانه بشعره فهذا هو الشيء المرغوب فيه تماماً... وكان هذا هو السبب الذى أدى إلى فشل حبه:

.....

أدب وقد كان وداع

جمعت الليل في صمتي  
ولفقت الوجوه الرحب في صمتي  
وفي صوتي  
وقلت ... وداع  
واقسم لم أكن صادق  
وكان خداع  
ولكني قرأت رواية من شاعر عاشق  
أذلت عشيقة .. فقال وداع  
ولكن أنت صدقت!

وهكذا فشل حبه، لأنه كان يقيس هذا الحب بمقياس الشعر ... كان يريد لهذا الحب أن  
يفشل، مادام الشاعر الذي يتمنى أن يكونه قد فشل في الحب... وفي هذه الصورة الرائعة  
تصير عن نمط من المشاعر المعروفة، ونمط من الناس يقضى حياته على هذه الطريقة،  
فيتصرفون تقليدا لنموذج يضعونه أمامهم، فلا يصدر سلوكهم عن مصدر ذاتي، وضرورة  
خاصة بهم هم... على أننا نحسب الأمر يبدو بسيطا محدود الجوانب إذا ما كان هذا هو  
السبب الوحيد لفشل الحب الأول لهذا الشاعر.. أما السبب البعيد، فهو أن طاقة الطموح  
التي تضجرت فيه آنذاك كانت تريد أن تتجاوز كل ما يوحى إليه بالاستقرار ويجذبه إلى  
الدعة والهدوء.. ما من نفس إنسانية يشغلها هذا النوع من الطموح إلى تحقيق  
إمكاناتها يمكن أن تجعل الحب في الدرجة الأولى من اهتمامها.. إن النفس في هذه  
المرحلة تكون مثل المياه المخزونة على مر الأيام أمام سد من السدود.. وفجأة يفتح السد  
فتندفع هذه الأمواج بعنف يكتسح التفاصيل والجزئيات.. وبعد فترة يتخلص مجرى  
النهر من اندفاعه ويعود إلى هدوئه وانسيابه الطبيعي وهذا ما حدث بالنسبة لشاعرنا،  
لقد كان كل شيء يجره إلى المدينة، وكان يدعو إلى أن يترك قريته الوادعة الساكنة أحيانا  
إلى حد الجمود ليخرج إلى مجال فيه صراع أوسع وأعمق ليبحث لنفسه في هذا المجال  
عن مكان ... وبعد أن دخل هذا الصراع وعرف أطرافه وأصبح الشعر وسيلة للتعبير ولم  
يعد غاية بنا يفكر في تجاربه... وبدأ يشعر أنه وحيد... وأن صداقة الفن لا تكفي قلق  
الروح وما فيها من ظلم أعنف إلى الحياة، عندما يلغحه الواقع بنيران الوحدة القاسية  
المريرة.

إنه يقول في نوع من الاستسلام الذي يعني أنه أصبح يعرف بعد طول صراع، معنى أن  
يكون له في دنيا الآخرين حبه وهواه:

ملاكى طيري الغالب  
تعالى .. قد نجوع هنا

ولكننا هنا اثنان

أدب ونقد  
ونعمر في الشتاء هنا



ولكننا هنا اثنا  
تعالى يا طعام العمر  
ودفع العمر  
تعالى لى

وتفشل تجربة الحب مرة أخرى فى قصة الأميرة والفتى الذى يكلم المساء ... والجانب  
الموضوعى فى هذا الفشل هو مصدر آخر من مصادر القلق المرير فى حياة الشاعر... ذلك  
الجانب هو ضعف الانسجام بين العقيدة والسلوك فى حياة الشاعر... ذلك الجانب هو  
ضعف الانسجام بين العقيدة والسلوك فى حياة النماذج التى يلتقى بها... أما هو فيريد  
أن يأخذ العقيدة والسلوك مأخذاً جديداً فيوحد بينهما ، ويتصرف مع الأشياء حسب ما  
تمليه تلك الوحدة الكاملة بين العقيدة والسلوك ... وها هو بطل قصيدته الباهرة يلتقى  
بفتاة، وهو يشتركان فى عقيدة واحد، ومن خلال العقيدة ينطلق شعور بالحب فى  
قلب «الفتى»، ويسبب العقيدة يتصور «الفتى»، أنه حب طبيعى وسوف ينجح .. أما «الأميرة»،  
فكانت تتكلم عن العقيدة، وتعلن إيمانها بها، فتزداد شغلة الإعجاب فى نفس الفتى تألقاً،  
ويظن أن الفارق الاقتصادى والاجتماعى بين مستواه المتواضع ومستواها المرتفع لا قيمة  
له أمام أمرين، الأول هو كفاحه وارتفاع مستواه العقلى والعقائدى، والثانى هو أن الفتاة  
نفسها مثقفة وعقائدية، وما كان يخطر على بال الفتى أن هناك شيئاً أقوى من الثقافة  
والعقيدة فى إزالة الفوارق المصطنعة الشكلية... ولذلك اندفع الفتى فى حبه حسب  
القاعدة البسيطة التى تقول: إن السلوك والعقيدة وحدة كاملة فالفتاة تظهر إيمانها  
بالاشتراكية عندما تقول:

قلبى على طفل بجانب الجدار

لا يملك الرغبة

ويقول لهذا الفتى آنذاك:

سينتى أنا فتى فقير

لا أملك الماس ولا الحرير

وانت فى غنى عما تضم أشهر البحار من لآل

فقلبك الكبير جوهرة

جوهرة نادرة فى تاج عصرنا

ولو قضيت عمرى الطويل أقطع البحار

وانشر القلاع

وأبسط الشباك أقبض الشباك

لما وجدت مثلاً

لكننى وجدتتها هنا

وجدتها لما سمعت لحنك المنساب كالحرير

أدب وند

يبكى لطفل نام جائعا

لكنها قالت له بعد أن خدمته عن حقيقتها طويلا:

....لا ، أنت شاعر كبير

يا سيدي أنا بحاجة إلى أمير

وهذا التناقض بين السلوك والمعقيدة أو بين السلوك الواقعي والرأي النظري.. هو واحد من اكبر الإشكالات التي تؤدي بشاعرنا إلى قلقه وتمزقه.. ذلك لأن ارتباطه بأفكار الآخرين واشتراكه معهم في النظرة الواحدة إلى الأشياء ... هذا الارتباط يخلق له مجتمعا معينا، ولكنه آخر الأمر لا يجد نفسه في هذا المجتمع على حقيقتها.. إن المجتمع المكون من شباب وفتيات يقدمون الإعجاب بفنّه، أو يلتقون معه على هذه الآراء أو تلك يشبهون في جانب من جوانب علاقتهم به سوفا كبيرة.. تجتمع هذه السوق وتأتلف في وقت معين .. ثم تنفض السوق ، ويبحث شاعرنا عن الزاد الذي كسبه من الدماجه العنيف في تلك السوق فلا يجد إلا أشياء عائمة غير ملموسة... أين الصديق الذي يملأ فراغ النفس عند الوحدة والانفراد؟ أين الفتاة التي تملأ القلب عندما تنصرف الجموع، ويعود هو إلى عزلته ومأواه؟... ليس في هؤلاء جميعا إلا كلمات إصجاب ومودة ومواثيق لفظية حول الاتفاق في الأفكار والآراء؟... إن الخلاف القديم قائم لايزال ... إنه واحد من أبناء الطبقة الوسطى الصغيرة تقدم بوعيه وفنّه إلى أن وجد نفسه في وسط من النوعي هو وسط الطبقة الوسطى الكبرى في المجتمع العربي كله.... ولا يمكن إيجاد العلاقة الحيوية الحاسمة بين هذين المستويين عن طريق الفن أو عن طريق الالتقاء العقائدي.. ستظل هناك درجة من الاختلاف والانفصال .. تظهر هذه الدرجة عندما يعود كل إنسان من هذه الجماعة إلى عالمه الخاص، فعالمه الخاص قلق، والآخر ذوو عوالم خاصة أكثر استقرارا وراحة.

والحب الفاضل أو الناقص يظهر في عدد آخر من القصائد لأسباب أخرى متعددة، إنه يتوهم حبا ولقاء في حلم ليلة فارغة ، ويحب ولا يستطيع أن يكشف عن حبه في قصيدة «حب في الظلام» ... وهكذا في قصائد متعددة أخرى.

على أن الفراغ النفسي ليس مظهره الوحيد هو فراغ العاطفة، وإن كان هذا الحرمان المأساوي هو العنصر الرئيسي في الفراغ النفسي... ولكن المشكلة تنعكس في صورة احتياجات وجدانية أخرى يعبر عنها في موقفه من الآخرين ... وفي عدد من قصائد الديوان تتخلل صرخان نفسية حادة يشكو فيها الشاعر من أن العلاقة بينه وبين الآخرين، علاقة ممزقة .. من هم الآخرون على وجه التحديد؟... إن الحب الفاضل أو الحب الناقص قد أحوجا ذاته بعنف مرير إلى الصديق ، ولكن ماذا يفعل الصديق، وأين يلقيه.... إن الصداقة في عالم المدينة عمرها قصير... إنها لقاء ثم تطويه المسافات الواسعة، والزمن المضحون بالأشياء الصغيرة... فمهما كانت الصداقة فإنها في نهاية الأمر تتركه وحيدا، تحيط بوجوده الأعاصير والأنواء...

أدب و نقد

ففى نهاية رحلة الصداقة هناك كلمة هى «إلى اللقاء» .. وكلمة أخرى هى «الوداع»:

يا أصدقاء

لشد ما أخشى نهاية الطريق

وشد ما أخشى تحية المساء

إلى اللقاء

التيمة إلى اللقاء وأصبحوا بخير،

وكل الفاظ الوداع مرة،

والموت مر

وكل شيء يسرق الإنسان من إنسان

وفى قصيدة أخرى هى «كان لى قلبه تنطلق هذه الصرخة الباقية:

.....

وفى عيني سؤال طاق يستجدى

خيال صديق

تراب صديق

ويصرخ ... إننى وحدى

وهكذا فقد مزقت المدينة بقسوتها ومسئوليتها حبه ومزقت صداقته، وبالأحرى جعلتها علاقة إنسانية لا تشغل ذلك الفراغ المرير الذى يواجهه كل لحظة، لأن الأصدقاء فى نهاية الأمر يتركونه وحيدا فريدا يقات أحزانه الفائرة، ويلحق جراحه الكبيرة... فماذا بقى من علاقته بالآخرين...؟ هل تكفى تلك العلاقات اليومية، القائمة على أساس المنفعة، أو الضرورة...؟ هل تكفى تلك العلاقات القائمة بين ناس يلهثون ولا يسألون إلا عن الساعة... هؤلاء الذين تزدهم بهم مدينته؟ فى إحدى قصائده، يستعير فكرة من «سارتر» ليعبر بها عن المشكلة.... هذه الفكرة، هى ما تجسده العيون من حقائق نفسية داخلية فى أعماق الإنسان وما تكشف من خبايا الوجدان والمشاعر. يأخذ شاعرنا الفكرة ويلتقطها ليعبر عن موقف الآخرين، أو عن موقفه مع الآخرين... إنهم ليسوا من هذا النمط الذى ينفجر معه جرح الحب الفاضل أو الحب الناقص، وهم ليسوا من ذلك النمط الذى يقوم بدور الأصدقاء بما فى المدينة الكبيرة من احتجاجات واعتراضات على الصداقة... ولكنهم نمط ثالث، نمط عام، قد يلقاه فى العمل أو فى الشارع أو فى الترام أو فى معاملاته المادية الأخرى داخل نطاق المجتمع.... وهؤلاء تكشف العيون عن خباياهم، وليس فى هذه الخبايا إلا كل شيء يخيف.... هم هنا مثل بالغ الفحم فى قصة «فرانز كافكا» التى أسماها «حامل الوعاء».... إن حامل الوعاء تقلص ضلوعه من برد الشتاء، وهو يريد أن يشتري بعض الفحم، ولكنه لا يملك ثمنه، وقد ذهب إلى بالغ الفحم ليطلب منه بعض فحمه لعله يتغلب على ذلك البرد القاتل بما فى الوقود من دفء.... وظل حامل الوعاء يصرخ وينادى على بالغ الفحم، ويأثع الفحم يؤكد لزوجته أن

أدب وفد

أحدا لا ينادى عليه، وإنما هي أصداء العاصفة، أتت من هنا أو هناك.... وهو في الحقيقة يسمع جيدا، ولكنه لا يريد أن يستجيب إلى محتاج لن يعطيه ثمن الفهم الآن... هكذا عيون الآخرين:

لو أنني أفصحت عما في العيون  
عريت قوما من ثيابهم  
لو أنني جسدتها قولا أصحابات الظنون  
لأغلق الناس العيون  
لهول ما يشاهدون

هذه هي عيون الآخرين، وهي الأخرى تدعم إحساسه بالوحدة وإحساسه بالفراغ النفسي بكل ما فيه من مرارة وعنف.

بقيت صورة من صور المشكلة التي يعبر عنها أحمد حجازي، فإلى جانب «قسوة المدينة، والضعف بالمأساة، والفراغ النفسي، نجد أن «الحنين إلى الريف» يتردد في عدد غير قليل من قصائده، والحنين إلى الريف، ليس إلا مظهرا من مظاهر القلق والضيق بالمدينة، وليس إلا تعبيراً عما يلقيه في هذه المدينة من عقبات تقف في وجه رغبته المارمة في الحياة، ففي المدينة حيث التشتت والقلق والوحدة والانفراد وتبرز العلاقات الإنسانية وقسوتها في الحب والصداقة وعلاقة العمل... في المدينة حيث هذا كله يحن «ابن الريف» إلى الحياة الوادعة الطيبة الضيقة المنسجمة مع بعضها البعض في معظم القضايا والعلاقات... ولقد يكون هذا الاسم الموجود في حياة الريف انسجاما سلبيا معتمدا على عناصر من الوهم والخرافة ويطء الحياة، ولكنه على أي حال يمثل شيئا بالنسبة لشاعرنا.. شيئا يفتقده فلا يجده.. شيئا يحن إليه فلا يعثر عليه... والحنين إلى الريف هو شعور شائع لدى الفنانين الذين يمرون من القلق والضيق بالحضارة العصرية فالشاعر الإنجليزي الأمريكي المعالي «ت. س. إليوت» يعبر في شعره كثيرا عن الحنين إلى العالم الزراعي بل والحنين إلى عالم العصور الوسطى حيث لا صناعة ولا ضجيج ولا رجال جوف.. بل انسجام وهدوء وطبيعة إنسانية متصلة بالمظاهر الكونية المختلفة... وليست العلاقة بين شاعرنا وبين إليوت هي علاقة تشابه كامل في هذا الميدان، ولكنه تشابه له حدوده.. فالحنين إلى الريف عند إليوت ناتج عن الضيق بالمدينة، وحضارة المدينة الصناعية الآلية، وهذه الفكرة هي جزء من فكرة شاملة تكاد تشبه النظرية، تلك هي، الدعوة إلى حضارة الزراعة... حضارة القرون الوسطى، والدعوة إلى التخلي عن الحضارة الصناعية المقلقة... ولكن شاعرنا أحمد حجازي لا يتبنى وجهة النظر تلك وإنما يعبر فقط عن تجربته في المدينة... إنه قلق في هذه المدينة الواسعة الممزقة.. وهو بدافع من هذا القلق يحن إلى الهدوء والدعة والاستقرار في رحاب الريف كما يفعل إليوت. على أنه لم يتبين قط وجهة نظر إليوت في الدعوة إلى نبذ الحضارة الصناعية، وما يتصل بهذه الدعوة من إيمان ديني، ودعوة إلى سيادة هذا الإيمان

أدب وفد

على العقل والروح والحياة المادية كما يفعل إليوت... فشاعرنا يذكر الريف لأنه منيعه،  
ولأنه مأمنه، ولأنه الدنيا الخائبة من أكثر ما نقيه بعد ذلك من هموم وأحزان، ففي الوقت  
الذي يتعمد عليه إيجاد علاقة بينه وبين المدينة، فإنه يجد هذه العلاقة قوية بينه وبين  
الريف ابتداء من قبر أبيه حتى داره الصغيرة التي يملكها هناك:

وأنا ابن ريف

ودعت أهلي وانتجعت هنا

لكن قبر أبي بقريتنا هناك يحفه الصبار

وهناك مازالت لنا في الأفق دار

ويشيع هذا الحنين في عدد من قصائده .. مثل ملن نغني، «حب في الظلام»، رسالة إلى  
أبي، «سلة ليمون» .... إن هذا «الحنين إلى الريف» هو نتيجة للقلق الذي يشعر به، وتعبير  
عن حلمه بالاستقرار والحياة الواعدة، والريف رمز لهذا الحلم وتعبير عنه.

هذه هي المشكلة التي يعانيها حجازي وسائر أبناء جيله كما عبر عنها في الصور الأربع،  
التي عرضنا لها وهي: قسوة المدينة، والشعور العام بالمأساة، والفرغ النفسي، والحنين إلى  
الريف.

وأمام هذه المشكلة انقسم أبناء الجيل الذي ينتسب إليه شاعرنا إلى أنماط .. هناك - كما  
سبقنا الإشارة - من لجأ إلى «العقيدة السياسية، يلتمس الحل... وهناك من لجأ إلى  
السلوك الانتهازي، وهناك من لجأ إلى الانحلال والبحث عن المتعة الحسية، وهناك من  
لجأ إلى العزلة والانفصال والسلبية والتأمل.

فأي موقف اختار شاعرنا، وأي موقف يرسمه لنا خلال فنه؟

إن القراءة المتأنية لهذا الديوان تضع أيدينا على مبدأ أساسي يقده الشاعر ويندفع إليه  
ويملاً الإيمان به عروقه وخلاياه.. هذا المبدأ هو حب الحياة، أو «الرغبة في الحياة» ... فهو  
ليس شاعراً عديمياً وليست أحزانه من ذلك النوع القائم القاتل ... فوراء أحزانه وألوان  
حرماته تشتمل الرغبة في الحياة والحب لها والضيق بالمعوقات التي تقف في طريقها،  
والواقع أن الشاعر لم يصل إلى حل نهائي واحد للمشكلة، ولم يجد طريق الخلاص  
الأخير فيها، على أننا نستطيع أن نجد في هذا الديوان بعض الملامح المعينة التي تصور  
طريق الخلاص التي اختارها الشاعر.. في الحدود الضيقة التي وصل فيها إلى اليقين.

فشاعرنا يرفض منذ البدء ذلك «الإنسان الرومانسي» الذي يعيش في عالم غامض  
خيالي، إنه يختار الحياة في دنيا الصراع الواقعي الواضح. وفي محيط هذا الصراع توجد  
بعض الموانئ التي يستريح إليها حيناً بعد حين، وفي هذا المحيط تظل مبررات القلق  
واسبابه قائمة بعيداً عن تلك اللحظات يجد فيها الشاعر مأماً يستريح إليه.

فما هي الموانئ أو المرافئ التي يستريح إليها هذا الشاعر... إن أول مرافئ هو الفن، إنه  
يجد في «التعبير، جانباً من جوانب الخلاص، فهو كثيراً ما يمجّد  
«الكلمة»، والكلمة، تقوم هنا بالنسبة للشاعر بنفس الدور الذي تقوم به

أدب ونقد

المأساة، على المسرح بالنسبة للمشاهد في رأى أرسطو .. فعملية «التطهير» التي تتم عندما يشاهد الإنسان مأساة المسرح، هي نفسها التي تحدث للفنان بعد أن ينتهى من عمله الفنى. إن توتره وقلقه يتوابعان في عملية ضخمة واسعة النطاق، وهو من خلال هذه العملية يسمو بحالته النفسية إلى مستوى من الانسجام والتناسق لا يتوفر للنفس قبل عملية الإبداع الفنى نفسها... ففي ثلاث قصائد في: «لن نغنى، و«ميلاد الكلمات» ودفاع عن الكلمة... يظهر بوضوح إيمان الشاعر بالكلمة كوسيلة من وسائل الخلاص، وكمرقاً آمناً تلجأ إليه النفس في حالة قلقها واضطرابها وتعرضها للمشكلة التي يصرخ الديوان بالتعبير عنها... ومن الواضح أن «الفن» كوسيلة من وسائل الخلاص، وكمرقاً آمناً تلجأ إليه النفس في حالة قلقها واضطرابها وتعرضها للمشكلة التي يصرخ الديوان بالتعبير عنها... ومن الواضح أن «الفن» كوسيلة من وسائل الخلاص قد شاع بين أبناء الجيل الراهن، وعبر عنه أكثر من شاعر تعبيراً يتفق في مدلوله ومغزاه، وإن اختلف في أسلوبه الفنى... فقد كتبت نازك الملائكة قصيدة تعبّر عن نفس الإحساس هي «أغنية حب للكلمات»، وكتب صلاح عبد الصبور قصيدة يناجى بها فنه وكأنه في معبد مقدس أحد الآلهة، هذه القصيدة هي «أغنية ولاء»، وكذلك عبر عن نفس التجربة نزار قباني في قصيدة له هي «رسائل لم تكتب لها»...

يعبر أحمد حجازي بإخلاص عن إيمانه بـ «الكلمة» ويجردها دائماً من وظيفتها المؤقتة أو المترفة، «الكلمة» عنده صلة صادقة بالناس، إنها خيالية تماماً من ثياب الاستمباء التي تبستها في مراحل تاريخية طويلة:

لن يأخذنى الخوف

هأنا الأصغر لم أعرف بعد مصاحبة الأمرء

لم أتعلم خلق الندماء

لم أبع الكلمات بالذهب اللألاء

ما جردت السيف على أصحابي فرسان الكلمة

لم أخلع لقب الفارس يوماً،

فوق أمير أبكم

إنه احتجاج على التاريخ الطويل الذي عاشته الكلمة «أسيرة» لبعض الضرووات الخارجية الزائفة... احتجاج على التراث الطويل الذي لم تعرف فيه الكلمة كيف تكون طليقة متحررة من القيود والسلاسل التي طالما أفسدت وظيفتها الإنسانية السامية.

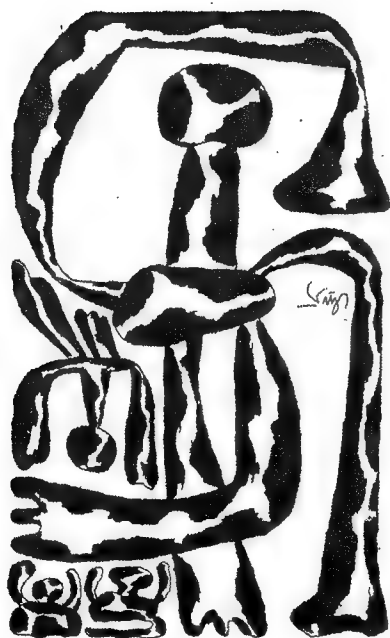
وهو يؤمن بالكلمة عندما تجد صداها عند الآخرين، وعندما تؤدي قدراً من رسالتها في قلوبهم وأفكارهم:

من أجل أن تتفجر الأرض الحزينة بال غضب

وتطل من جوف المآذن أغنيات كاللهب

وتضئ في ليل القرى، ليل القرى كلماتنا

أدب وقد



ولدت هنا كلماتنا  
يا أيها الإنسان في الريف البعيد  
يا من يصم السمع عن كلماتنا  
أدعوك أن تمشى على كلماتنا بالعين لو صادفتها  
كيلا تموت على الورق  
أسقط عليها قطرتين من العرق  
كيلا تموت  
فأصوت إن لم يلق أذنا ضاع في صمت الأفق  
ومشى على آثاره صوت الغراب

وهكذا فإنه إيمانه بـ «الكلمة» الحرة الطليقة هو وسيلة «لتطهير» نفسه مما فيها من قلق واضطراب وضييق، وكوسيلة لملاقته بالناس الذين يحبهم ويرتبط معهم بأكثر من رباط، بعيدا عن تمزق المدينة وزيفها ... هذا الإيمان بالكلمة هو وسيلة خلاصة، وهو وسيلة عرفها أبناء هذا الجيل القلق، وعبر عنها عدد من فنانيه القادرين المبدعين وعلى رأسهم أحمد حجازي.

ومن طرائق الخلاص التي لجأ إليها الشاعر عن إيمان «المقيدة السياسية... والعقيدة السياسية» في عصرنا تقوم مقام «الدين» في العصور والأجيال السابقة، فقد ارتفعت العقيدة السياسية حتى أصبحت تصدر عن فلسفات كبرى تفسر الإنسان والمجتمع، وترسم الحلول المختلفة لما يعرض للعصر من مشكلات.. وقد أشرنا من قبل إلى أن العقيدة السياسية إلى جانب وظيفتها الموضوعية ودورها الإيجابي في المرحلة الراهنة من تاريخ التطور الإنساني، تمثل أيضاً حلا ذاتيا تلجأ إليه بعض النفوس بحثا عن الاستقرار والطمأنينة، وعندما يبدأ الإنسان مرحلة من مراحل الوعي، يرتبط هذا الوعي بنوع من الشك ومراجعة الأمور والبحث عن منطق للاقتناع الذاتي بما يعرض للعقل والشعور من مشكلات.. ولا يمكن للإنسان أن يستقر بعد أن يبدأ هذه المرحلة من الوعي دون أن يصل إلى فكرة منسجمة.. إلى نظرية شاملة تحدد له موقفا من عدد رئيسي من المشكلات، وعندما يصل الإنسان إلى هذه الفكرة المنسجمة الشاملة يصبح أكثر استقرارا وطمأنينة من ذلك الذي لا يزال يبحث عن عقيدة أو ذلك الذي يرتبط بعقيدة لا يطمئن إليها ولا يجد فيها ما يكفي للاقتناع الكامل بها، وما يكفي لتفسير ما يعرض له من أسئلة... ولقد لجأ كثيرون من أبناء جيل أحمد حجازي إلى العقيدة السياسية بدرجات متفاوتة فهناك الذين تصبوا لعقيدتهم وذاؤوا فيها تماما، لأنهم وجدوا في هذه العقيدة آخر ملجأ لمشكلاتهم النفسية الكثيرة، ومنهم من أخذها بحكمة وحذر، ومنهم من ارتبط بها عن تردد وهكذا... وأحمد حجازي يبحث من عقيدته منذ تفتح وعيه على رؤية الحياة، ولكن الاقتناع العقلي وحده لم يفسد رؤية الشاعر للأمور، وذلك مرض معروف من

أمراض أدبنا الجديد بشكل عام، فعدد من أصحاب العقائد السياسية لا

أدب وقد



يكاد الواحد منهم يبصر الدنيا إلا بعين تلك العقيدة دون عمق أو إدراك بعيد... والعقيدة السياسية ليست هي الحياة، بل هي وسيلة للحياة إنها دليل للعمل، وليست العمل نفسه، كما يقول المعلم العقائدى الكبير ماركس... إن أحمد حجازى يلمح دائماً الفرق بين العقيدة العقلية النظرية وبين الواقع الموجود... والتفاوت بين النظرية، والواقع، كان باستمرار منبعها من منابع الفن عند شاعرنا الموهوب.

لقد استقر أحمد حجازى آخر الأمر على عقيدة سياسية معينة.. استقر عليها بعد تجربة ويحث طويل عن الطريق.. وهذه العقيدة ذات جانبين، أما الجانب الأول فهو الجانب الإنسانى العام... إنه محب للإنسان مؤمن به، يرمى بمشاعر حارة كل كفاح للإنسان فى سبيل التغلب على ما يعترضه من عقبات كثيرة، وهذا الشعور الإنسانى شائع تماماً فى هذا الديوان لأن صاحبه يفهم عذاب الإنسان، ويفهمه بالتجربة العريضة المريرة التى عاشها بين الريف والمدينة قبل أن يفهمه عن طريق الأفكار النظرية العامة.

ونسمع صوته العميق التنييل وهو يخاطب الإنسان الريفى الذى يصارع العذاب كل يوم... إنه يحدثه بكل ما يملك من حب للإنسان وهو فى معركة الحياة،

أين الطريق إلى فؤادك أيها المنفى فى صمت الحقول

لو أننى نأى بكفك تحت صفصافة

أوراقها فى الأفق مروحة،

خضراء هههههه

لأخذت سمعك لحظة فى هذه الخلوة

وتلوث فى هذا السكون الشاعرى حكاية الدنيا

ومعارك الإنسان، والأحزان فى الدنيا

ونفضت كل النار، كل النار فى نفسك

وصنعت من نغمى كلاماً واضحاً كالشمس

عن حقلنا المفروش للأقدام

ومتى نقيم العرس

ونودع الألام

وتظهر هذه النزعة الإنسانية التى تتبثق من ضرورة التغلب على الألم فى عدد كبير آخر من قصائده.. لعل أبرزها قصيدة بدفاع عن الكلمة:

أنا فى صف المخلص من أى ديانة

يتعبد فى الجامع أو فى الشارع

هكلا الاثنى تعذبه الكلمة

والكلمة حمل وأمانة

أنا فى صف المخلص مهما أخطأ

فالكلمة بحر يركب سمين مساء

أدب وقفة

حتى يعطى اللؤلؤ  
أنا في صف التائب مهما كان الذنب عظيما

فطريق الكلمة محفوف بالشهوات  
والقايض في هذا العصر على كلمته،

كالمسك بالجمرة

.... وهذه مجرد أمثلة، فانزعة الإنسانية شائعة في الديوان على صور مختلفة... وهذا هو الجانب العام في عقيدة الشاعر، ولكن هناك جانبا آخر في هذه العقيدة، جانبا يتضح في بعض قصائد هذا الديوان.. وهذه القصائد هي على التحديد: «... قديسة، وسوريا والرياح، وصبي من بيروت، وعبد الناصر، فهو مؤمن بالثورة العربية، مؤمن بأهدافها طامع إلى المساهمة في مراحلها المختلفة، وهو يجد السكينة النفسية في رحاب هذه العقيدة.

ولكنه هنا أيضا، كما كان في الماضي، لا يغفل عن الفارق بين العقيدة من الناحية النظرية وبين الواقع... إنه يرى الصدق، ولا يستعمل تفاؤلا في واقع أسود ملئ بالتشاؤم، إن التناقض، قائم وهو يراه ويعبر عنه.. فالعقيدة لم تحسم المشاكل القائمة في الحياة الإنسانية والاجتماعية التي يعيشها ويمارسها باستمرار، فهو مع الناس يجد واجبا داخليا عميقا ينبع من الفهم والشعور يدعو للإيمان بعقيدته تلك، إنها هي التي تدفع الإنسان في بلاده إلى أمام.... ولكنه عندما يعود إلى نفسه يجد أمامه عديدا من المشاكل لم تغنه العقيدة عن عبئها المظني ومرارتها الحادة، ذلك لأن العقيدة إذا كانت تملأ حياته العامة، وجانبها من حياته الخاصة، فإن منطقة غير ضئيلة من حياته الخاصة تظل عريانة من الحنان فلا تمتد إليها يد العقيدة بما يكفيها من احتياجات.. وربما كان ذلك لأن العقيدة لم تغير بعد حياة المجتمع بصورة نهائية حاسمة توحد بين السلوك والفكر، فينعدم بينهما هذا التناقض القائم فعلا... ففي قصيدة الأميرة والفتى الذي يكلم المساء، يرسم هذه الصورة الرائعة لحالته، وحالة العنيديين من أبناء جيله حينما يخلصون مع أنفسهم ومع حياتهم.

.... وفي ليالي الخوف طالما رأيته يجول في الطريق يستقبل الفارين من وجه الظلام

ويوقد الشموع من كلامه الوديع

ففي كلامه ضياء شمع لا تنطفئ

ويترك اليبدين تمشيان بالدماء

على الرؤوس والوجوه

وتمسحان ما يسيل من دموع

الصباح في الطريق

يا أصدقائي إنني أراه

أدب و نقد فلا تخافوا.. بعد عام يقبل الضياء،

وعندما يمشون تمشي فوق خديه الدموع

ويفلت الكلام منه يفلت الكلام

هل يقبل الضياء حقاً بعد عام؟

... تلك صورة رائعة من الحقيقة النفسية التي يعيش فيها صاحب العقيدة الذي يصدق مع نفسه ومع الناس، إنه لا يترك تلك العقيدة تحجب أمامه كل شيء، فلا تريه إلا لونا واحداً، وتصور له كل شيء بخير، وتنفي عنه القلق والاضطراب النفسى كأنه إله، كأنه ملائكة... لكنه إنسان فى حقيقته، وشعره تعبيري صادق عن رؤية صحيحة لحالات إنسانية واقعية.

إن رؤية أحمد حجازى للتناقض الذى مازال قائماً بين العقيدة بما فيها من انسجام وتكامل، والواقع بما فيه من نقص وقصور، إن رؤية شاعرنا لهذا التناقض هو دليل رالغ على أنه يرفع صدق التصوير وصدق الرؤية على أى معنى آخر.... وهو يعلم تماماً أن «الصدق» هو الطريق الصحيح إلى بناء ما نطمح إليه... وليس أبداً «الوهم» وليس أبداً أن نتخيل أشياء نموذجية مثالية لا تؤدي فى نهاية الأمور إلا إلى شعور بالسطحية وعدم الصدق، فإذا كنا مثلاً نقول بدعوة نظرية إلى تحرر المرأة فليس سليماً أن نقول إن نجاح هذه الدعوة من الناحية النظرية يحتم نجاحها الكامل من الناحية الواقعية، حتى لو كذبتنا التجارب فى هذا القول فالحقيقة فى هذا الميدان أن المرأة لم تتحرر تحرراً كاملاً، ولا تزال المرأة فى مجتمعنا العربى تحمل قيودها فى داخل شخصيتها بشكل يعكس هذه القيود على سلوكها، إن تحرر المرأة عندنا لم يتم وهذه حقيقة لا يجوز إنكارها.. والاعتراف بها هو الطريق الصحيح.. وكذلك الأمر بالنسبة لقضايانا الكبرى مثل الاشتراكية والقومية العربية.

إن أحمد حجازى قد وصل إلى مرفأين هما: الفن، والعقيدة السياسية الإنسانية... وقد وجد فيهما بعض الحل للمشكلة التى تمرض له وتمرض لأبناء جيله.. على أن هذين المرفأين لم يحسما كل شيء ولم يمنحا الأمن والسلام والطمأنينة لقلبه، ولذلك فما زالت فى شعره علامات استفهام، وما زالت فيه تجارب قلق، وصرخات الذى لم يذق طعم الهدوء ولا الاستقرار، والتعبير عن القلق فى شعر حجازى تعبيري سليم، إنه صورة لما تعالیه نفسية الجيل العربى الجديد.

على أن أحمد حجازى واضح فى قلقه يعرف جذوره، وصورة الحقيقية... وهذا الواضح فى ذاته هو طريقة من طرق الخلاص التى يشير إليها الشاعر، فهو عندما يتحدث عن قسوة المدينة وتمزق العلاقات البشرية فيها، وضيمية الإنسان ووحيدته وغريته، ثم ذلك العجز القاسى عن تحقيق الوجود العاطفى للإنسان، والعقبات التى تقف فى طريق الرغبة الطبيعية السليمة فى الحياة.. كل هذه الأشياء الواضحة التى تسبب حزنه وقلقه وتمثل مأساته ومأساة جيله تضير بنفسها إلى طريق الخلاص وترسم السبيل إلى مجتمع سليم... ما هو هذا المجتمع على التحديد؟ إنه المجتمع الذى يخلو من كل تلك الأشياء التى يضح بالشكوى منها وجدائه وشعوره وتنعكس على شعره بصورة أدبية وفنية كاملة عميقة، ومن هذا كله نعرف الطريق الذى اختاره أحمد

أدب وفن

حجازي للتغلب على المشكلة الكبرى التي تقف أمامه.

هذا هو شاعرنا في المشاكل التي يعبر عنها والقضايا التي تملأ حياته وتشغل ذهنه.. وتستطيع أن تقول عن هذه المشاكل وعن تلك القضايا إنها صورة صادقة من العصر الذي يعيشه، إنها حكاية شاعر إنسان، ولكنها في نفس الوقت، وينفس الدرجة من القوة والصدق تحكي حكايتنا كلنا، نحن أبناء الجيل العربي الجديد، إننا نرى في هذا الديوان أنفسنا، نرى في مستقبلنا، نرى فيه تلك العقبات التي تسد طريقنا وترفع علامة حمراء كلما أردنا أن نتقدم خطوة إلى أمام، وسيظل هذا الديوان وثيقة من وثائق العصر تدل عليه، وترسم خطوطه العميقة الكبيرة، ولا تنسى من ملامحه الحقيقية خطأ هنا أو هناك.. إنه وثيقة نادرة، ووثيقة من تلك الوثائق القليلة التي لا تتكرر بكثرة.. وباستثناء ديوان الناس في بلادي، لصالح عبد الصبور لم يظهر في مصر عمل شعري على جانب كبير من الخطر والأهمية في تصوير جيلنا وعصرنا مثل، مدينة بلا قلب، ولا شك أن هذه الحقيقة تضمن لهذا الديوان بقاء طويلًا وتقدمه إلى التاريخ عملاً من تلك الأعمال الكبرى التي لا تمثل شيئاً كبيراً في الأدب وحسب وإنما في الحياة أيضاً.

على أن هذا الشاعر الثائر في أفكاره وآرائه، والذي يحمل صورة دقيقة للماض عاصرنا وجيلنا.. لا يقف بثورته عند الحدود الموضوعية الفكرية وجيلنا.. لا يقف بثورته عند الحدود الموضوعية الفكرية، بل هو أيضاً صاحب ثورة في ميدان الفن، أو هو واحد من الرواد الثائرين في هذا الميدان. فما هو ثورة شاعرنا في ميدان الفن؟

إن أحمد حجازي واحد من أبناء المدرسة الحديثة في الشعر.. إنه ليس مبتكر هذه الطريقة الفنية الجديدة فهذه الطريقة في حقيقتها هي أسلوب صنع كفاح أكثر من جيل واحد، حيث كان الجميع يبحثون عن أسلم طرائق الأداء الفني للتعبير عما في نفوسهم من أشياء جديدة لم يعد يحتملها الشكل الفني القديم للقصيدة العربية.. ولقد كانت النتيجة الأخيرة التي وصل إليها شعرنا العربي المعاصر اليوم هي ثمرة محاولات متعددة اشترك فيها عدد كبير من شعرائنا وأدبائنا.. اشترك فيها: نويس موز، ويدر شاكرو السياب، ونازك الملائكة، على أحمد باكثير، وعبد الوهاب البياتي... وبعد ذلك لمح في ميدان الشعر الجديد عدد من شعرائنا وكان من ألمع هؤلاء جميعاً شاعرنا من مصرهما: صلاح عبد الصبور وأحمد حجازي.

والحق أن معركة الشعر الجديد لم تستقر بعد تمام الاستقرار، فما زال هناك آراء متضاربة حول هذه القضية.. وما زال هناك نقاد يتساءلون: هل يستقر هذا الشعر على شكله الأخير. أم أنه من الضروري أن يعود شعرنا إلى شكله التقليدي القديم؟ ونحن نستطيع أن نقول في هذا الميدان إن الشكل الجديد من الشعر قد بدأ مرحلة استقرار تؤكد أنه صالح للبقاء.. ولذلك فإنه سوف يبقى.. على أن الشيء الذي لم يكن واضحاً من قبل هو مدى صلاحية الشكل القديم للبقاء في ميدان الفن الشعري.. وأظن أن الأمر أصبح واضحاً اليوم بالصورة التالية: فالشكل الجديد للشعر ضروري وأساسي، وهذا الشكل سيصبح الشكل الرئيسي للشعر العربي خلال مدة طويلة لما فيه

أدب ونقد

من عناصر تجعله أكثر استيعاباً لروح عصرنا من الشكل القديم على أن الفكرة التي كانت ترى أن الشكل الجديد معناه القضاء المطلق على الشكل القديم الشعري... هذه الفكرة لم تعد صحيحة ولا صائبة، إن الشكل الجديد لا يمنع بقاء الشكل القديم، بل إننا نجد أن القصيدة الجديدة تلجأ أحياناً إلى الاستعانة في بنائها بالشكل القديم كما حدث في قصيدة «بغداد والموت المنشورة في هذا الديوان، ففي هذه القصيدة يستخدم أحمد حجازي الشكل القديم عندما ينتقل من مرحلة التصوير إلى مرحلة الغناء... إنه يلجأ إلى الشكل التقليدي ليغنى.. فالغناء يتطلب نفساً طويلاً، وهذا النفس الطويل يتوفر بصورة رالعة في الشكل التقليدي الذي يحتفظ بوحدة البيت، ووحدة الإيقاع ويعبر عن أفكاره مباشرة.. ونستطيع أن نشير إلى شاعر عربي معاصر هو يوسف الخطيب، الذي يستخدم الشكل القديم في معظم قصائده، إلا أنه مع ذلك يصل فيه إلى مستويات رائعة من التعبير الشعري مثل قصيدته المعروفة «أغان من فلسطين»... إذن فالشكل الجديد هو الشكل الرئيسي للشعر ولكنه لا ينفى وجود الشكل القديم، ولا ينفى استخدام هذا الشكل في بناء القصيدة نفسها ولا أظن، كما تصور بعض النقاد، أن الشاعر العربي سوف يرتد إلى الشكل القديم بصورة نهائية في المستقبل.

على أن أحمد حجازي يعتبر نصراً كبيراً للشكل الجديد في الشعر حيث هو في هذا الديوان يتخلص من أكثر العيوب التي أخذت على الشعر الجديد، ويثبت أن الشعر الجديد نفسه غير مسئول عن هذه العيوب وأن العيب في الشاعر لا في الشكل الفني.. فهذا الشكل الفني عندما يتاح له شاعر موهوب فإن عيوبه تختفى أو تكاد... وهذا هو ما حدث مع أحمد حجازي.

أبرز عنصر في هذا الديوان هو عنصر التشخيص أو ما يسمى في المصطلحات النقدية بالعنصر الدرامي، وهذا العنصر الفني يعطى القصيدة العربية أبعاداً جديدة، ويجعل منها كائناً فنياً أكثر صحة وسلامة وعمقاً وتوهجاً.. وهذا العنصر لم يكن في الإمكان أن يظهر عن طريق وتوهجاً.. وهذا العنصر لم يكن في الإمكان أن يظهر عن طريق القصيدة العربية القديمة، وهي في مجملها شكل فني بدائي محدود الطاقة والأبعاد.. والتشخيص هو نفسه ما يسميه الأستاذ الناقد محمود العالم بالتعبير بالصور... ففي هذا الديوان نجد أن الشاعر لا يلجأ إلى التعبير المباشر عن تجاربه وانفعالاته، وذلك ما كان يفعله الشاعر العربي القديم، هنا نجد أن الصورة الإنسانية المتكاملة هي التي تعبر عن تجارب الشاعر وانفعالاته المختلفة، ولو راجعنا معظم قصائد هذا الديوان لاستطعنا أن نخرج منها بمجموعة من الشخصيات التي تحمل كل شخصية منها دلالة ما، وتترك هذه الشخصيات في النهاية لتخرج الدلالة العامة للديوان... فالشخصية النفسية والعقلية بل والشكلية أيضاً لإنسان العام السادس عشر مرسومة بدقة ووضوح في قصيدة «العام السادس عشر» وشخصية الإنسان الذي يشكو الوحدة والضيق ويرغب في الحياة ويصرخ لأن أمام طريقه عديداً من العقبات هذه الصورة مرسومة بعمق وأصالة في قصيدة «كان لي قلب».. وفي قصيدة الأميرة والفتي الذي يكلم المساء،

أدب وفن

شخصيات إنسانية تتحرك، لكل منها ملامحه الخاصة وطبيعته النفسية والفكرية وبين هذه الشخصيات يدور صراع له مدلوله ومغزاه... فالأميرة هي الفتاة المثقفة التي تدخل الحياة العامة دون أن تتطور نفسياتها مع مبادئ هذه الحياة تطوراً حقيقياً وإنما تقف شخصيتها عند حدود التطور الشكل الخارجى، والفتى الذى يكلم النساء هو مثال للشباب الذى يريد أن يساهم بدور فى بناء الحياة، وهو يلتهم هذه المساهمة عن طريق العقيدة التى تبهره وتفريه، وهو يعامل الناس حسب مقاييس تلك العقيدة ويبنى حبه و صداقته على هذا الأساس ولكنه يصدم خلال اختياره الواقعى للناس، بـ الأميرة، التى تظاهرت بحب الاشتراكية عندما قالت:

قلبنى على طفل بجانب الجدار

لا يملك الرغيف

هذه الأميرة لا تحب شيئاً من هذه الأفكار ولا تؤمن بها، إنما هي زينة العصر وحسب... وعندما يحبها الفتى يفضل فى حبه بالطبع.. ويمضى الصراع على هذا المستوى... إنه ليس صراعاً نفسياً شامخاً... بل هو صراع نفسى دقيق واضح، وهو صراع نماذج بشرية وليس صراع أفكار تجريديّة... ولو تناول الشاعر العربى القديم تجربة هذه القصيدة لاكتفى بأن ينظم هذا المعنى:

لقد رأيتك فأعجبني حديثك وشخصيتك اللذان أضافا إلى جمالك لونا باهرا، فلما تقدمت إليك بعواطفى، تبينت أنك إنسانة غير صادقة فيما تدعين وأنك تتظاهرين.. وليس هناك شيء أبعد من ذلك..

لم يكن الشاعر القديم يستطيع أن يفعل أكثر من نظم هذا المعنى فى مجموعة من الأبيات المحدودة المباشرة.. ولكن شاعرنا الجديد يتخلص من هذا المستوى البدائى المحدود فى العمل الفنى، ويصل إلى مستوى أكثر عمقا وأكثر اتساعا، وفيه ينبض المعنى الإنسانى العام بجانب الملامح المحددة المرسومة بدقة للناس الذين يعيشون فى عصرنا وللصراع الذى يدور فى هذا العصر.

ومطريقة التشخيص أى خلق شخصيات فى مجال الفن الشعرى، وبمعبر آخر لتقديم «صور» لا أفكار... هذه الطريقة هى التى تميز شعرنا الجديد عن الشعر القديم تمييزاً جوهرياً، وهى نفسها التى تمنحه الميزة، والتفوق على الشعر القديم.. وهى إلى جانب ذلك كله التى تربط شعرنا العربى بالشعر الإنسانى العالمى فى أعلى صورة، فطريقة التشخيص هى النوع الصافى فى أرض الشعر.. وحسبنا أن نشير هنا إلى الشاعر العالمى الكبير (شاس، إليوت، فمعلم شعر) إليوت يقوم على التشخيص إذ إن قصائده تحتوى باستمرار على نماذج إنسانية تمير عن تجارب الشاعر بطريقة إيحائية، وتشارك مع القصة فى بعض عناصر بنائها.. ولندكر لهذا الشاعر الكبير قصيدته المعروفة «أغنية العاشقة، ألفريد بروفروك»، وفى هذه القصيدة يتحدث «مستر بروفروك» عن نفسه وهو عجوز يتقدم إلى خطبة فتاة عصرية تغشى الصالونات وتجيد الحديث السطحى.. وعلى ضوء هذه التجربة يبدأ المعجوز فى اكتشاف عناصر النقص فى

أدب وفن

ذاته، فهو ليس متكافئاً مع هذه الفتاة.. هي صغيرة تضج بالصبا والحياة، وهو عجوز جفت  
ينابيع الصبا والعواطف الحارة في جسده ووجدانه، وهو أصلع تساقط شعره، ولم يبق منه  
سوى شعيرات بيضاء.. وهو يلبس زياً رائعا ولكنه مهتدم الأعضاء ذراعاه عجفوان ، وساقاه  
ضامرتان.. ومن هنا فإنه يتردد أشد التردد في الاستمرار في خطبة الفتاة كيف أجرؤ على  
إزجاج الكون؟ فلا أخل لنفسى دقيقة لأتبرر، ففي الحقيقة متمتع للعزم والعدول، وللمدول  
عن العدول...

وتمثلئ نفسه بالتردد والقلق وهو في تجربته المريرة تلك .  
وتستطيع أن تفسر قصيدة إليوت أكثر من تفسير، على أن أقرب التفسيرات هي أن الفتاة  
رمز للحياة العصرية المفتوحة الخالية من العمق والمعاشق هو المفكر الذي يشيخ وينذل  
ويصطلم بمجزه الذاتى وضعفه أمام إغراء الحياة وما فيها من دعاء ودعاء وهذا المعاشق  
قد يكون إليوت نفسه، وقد يكون كل رجال الفكر والعقل في نظر إليوت.

لم يعبر إليوت عن تجربته تعبيرا مباشرا، ولم يقل كما قال شاعرنا العربي:  
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله  
وأخو الجهالة في الضقاوة ينعم

بل لقد صور القلق والتردد وعجز الفكر والثقافة بخلق تلك الشخصيات التي تعبر عن  
نفسها بقوة.. شخصية الفتاة الجميلة المغرية التي تكثر من الحديث السطحي عن ميكل  
أنجلو، وغير ذلك من الموضوعات والشيخ الذابل يظهر بأحسن مظهر ولكنه في حقيقته  
يحبس بلهيب العدم والعجز، وهو من هنا يحس بالتردد والقلق، هل يتقدم إلى خطبة  
الفتاة أى هل يقبل على الحياة؟ أم يعدل عن ذلك.. أى ينعزل؟

هذا هو الأسلوب الفني الذي يظهر في «مدينة بلا قلب» .. وتستطيع أن تجده واضحا في  
كل قصيدة من قصائد الديوان مليئا بنماذج إنسانية ترمز وتعبر وتكشف عن الصراع الذي  
تدور فيه وتعيشه وهذه النماذج الإنسانية يلتقطها الفنان من واقع الحياة لتدل على رؤيته  
لهذا الواقع وأفكاره عنه.

وطريقة «التشخيص» هذه هي التي تفرض وتبرز الشكل الجديد للشعر.. لم يعد الشعر  
كما كان في الشكل القديم للقصيدة مجموعة من الخواطر المناسبة ، لم يعد مجرد تداعي  
معان... إذ كان الشاعر القديم يستطرد حسبما شاعت خواطره من غزل إلى وصف  
للأطلال إلى مدح أو شكوى أو هجاء أو غير ذلك... كلا فإن شاعرنا الجديد مرتبط  
بضرورة تصوير شخصيات ومواقف وهذا التصوير يحتم عليه نوعا خاصا من البناء الفني  
تتوفر له وحدة القصيدة لا وحدة البيت... إن المعنى الذي يريد أن يقوله الشاعر لا ينتهى  
بانتهاى البيت، وإنما ينتهى بانتهاى القصيدة، والقصيدة أشبه بالقصة القصيرة، ولا يمكن  
أن نجزئ القصة القصيرة إلى أجزاء منفصلة، إنها وحدة منذ أن تبدأ حتى تنتهى. وكذلك  
القصيدة الجديدة، فأنت لا تستطيع أن تصل إلى المعنى العام من قصيدة العام السادس  
عشر دون أن تقرأها كاملة، إن حذفت جزءاً منها فإنك لن تعرف إطلاقا  
أدب ونقد ماذا يريد الشاعر أن يقول في الأجزاء الأخرى، إنها تقدم حياة الشاب في

العام السادس عشر في مراحل متتابعة ومواقف لكل منها دلالة خاصة لا تستغنى عنها اللوحة الشعرية الكاملة بحال من الأحوال.. وتلاحظ أن التشابه بين القصيدة والقصيدة الجديدة ليس كاملاً.. إن الشاعر الجديد لا يتصور كل تفاصيل لوحته، بل إنه ينتقى من الحياة المواقف الدالة والتي يمكن أن تنتقل إلى الشعر. أما هؤلاء الذين يصورون كل التفاصيل الصغيرة لواقع الحياة، بلا دلالة من ناحية، ولا تفكير في التفرقة بين الموقف الشعري، والموقف غير الشعري... هؤلاء يفسدون الشعر الجديد ويسيلون فهمه تماماً، فليست مهمة الشعر الجديد هي أن يصور كل شيء.. إن الصورة في الشعر الجديد مهمة حقاً، ولكن لنحذر التصوير الفوتوغرافي الذي لا يحمل رمزاً ولا دلالة.. كما أن ذلك الشاعر الذي يستخدم الشكل الجديد ليعبر أيضاً عن خواطر غير مرتبطة بطريقة التداعي الحر للمعاني.. مثل هذا الشاعر يكون الشكل القديم أصلح لتجاريه وأنسب إن الصورة الكاملة أساس جوهري في الشعر الجديد ويدونها يصبح الشكل نفسه لا ضرورة له ولا مبرر فتداعى المعاني، وتعدت الموضوع في القصيدة الواحدة كما هو شائع في القصيدة القديمة.. هذان المنصران لا يصلح لهما إلا وحدة النغم وانتظامه كما هو الأمر في الشعر القديم الذي يشترط وحدة القافية واكتمال البيت الشعري.

وقبل أن تنتقل من الحديث عن التشخيص نود أن نشير إلى أن أحمد حجازي كان في بعض قصائده يلجأ إلى الصور الجزئية ليمبربها عن فكرة في داخل القصيدة، وهذه الجزئية رائعة ناضجة، وهي تؤكد من جانب آخر أن ضرورة اعتماد القصيدة على صورة كلية شاملة، لا ينفي جمال الصور الجزئية التي ترد في البيت الواحد أو المقطع، وتعتمد على التشبيه أو الاستعارة.. فندما يقول الشاعر:

.....

ولدت كلماتنا

ولدت هنا في الليل يا عود الذرة

يا نجمة مسجونة في خيط ماء

يا ثدي أم لم يعد فيه لبن

يا أيها الطفل الذي مازال عند العاشرة

لكن عينيه تحولت كثيراً في الزمن

هذه الصور الجزئية المتتالية لها روعتها وجمالها ومن حقنا أن نستمتع بها كمصور فنية رائعة لا يمكن للشاعر أن يستغنى عنها بحجة أنه يهدف إلى التعبير عن صورة أعم وأشمل، فالصور الجزئية لا تتناهى أبداً مع عملية التشخيص التي يقوم على أساسها بناء القصيدة الجديدة.. فالصور الجزئية هي لبنات تقيم البناء الكبير للقصيدة كلها، وكلما كانت هذه اللبنة رائعة حلوة أصيلة، ازداد البناء الكبير أصالة وروعة... ونحن لا نملك إلا أن نهتز أمام هذه الصورة: يا نجمة مسجونة في خيط ماء، كما كان يهتز القدماء تماماً أمام الصور والتشبيهات التي تعرض لهم، ففي هذه الصورة العذبة الجميلة يريد الشاعر أن يقول لنا إن، ليل الريف ساكن هادئ عامر

أدب وفن





بالصفاء.. حتى إن النجمة في السماء تنعكس صورتها على الماء في لأرض ولكن أي ماء؟..... إنه خيط ماء.... ربما كان قناة أو جدولاً صغيراً لا عنف فيه ولا اندفاع.. على أن هذه النجمة، مسجونة، في خيط الماء ذاك... وهذا معناه أن الوقت بطيء.. وأن النجوم لا تتحرك بسهولة.. إن انعكاس صورتها على الماء بدون حركة سريعة منها.. يعني أنها أصبحت سجيناً هذا الخيط الهادئ الساحر.

وعندما يقول الشاعر لنا: يا ثدى أم لم يعد فيه لبن... فإن عالمنا من الحرمان والضيق والمأساة ينفتح أمام عيوننا ومشاعرنا.. وعندما يقول يا أيها الطفل الذي مازال عند العاصفة... لكن عينيه تجولتا كثيراً في الزمن، لا نملك إلا أن نهتز بكل عواطفنا أمام روعة الصورة وأصالتها.. هنا عظمة التجربة في الريف وعراقتها، فالتناس في الريف يعيشون في صلة مشتركة مع الكون ويطيلون التأمل في ظواهر الحياة... إنهم على صلة، شخصية ذاتية، مع دوابهم وهم على صلة شخصية ذاتية مع الشجر والزراعة والماء... مع الطبيعة.. والدنيا أمامهم لا سرعة فيها إنما تفاصيل هائلة بطيئة، وهكذا فإن ابن العاصفة في الريف يبدو عليه كبر التجربة وعمق المباشرة لظواهر الكون، وذلك الإحساس الفائر بالزمن.. ذلك هو الريف الحقيقي، وتلك هي دنياه كما ينقلها لنا الشاعر في صورة الجزئية تلك. إن بلاغتنا المصرية لا تهدم بلاغة القدماء، إنما تأخذها كما هي ثم تطورها وتعمل على امتدادها ونموها ولذلك فإن طريقتهم في النظر إلى الشعر ليست خاطئة وإنما هي طريقة ناقصة..

وبالرغم من أن الإحساس قد تغير في بناء القصيدة الشعرية، وفي النظر إليها فإننا سنظل ننظر إلى الأمور أحياناً بنفس النظرة القديمة ونعترف ببعض ما وصلوا إليه.. ولذلك فنحن مثلهم نعجب بالصورة الجزئية في الشعر، مثل الصور التي أشرنا إليها ونحتاج إلى وجودها ولكننا لا نستطيع أن نقف عند حدودها وحسب... ومثل هذه الصور موجودة بكثرة في هذا الديوان.

وإذا كان أبرز ما في التشخيص، هو خلق نماذج إنسانية ومواقف نفسية داخل القصيدة.. فإن عنصر الحوار، يظهر هو الآخر واضحاً في بناء القصيدة الجديدة، ووضوح هذا العنصر يدعم خروج القصيدة الجديدة من الأفكار المجردة العامة، إلى التجارب التي تتجسد في شخصيات ونماذج، وتستلزم وحدة في بناء القصيدة كلها لا في البيت وحسب ولا يوجد الحوار بمنه الكمال في القصيدة العربية القديمة، بل هو موجود بصورة بدائية محدودة، ولكنه في القصيدة الجديدة يمثل عنصراً واضحاً من بنائها الفني، وفي قصائد: الأميرة والفتى الذي يكلم المساء، ومذبحة القلعة، وحلم ليلة فارغة، والطريق إلى السيدة، يظهر هذا العنصر بوضوح ليدعم وسيلة الأداء الفني التي اختارها الشاعر، وأصبحت من أبرز ما يميز الشعر الجديد وهي طريقة التشخيص أو التمييز بالصور. وهناك إلى جانب الحوار الذي يدور بين شخصين، حوار ذاتي هو ما يسمى بالمونولوج الداخلي، وهذا الحوار الذاتي شائع في عدد آخر من قصائد الديوان مثل العام السادس عشر، ومذبحة القلعة، وهذا الحوار يميز الشعر الجديد،

أدب ونقد



وهو شائع أيضاً في النماذج المشابهة له في الشعر العالمي، مثل القصيدة التي أشرنا إليها والتي كتبها تاس، اليوت... فالعاشق، في قصيدة أغنية بروفروك كثيراً ما يتحدث إلى نفسه مستبطناً مشاعرها مقترحاً عليها ناقداً لها... إلى غير ذلك من المواقف التي تحدث عادة عندما تنقسم النفس على ذاتها في حوار داخلي عنيف، والحق أن هذا النوع من الحوار، وهو المونولوج الداخلي لم يعرفه الشعر العربي، لأن الشعر العربي كان يعنى بـ «الخواطر» والخواطر عادة ما تكون متسقة منسجمة وذات اتجاه واحد، فهي إما حزينة وإما فرحة... وهكذا، أما المونولوج الداخلي فيولد مع الانقسام النفسي... مع حالة القلق والاضطراب، وغموض الأمور وعدم تحدها أمام عين الإنسان حيث يتجادب نفسه أمراً أو أكثر.

ومن الأشياء التي تؤخذ على الشعر الجديد عادة أنه أقرب إلى النثر منه إلى الشعر بسبب ضعف موسيقاه فمعظم قصائد الشعر الجديد تكتب في بحر شعري واحد هو بحر الرجز وهذا البحر معروف عند العرب بأنه أقرب البحور الشعرية إلى النثر وقد يجئ الكلام على وزن الرجز دون عمد أو قصد بل يكون وزنه عضواً ويمحض المصادفة. وقد كان الرجز في الجاهلية هو البحر الذي ينظمون عليه أشعاراً كانوا ينظرون إليها على أنها نوع من الأدب الشعبي غير جدير بالتسجيل... ذلك أن الرجز كما يقول أحد علماء العروض العربي كان فناً مستقلاً من فنون القول، فالتناس في لهوهم وعبتهم، في أسواقهم وبيعتهم وشرائعهم، في بعض أغانيهم وغزلهم، في دعاباتهم وفكاهتهم في القصص والحكايات، في كل ما يعرض لهم من شئون في حياتهم العادية التي تخلو من الجد والجلال كانوا يمدون إلى الرجز فيروحوون به عن أنفسهم ويعبرون به عما يمكن أن يجيش في متناولهم جميعاً، العامة منهم والخاصة... فهذه الوظيفة القديمة للرجز توضح تماماً أن العرب كانوا ينظرون إلى هذا البحر على أنه قريب جداً من النثر... والاتهام الذي يوجه إلى الشعر الجديد هو في نفس الوقت غاية من غايات هذا الشعر وهدف من أهدافه، فالشعر الجديد يقوم على أساس من التعبير عن وظيفة اجتماعية جديدة وقد دفعته هذه الوظيفة الاجتماعية إلى البحث عن قالب أكثر عمقا واتساعاً ودفعته إلى أن يتخلص من بعض الخصائص الظاهرة في القصيدة، ومن هذه الخصائص: النغم الخارجي الواضح... فالقارئ للشعر العربي القديم كثيراً ما ينشغل بما فيه من موسيقى صاخبة عن معانيه الداخلية، والشعر الذي كانت وظيفته في الماضي هي التأثير في الناس عن طريق الإنقاء أصبحت وظيفته أن يؤثر في الناس عن طريق القراءة، ويحتاج الإنقاء إلى الطابع الخطابى، وتحتاج القراءة إلى «الهمس»... إلى «الإيحاء»، إن النغم لم يعد الشغل الشاغل للشاعر الجديد، بل هناك التجربة التي يعبر عنها، وهناك الصورة التي يرسمها، والبناء الفني الذي يصممه لقصيدته، كل هذا هيء جديد على الشعر يحتم التخلص من النغم الصارخ العنيف الواضح... وقد اتجه الشعر الجديد وهذا اللبؤوان من أهم نماذجه الفنية إلى طريقة «التشخيص، للتعبير عن التجارب المختلفة، وقد خلقت هذه الطريقة في القصيدة طابعاً قريباً من طابع القصة، ويحتاج مثل هذا

أدب وفن

الطابع إلى التخلص من النغم الصاخب، والاهتمام بالنغم الهادئ اليسير الذى يصلح لرواية شئ ما... وهذا هو الذى دفع الشاعر الجديد إلى اختيار الرجز وتخليه على غيره من البحور الشعرية، والرجز هنا يقوم بالدور الذى رفض القدماء للشعر أن يقوم بالدور الذى رفض القدماء للشعر أن يقوم به وهو التعبير عن تجارب الحياة اليومية، لا عن التجارب العامة مثل الحرب والفخر وما إلى ذلك من تجارب فى الحياة العربية فى مجتمع القبيلة.

والشاعر الجديد يقول تماماً كما قال الشاعر الإنجليزى المعروف، بيتس: لقد كنا نريد التخلص لا من مقاييس البلاغة وحدها فحسب، بل من العبارة الشعرية أيضاً، لذلك حاولنا أن نخلع كل ما يتسم بالتكلف وأن نختار أسلوباً أقرب إلى الكلام بسيطاً كأبسط أنواع النثر، كأنه صيحة تخرج من القلب... هذا هو بالضبط ما يريده شاعرنا الجديد، وهذا ما لجأ إلى الرجز، وهو البحر الشبيه فى الشعر الإنجليزى ببحر الأياامب، ذلك البحر المستخدم كثيراً عند الإنجليز، ولا يمكن التعبير عن القصة الشعرية فى الأدب الإنجليزى إلا عن طريق هذا البحر المشابه لبحر الرجز.

وشاعرنا يستخدم بحر الرجز، فى أكثر من ثلاثة أرباع قصائد هذا الديوان، أما القصائد الأخرى فموزعه بين عدد من البحور المختلفة، والأساس الذى دفع بشاعرنا وبغيره من شعراء الجيل الجديد إلى اختيار هذا البحر هو تبسيط العبارة، والتخلص من النغم الخارجى العنيف الحاد حتى تتاح فرصة للعناصر الأخرى فى القصيدة أن تبرز بوضوح فى جو من الهدوء الذى تتميز فيه الأشياء، لا فى جو من الضجيج الذى يخفى التفاصيل والجزئيات. ومع ذلك كله فإن أحمد حجازى يعتبر من أكثر الشعراء الجدد تنوعاً فى أنغام بحوره، فعدد كبير من الشعراء يقفون بشكل واضح ملموس عند حدود نغمة لا يتعدونها أبداً... ولكننا نجد فى هذا الديوان عدداً من القصائد المهمة الرائعة التى تعتبر من أجمل قصائد الشعر الجديد على الإطلاق قد كتبت فى بحور غير الرجز مثل العام السادس عشر «رمل»، وكان لى قلب «هزج»، وثلاث نغنى «كامل».

ونحن نعتقد أن شاعرنا سوف يتوسع مستقبلاً فى استخدام البحور الأخرى فى الشعر، وفى شعره بذور نغمة «خطابية» جديدة، سبب هذه النزعة هو ارتباطه فى بعض مواقفه الفنية بالتعبير عن قضايا عامة تتصل اتصالاً مباشراً بالجمهور ويقومون بـ «القاء» شعرهم فى جماعات فقد رصد جزءاً من شعره للتعبير عن قضية يؤمن بها أشد الإيمان ويشارك فى الإيمان بها مع عدد كبير من النامى، ولذلك فهو يستخدم النداءات أحياناً، ويستخدم الشعارات أحياناً أخرى، ولكنه استخدام مقبول لأنه ينبع من حاجة نفسية أصيلة للاتصال بالجمهور، وللتعبير عن الفكرة التى يؤمن بها، ويبنى عليها مجموعة من الأحلام فى دنيا الغد، بل وفى دنيا الحاضر أيضاً، وهذا الموقف يتكرر فى العهد الحديث لدى عدد من الشعراء الذين يعبرون عن قضايا عامة مشتركة، مثل كبلنج، الشاعر الاستعماري الذى كان يستثير النزعة القومية المعتدية عند الإنجليز،

أدب وثقافة

وكانت أفكاره بالقياس إلينا أفكارا استعمارية وعدوانية، ولكن طريقة الأداء الفني عنده كانت متفوقة جميلة.. ومثل ناظم حكمت الشاعر التركي الإنسانى، والذي يكثر من مخاطبة الناس حول قضية عامة، ومثل النشيد الإنسانى الخالد المعروف بـ «المارسلينز» للشاعر الفرنسى، فهو من الناحية الفنية مكتمل رغم نزعة الخطابية... وكذلك فى شعر «والت ويطمان» الشاعر الأمريكى الديمقراطى الكبير. وسوف نجد هذه النزعة عند أحمد حجازى فى قصيدة طويلة رائعة لم تنشر بعد هى قصيدة «أوراس» (♦) كما أنها تبرز فى بعض أجزاء قصيدة «بغداد والموت» و«سورية والرياح» وبعض القصائد الأخرى المشابهة، والنزعة الخطابية هنا وبهذا المعنى ليست نزعة مكروهة أو مرفوضة، إنها لا تضر بالبناء الجديد للقصيدة، إذا كان الشاعر قويا قادرا مؤمنا بما يعبر عنه، ولا تفرض العودة إلى الشكل القديم بما فيه من بدائية وقصور... كلا فهى نزعة جديدة، تليها حاجة من حاجات العصر، إذ يعود الشاعر إلى الاتصال بالجمهور اتصالا مباشرا ولكنه لا يفقد نفسه وسط هذا الجمهور، ولا يفقد مواهبه، ولا يفرض على ذاته مشاعر ثم تنبع بصديق من هذه الذات... إنها «خطابية» جديدة تختلف عن الطابع الخطابى القديم للقصيدة المربية.

ويعد هذه الرحلة الطويلة فى ديوان «مدينة بلا قلب» نترك هذا الديوان للقارئ والتاريخ.. لقد قال أحد المفكرين ذات مرة «إن الكتب هى، بعد الناس، أهم شئ فى العالم».. وتلك فكرة صحيحة صائبة، فالعمل العظيم فى ميدان الفكر أو الفن يحمل بين سطوره أهم ما فى الشخصية الإنسانية من عناصر، سواء أكانت هذه الشخصية هى شخصية فرد أم شخصية جماعة.. أم شخصية كردية تدل على مجموعة كبيرة ولا تقتصر على دلائلها الذاتية.. وفى أوائل هذا القرن قال الزعيم الاشتراكى الكبير لينين: «لقد عرفت عن فرنسا من خلال روايات بلزالك أكثر مما عرفت عن طريق كتب التاريخ»... ذلك أن العمل الفنى العظيم يحمل صورة حية من العصر الذى يعيش فيه، حتى وهو يصور نفسية صاحبه وأفكاره، فإنه فى نفس الوقت يصور الآخرين من خلال هذه الصورة الذاتية التى لا تخص الفنان وحده، وإنما هى صورة لما يدور فى نفوس الغير وفى أذهانهم.. وفى هذا الديوان صورة لعصرنا، وهى صورة نادرة فى صدقها وعمقها وأصالة ارتباطها بجوهر ما يجرى فى حياتنا، لا بالسطح الخارجى الذى يبهى النفوس المحدودة، ويخطف أبصار الذين لا يستطيعون النظر إلى بعيد، وعندما يعبر أحمد حجازى عن تجاربه الخاصة، نجد أن هذه التجارب ليست أبدا صورة لنفس واحدة لا تتكرر، ولكنها صورة حقيقية لنفسية جيل بأكمله، للصراع الذى يدور فى العالم النفسى لهذا الجيل، وفى العالم الواقعى الخارجى الذى يتصل به ويتحرك فيه.

قائى القارئ والتاريخ هذا العمل الفنى العظيم.... الذى هو وثيقة تشهد على عصرنا، وتصور جيلنا... إنه عمل فنى يقول لنا بوضوح: من نحن، وفى أى عصر نعيش.. ثم هو فوق ذلك فن مكتمل الأداة موهور النصيب فى ميدان الموهبة والاجتهاد

أدب وثقافة  
على السواء ■

## الكاتب الضمير

### عيد عبد الحليم

لذا نجد ذلك التشابك الحميم بين الرؤية والرؤيا - في عمله النقدي - بمعنى أنه كان ينجاز دائماً للكتابة عما يجب، فلم يرغمه العمل الصحفي على الكتابة الآلية ذات الطابع اللحظي التي تنتهي بمرور الحدث، إنما كان يحنو دائماً إلى الكتابة التي تؤسس من خلال منهج نقدي يزواج بين المصرفة والسياق العقلائي وبين الأبعاد الإنسانية. فاستطاع أن يمسك بزمام الحدود النقدية التحليلية، قدر إمساكه على جوهر وروح الفعل الإبداعي.

استطاع - ببراعة الباحث المدقق - أن يجمع في منهجه التحليلي بين خصائص المدارس النقدية المختلفة فنرى فيه البعد المجتمعي بتأقضاته وطبقاته كما عند محمد مندور ونرى الفكر الذي أكد عليه لويس عوض في منهجه النقدي من كون الأعمال الأدبية لأبد وأن تحتوى على الفكر اختار رجاء النقاش الطريق المشترك الذي يتواضع مع الإنسان وقضاياه، رغم أنه لم يكن يحدد ما ذهب إليه البعض في الخمسينيات من أصحاب مدرسة الواقعية الاشتراكية في الأدب، كان يريد أن يتماس الإبداع مع الذات الإنسانية بعيداً عن أي أيديولوجيا،

صفتان  
تلازمنا في  
شخصية  
رجاء النقاش  
وهما حرصه  
على تقديم  
الأجيال  
الجديدة  
والتاصيل  
الثقافي،

أدب وفد

لذا كان يfokus في تفاصيل النص الأدبي ليبحث عن روح ذلك النص. فحقق ما قال عنه «إزرا باوند»، «أن الناقد دليل يأخذ بيد القارئ»، حيث جمع بين الحسنيين في عالم النقد وهما قوة التحليل وفرة الاكتشاف من خلال تقديمه للرغيل الأول من تجربة الحداثة في الشعر والرواية، بحيث أصبحت مقدمته لديوان «مذينة بلا قلب» لأحمد عبد المعطى حجازى أشبه بالمانفيسـتو الثقافى بحيث تحول النقد إلى فعل إبداعى مواز بما امتلك من رؤية شارفت تخوم النص الشعرى وفجرت دلالاته المراوغة، وما كان «النقاش» ليكتب عن ديوان «حجازى» إلا لأنه عاش تجربة صاحبه وتبنى موهبته رغم أن هارق العمر بينهما لا يتجاوز العام الواحد، وفى هذا يقول «حجازى» فى إحدى شهاداته عن تلك الفترة «لم يكن رجاء أول من يقرأ قصائدى الجديدة فحسب» ولم يكن هو الذى يرسلها إلى مجلة الآداب التى كان يرسلها فى ذلك الوقت لتتشر فيها إلى جانب قصائد صلاح عبد الصبور، والسياب، ونازك الملائكة، ونزار قبانى، وكفى، وإنما كان رجاء أقرب من أحدثهم عن نفسى، وكنت أقرب من أحدثهم هو عن نفسه، وهو لا يقرأ قصائدى ويسكت، وإنما يقرأها للآخرين ويحدثهم عنها وعننى..

وبالمثل قدم الروائى السودانى الطيب صالح والشاعر الفلسطينى محمود درويش الذى كتب عنه كتاباً مهماً هو «محمود درويش شاعر الأرض المحتلة» الذى دشّن به موهبة درويش الشعرية وكانت بداية التعارف الحقيقية بينه وبين القراء، ثم توالى تعريفه بأدباء الوطن العربى فضلاً عن اكتشافاته المستمرة فى تربة الإبداع المصرى فقدم جيل الستينيات من الروائيين أمثال إبراهيم أصلان وجمال الغيطانى ويوسف العقيد ومجيد طوبيا وغيرهم.

وكان له تجربة لافتة مع شعراء السبعينيات حيث كتب مقدمة بعض دواوينهم أذكر منها مقدمته للديوان الأول للشاعر حسن طلب «وهم على نهدي فتاة» ١٩٧٣، كذلك مقائله الشهير فى مجلة المصور عن العدد الأول من مجلة إضاءة ٧٧، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والدراسات حول شعرهم وشعر الأجيال السابقة واللاحقة عليهم والى تضمينها كتابه المهم «ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء» والمخ فى شخصية «رجاء النقاش» حبه الأثير للشعر يظهر ذلك جلياً فى كتبه الخاصة بسير الشعراء وتجاربهم ومنها كتابه عن «أبو القاسم الشابى شاعر الحب والثورة» وكتاب «بين المداوى» وقديوى طوقان صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر.

أدب ونقد



## ضوء الحرية

كذلك كان رجاء النقاش، من النقاد القلائل الذين يؤمنون بحرية المبدع في اختيار القالب الإبداعي الذي يضع فيه نصه فالمعبرة عنده فيما يقدمه النص من تجديد وابتكار وتجاوز وإدهاش، وعلى سبيل المثال مثلما كان أحد المتبنين لحركة الشعر الحر في منتصف الخمسينيات، رجب - أيضاً - في السنوات الأخيرة بتجربة قصيدة النثر، حيث أكد في أكثر من حوار ومقال بأن قصيدة النثر تمثل ثورة كبيرة جديدة في الشعر العربي، وإن كان أكد - أيضاً - أن هذه الثورة الجارفة والهادرة بحاجة إلى نظام وقواعد فما يجري فيها - الآن - ليس عملاً متكاملًا وإنما هو شلال هادر لم يصل بعد إلى أن يصبح نهراً يجري بين ضفتين..

وعلى ما اعتقد أن رجاء النقاش، قد وضع يده على إحدى الإشكاليات المهمة في مستقبل قصيدة النثر العربية فالآن لا توجد رؤية واحدة حول معالم وبنية هذه القصيدة، ربما للجوء بعض شعرائها إلى النموذج الغربي، وربما - أيضاً - وهذا هو الأخطر فغاب البعد النقدي الموازي للثورة العارمة لهذه القصيدة كما وصفها «النقاش»..

## قلب كبير

إذن لم يكن رجاء، من ذلك النوع من النقاد أصحاب البرج العاجي، فبرغم رئاسته لتحرير عدد كبير من المجالات الثقافية والفنية في مصر والعالم العربي إلا أنه أمتلك قلباً كبيراً وضميراً حياً وقد صدق الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور حين قال عنه في تقديمه لكتاب رجاء، «في أزمة الثقافة المصرية:

«يحمل رجاء في قلبه الفجيعة دالماً، ولكنه لا يبكي ولا يعلن بطلان الكل، ولا يخاف. إن الفجيعة في قلبه تصبح حياة ومحبة وضوء لإصلاح العالم.

عاش رجاء كما عشنا جميعاً، موزعاً بين القرية والمدينة، وبين الثقافة والواقع، وبين الحلم والتجربة، وبين الرغبة والفضل.. ولكنه - لأنه إنسان شريف - مهما كان لكلمة الشرف من معنى، لن يسقط في هوة اللامبالاة، ولن يتعالى إلى أبراج الترفع، لأن إنسانيته وشرفه يعصمانه.

ومجموعة مقالاته، كل منها تحمل فكرة في الأدب وفكرة في المجتمع، وفكرة في الخلق، ويجمع هذه الأفكار كلها أن السلطان الوحيد عليها هو..

أدب وفد ■ الضمير ■

# ممارك العربى

## شعبان يوسف

ارتكبت هذه اللجنة حماقة كبيرة، اذ صدر الديوان، وتصدرت هذه الأسماء غلافه، وضمنته دون أية دراسة أو نقد أو تحر سبع عشرة قصيدة للشاعر كمال نشأت، رغم ان ست عشرة قصيدة من هذه القصائد كانت منشورة فى ديوان «رياح وهموع، لكمال نشأت الصادر فى سنة ١٩٥١، وكانت فضيحة أدبية كبيرة.

وكتب رجاء النقاش مقالا نازيا ينتقد فيه اللجنة، وعدم دقتها، وتسرعها، بل وجهلها الشديد بترات ناجى، رغم إدعاء اللجنة بالتعاليم، والتوسع فى معرفة الشاعر معرفة وثيقة، ويعد كشف هذه الفضيحة صمتت اللجنة، ولم تداهم، أو تنفض، عدا صالح جودت الذى انبرى فى حدة وعنف للرد على ما وجه للجنة من نقد لخلطها بين شعر ناجى وشعر نشأت، وبلغ به ان يقول إنه «اطلع على مقال للمدمو او المدعوق رجاء.. ولم يكن رجاء النقاش مجهولا.. وجودت يعلم ذلك، لكنه تعمد الايذاء لكاتب شاب يبشر بالخير، وهو لم يعد مجهولا من عامة القراء فضلا عن الكتاب والصحفيين من زملائه. كما كتب د. محمد مندور فى يناير ١٩٦٢ من مجلة الكاتبة مداها عنه ازاء هذا الهجوم والايذاء الظالمين.

فى مطالع  
الستينيات من  
القرن الماضى،  
كلفت وزارة  
الثقافة والإرشاد  
القومى عددا من  
الأدباء بالإشراف  
على جمع ونشر  
ديوان الشاعر  
الرومانسى  
ابراهيم ناجى،  
وتكونت هذه  
اللجنة من الشاعر  
صالح جودت،  
والشاعر أحمد  
رامى، والنقاد  
أحمد  
عبدالمقصود  
هيكى وزير الثقافة  
فيما بعد  
والأكاديمى،  
ومحمد ناجى  
شقيق الشاعر..

أدب و نقد

وبالطبع فهذا الایذاء لم یفت فی عضد النقاش، بل ظل مواصلاً تطوره ومعاركه عاماً بعد عام، بعد ان رسخت اقدامه بقوة فی الحياة الأدبية المصرية والعربية، عموماً.. وأؤكد على أن محاولة صالِح جودت للنیل من رجاء النقاش، كانت مقصودة ومتعمدة، وهذا للرصيد الذی راكمه النقاش سريعاً منذ بزوغ نجمه فی منتصف الخمسينيات وكان ما يزال شاباً فی العشرين من عمره، وظل نجمه یصعد فی سماء الثقافة العربية، وذلك من خلال معاركه التي بدأت مبكرة جداً، ومعظمها كانت تدور حول الدفاع عن القومية العربية، وانتصاراتها الواقعية او المتخيلة، وكان النقاش قد حاز على موقع مراسل مجلة الاداب اللبنانية فی القاهرة، ولم تكن مشاركاته مجرد تغطية لانشطة ثقافية تحدث فی القاهرة، بقدر ماكانت تنطوی على وجهة نظر يدعمها النقاش بأدلة وإسناد وحجج قوية، شكلت الافق العام الذی تحركت فيه معظم كتابات النقاش على مدى رحلته الادبية والثقافية والفكرية والسياسية.

ولم یكن النقاش یلبي أغراض المجلة، بقدر ماكان یبدي وجهات نظره وملاحظاته التي تصل إلى حد انتقاد المجلة ذاتها فی بعض الاحیان، ففي عدد یولیو ١٩٥٥، وتحت عنوان قرأت العدد الماضي من الاداب، كتب محمد النقاش وهذا هو الاسم الذی بدأ النقاش یكتب به ملاحظات سلبية، تتعلق بالمطابع الرصين أو المتجهج للمجلة، وتسنی على صديقه سهیل أدريس ان یتسمم المجلة قليلاً، ویقول لا أدري إذا كان طابع المجلة الكلاسیکی هذا، هو الذی یحول بينها وبين بعض التجدد فی موضوعاتها وابوابها واخراجها، كما لا أدري إذا كان مبدأ الالتزام الذی أخذت به نفسها ولاتفك تبشریه، هو الذی یملى عليها هذه الرصانة التي لاتعرف الضحك وتكاد لاتعرف الابتسام على أناس ان واقعنا العربي جدی هذه الايام، فلا يدعو إلى الضحك أو الى الابتسام، وراح النقاش یبدي ملاحظاته الايجابية والبناءة، هذه الملاحظات التي شاركت فی الخطاب الايديولوجی الذی تميزت وتفردت به مجلة الاداب فی خمسة عقود تالية.. هذا الخطاب الذی اتسم بالجدية وبساطة العرض فی آن واحد، وهذه السمة هي التي ميزت رجاء النقاش فی كتاباته عن كثيرين من كتاب هذه المرحلة..

وفی رسالة مصر تجد أنه يعرض لثلاث قضايا خطيرة، الأولى تتعلق باغلاق دار 'ایزيس' التي كان انشأها د. لويس عوض بعد فصله من الجامعة، وفي هذا السياق یكتب النقاش عن دور استاذ الجامعة المتهمد، ویقول 'خرج الدكتور لويس عوض من الجامعة لیعمل فی الحياة العامة، فدور المثقف فی هذه الحياة لا یقل خطراً عن دوره فی الحياة العلمية الخاصة بالجامعة أو غيرها، بل ان

أدب و نقد

الواقع يؤكد حاجة الحياة إلى المثقفين الذين يتعاملون ثقافياً.. وفي صورة دائبة، ومنتظمة مع الشعب.

القضية الثانية تتعلق بالمشروع الذي خطط له الدكتور طه حسين حول ترجمة آثار شكسبير، على أن تصدر هذه الآثار من الإدارة الثقافية للجامعة العربية، واثارت حول هذا المشروع مناقشات بين مؤيد له، ورافض.. فكتب سلامة موسى يهاجم شكسبير، ويصف أدبه بأنه أدب اقطاعي ملوكي ويتهم طه حسين بأنه يميل الى هذا الاتجاه في الادب، وكتب محمد زكي عبدالقادر مؤيداً عدم ترجمة الادب والانصراف الى ترجمة العلوم، وكتب أحمد بهاء الدين يطالب بتوجيه المشروع إلى ترجمة مايلائم مع وظيفة الجامعة العربية، ورد الدكتور طه حسين على كل هذه الاتهامات رداً مسهباً في جريدة الجمهورية، وناصره في ذلك عباس العقاد بعنفه المهود، لكن عبدالرحمن بدوي كان أعنف عندما وصف المعارضين للمشروع بأنهم أشبه 'بالحمير'، وحاول رجاء النقاش أن يدلّئ بدلوه في هذه القضية، فانتصر لوقف مشروع الترجمة، ليس للأسباب التي ذهبها المعارضون، ولكن لأسباب تتعلق بأن ترجمة شكسبير من الممكن أن تكون صعبة على القارئ العربي، فمن الممكن أن يرى القارئ ترجمات من شكسبير، وتحمل اسمه ثم لا يستطيع أن يجد فيها شكسبير على الاطلاق لأن الشعر يتميز بخصائص لغته التي كتب بها، فنزعه عن هذه اللغة يفقده هذه الخصائص على الفور. ورغم رفض النقاش لهذه الترجمة. سنجد أنه كتب كتاباً ضخماً تقترب صفحاته من الأربعمائة صفحة عنوانه 'نساء شكسبير، وكان رجاء النقاش يرد على شبابه.

أما القضية الثالثة فتتعلق بمقال كتبه الدكتور طه حسين أيضاً عنوانه (حرية الخطأ) وليس (حق الخطأ) كما زعم البعض. وتوالى بعد ذلك مقالات عديدة حول القضية المطروحة، وكانت القضية بسبب تكوين لجنة من مشيخة الأزهر لمحاكمة الشيخ عبدالحميد بخيت الأستاذ بكلية أصول الدين، لأنه نشر مقالا في إحدى الجرائد اليومية، خلال شهر رمضان تحدث فيها عن الإفطار، وتوسع في مبرراته إلى الحد الذي اعتبرته مشيخة الأزهر دعوة إلى إسقاط فرض أساسى من فروض الدين. وفي عرض النقاش للقضية، راح يدافع عن حرية الفكر، ساردا العديد من المواقف التاريخية التي انتصرت للحرية.

معركة مع أدونيس

أدب و نقد جاء كتابه: 'أدب وعروبة وحرية' الصادر عام ١٩٦٤ عن الدار القومية

بالقاهرة يجنح كثيراً نحو التبشير بأدب جديد ذي وجدان قوي، ووجدان اشتراكي راصداً ملامح هذا الأدب منذ مطلع القرن العشرين، ويعيدا عن هذا التبشير، تجده يهاجم الشاعر السوري على أحمد سعيد (أدونيس) هجوماً ضارياً، فيكتب أربع حلقات تحت عنوان (القوميون السوريون والأدب)، وقدم هذه الحلقات ب (من الخطأ أن نزن أن الاستعمار يعتمد على القوة فقط، فالحقيقة التي يجب أن نعرفها ونعترف بها هي أن الاستعمار يقوم بدوره العملي بعد تخطيط علمي ونفسي دقيق، ولذلك فقد استخدم الاستعمار مهندسين عباقرة، أذكاء اختارهم من مختلف الميادين لكي يساعده على رسم خططه وتنفيذها، كانت هذه الفقرة مقدمة لكي يدين رجاء هذه الفكرة لتطبيقها على أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السوري الاجتماعي، ثم على أدونيس، فبعد أن يعرض النقاش منطلقات سعادة حول 'الفرس المفقود' في سوريا الكبرى، أو فينيقيا المجيدة ثم خلق رمز تاريخي لهذه الفكرة، وهو شخصية القائد الفينيقي السوري القديم هانينال، ثم أحياء الأساطير القديمة التي تساعد الحركة على النهوض، يعرض رجاء لشعر أدونيس، ويسميه: 'أمير شعراء القوميين السوريين'. ويكشف النقاش أن خطوات أدونيس الأولى كانت في مجلة 'الرسالة' التي كان يصدرها يوسف السباعي في وسط الخمسينيات، واختفى اسمه في مصر لسنوات، وعاد اسمه بعد ذلك يلوح بصفته شاعر القوميين السوريين الكبير، ويكتب رجاء: 'تابعت انتاجه بعد ذلك، فوجدت أن 'الانتاج' الموجه إليه بأنه قومي سوري ليس اتهاماً باطلاً بل هو حقيقة يؤكدتها شعره، فهو يقول في شعره: أنا قومي سوري، أنا ضد كل ما هو عربي، وليس من الصعب أبداً أن نجد هذا الاتجاه في شعره، ويعرض النقاش لبعض قصائد أدونيس التي تدعو إلى 'الثورة' كما يشهها القوميون السوريون، أي إلى توحيد سوريا الطنمية.

ويربط النقاش بين كراهية الغرب للعروبة، وكراهية أدونيس أيضاً، وينتهي إلى أن أدونيس هو التجسيد الفني لأفكار أنطون سعادة، وأفكار واتجاه الحزب القومي السوري، ومجلة شعر.

المصركة مع أدونيس كانت حيزاً زاوية بالنسبة لرجاء النقاش خاصة، وللعمريين عموماً، وإثارة موضوع أدونيس لم يكن جديداً في الثقافة المصرية، فكان الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي قد كتب في مجلة الكاتب في ديسمبر ١٩٦١ مقالاً، اتهم فيه مجلة 'شعر'، بالبالا إنتماء، ويقول: 'إن مجلة شعر تشجع الشعراء مثلاً أن

يتمثلوا الأزمات المترتبة على الشعور بالبالا إنتماء، ويكيل حجازي

أدب و نقد

الاتهامات التي لا تختلف عن ما ذهب اليه النقاش.. وقد استدعى الامر لى يدفع أدونيس برده للمجلة فى فبراير ١٩٦٢ تحت عنوان (الثقافة العربية مواقف حرة) أن ينفى فيه هذه الاتهامات ويفندها واحدة واحدة، ويخاطب حجازى بـ (يا أختى).. ويقول.. (أطلب منك بما فعلته المجلة وتفعله لنهاضة الشعر العربى ليس على الصعيد العربى فحسب بل على الصعيد العالمى ايضا؟ اذ وضعته للمرة الاولى فى تاريخه على مستوى الشعر فى العالم كله، يترجم الى اللغات الاخرى، وتخصص له اعداد من مجلات تعنى بالشعر، هل اذكرك ان تعود فتقرأ افتتاحياتها من جديد لتعرف حقيقة موقفها؟ ثم ألا ترى يا أختى انه لم يعد من اللائق فى عصرنا الحديث، أن نبحث فكرة الشعبوية، وهى ذات منشأ دينى سياسى، فى خلافتنا الفكرية وفى ثقافتنا العربية؟.

خلاصة الامر ان أدونيس كان مشار خلافا دائما، ومثار رفض شبه مطلق للقوميين والعروبيين، ولم تكن هذه المقالات الأربع التى كتبها النقاش عن أدونيس فى مطلع الستينيات فقط، بل عاد، وكتب عنه مقالا طويلا بعد ربع قرن من الزمان، ونشره فى مجلة 'المصور' تحت عنوان أيها الشاعر الكبير.. انى أرفضك وأعاد رجاء كل الاتهامات السابقة لأدونيس، وزاد عليها محاولة أدونيس كما رآها رجاء المزايدة على الدعوة التى وجهتها له مصر، فرفضها تحت زعم ان الحكومة المصرية تقود تطبيعا مع اسرائيل، وراح يكيل الاتهامات لأدونيس ويصف موقف أدونيس بأنه رخيص وتثليلية ضعيفة سهللة ونفاق لا يليق بشاعر كبير.. وان كان أدونيس بتصرفه الراض للمشاركة فى معرض القاهرة يريد ان يقول هذا، فما يقوله هو افتراء وكذب وادعاء غير مقبول.

ومن ناحية اخرى يقول: 'أما موقف مصر من اسرائيل فقد أصبح موقفا معروفا، فالشعب العربى فى مصر، بعد ان فقد مئات الالوف من شبابه، يرفض اسرائيل ولا يتعامل معها وكل محاولات التطبيع فشلت وتعرضت للرفض القاطع من شعب مصر الذى مازال يعتبر اسرائيل عدوه الاول والاكبر.

وأثار نشر هذا المقال اصداء عديدة وعنيفة فى مصر والعالم العربى، وكان من بين اهد المعترضين على هذا المقال كما يقول رجاء صديق عزيز هو الباحث والناقد الجامعى اللامع الدكتور جابر عصفور، فما كان من رجاء الا أن كتب مقالا آخر يفند ويعيد فيه، ما كان قد عرضه من قبل، ويرد على بعض الملاحظات التى أبداهها البعض فى رسائل، او مقالات او متابعاته، وظل ملف أدونيس مفتوحا على مصراعيه. بالنسبة للراحل الكبير رجاء النقاش، ولم تحسم نقطة النهاية بالنسبة لآخرين.

أدب و نقد

## الانعزاليو مصر

وفيما يخص البعد القومى العربى ، هناك المعركة الواسعة والشهيرة، وكان أبطالها توفيق الحكيم ولويس عوض وحسين فوزى ، للدرجة التى استدعت من رجاء النقاش ان يخصصهم بكتاب كامل، عنوانه 'الانعزاليون فى مصر' ، وبدأت هذه المعركة عندما كتب توفيق الحكيم مقالا فى ٣ مارس ١٩٧٨ بجريدة الاهرام عنوانه 'الحياة' دعا فيه الى ان تنفض مصر يدها من الصراع العربى والصراع العالمى معا، وتهتم بشئونها الخاصة حتى تتمكن من حل مشاكلها التى تراكمت فى السنوات الاخيرة، وأيده فى ذلك الدكتور حسين فوزى، ثم كتب الدكتور لويس عوض ثلاث مقالات بالاهرام اثار فيها قضايا تتعلق بمروية مصر التى يعارضها و'بالقومية العربية التى ينكرها'،

وأظن ان مريبط الفرس فى هذه المعركة هو الدكتور لويس عوض الذى كتب فى مستهل مقالاته: 'ان اسطورة الدعوة الانعزالية لا تقبل شططا عن الدعوة الى الوحدة الاندماجية الكبرى القائمة على العربية العرقية او العنصرية الملتزمة لكافة ما فى المنطقة من قوميات فالعروبة العرقية لون من ألوان النازية.. وهكذا يربط لويس عوض كما يرى رجاء بين دعوة القومية العربية ، وبين الدعاوات العرقية والعنصرية. ويعتبرها لونا من ألوان النازية؟.. وكانت هذه فرصة طيبة لرجاء النقاش لى يعود إلى التعريفات الأولى للقومية العربية، التى أسس لها ساطع الحصرى، والذى يقول: (ان كل من ينتسب إلى البلاد العربية، وتكلم اللغة العربية، هو عربى، مهما كان اسم الدولة التى يحمل جنسيتها بصورة رسمية، ومهما كانت الديانة التى يدين بها، والمذهب الذى ينتمى إليه، ومهما كان أصله ونسبه وتاريخ أسرته.. فهو عربى..

ويعتبر هذا الكتاب وثيقة دفاع أساسية عن العروبة التى ينشدها رجاء النقاش، كما كان كتاب: (عروبة مصر) لأحمد عبدالمعطى حجازى، فلم يترك النقاش أى فكرة تلمق لويس عوض إليها فى مقالاته، إلا وفندها، ورغم أن الكثيرين قد ردوا على عوض إلا أن مقالات رجاء كانت الأقسى، والأشد عروبية، رغم أن أقلاما كثيرة لأحمد بهاء الدين ويوسف ادريس ووحيد زافته ومحمد اسماعيل محمد قد كتبت فى القضية...

وهناك قضية تخص شاعرا كبيرا هو نزار قباني عندما أصدر الناقد اللبناني المعروف جهاد فاضل، كتابا عنوانه 'فتافيت شاعر' عام ١٩٨٩، شن فيه هجوما على نزار قباني، وكان حجر الزاوية عند جهاد فاضل: (إن نزار دأب فى المرحلة الأخيرة من انتاجه الشعرى على مهاجمة الأمة العربية هجوما بالغ القسوة والعنف، وقد

أدب وقد اختار جهاد نماذج من هذا الشعر الهجائى وقدمها فى كتابه ليجعل

منها دليلاً على خطأ 'قباني' في موقفه من أمته، ومن هذه المقتطفات مثلاً.

وطنى عريى تجمعه طبله

وتفرق بين قبائله طبله

أفراد الجوقة والعلماء وأهل الفكر..

وأهل الذكر، وقاضى البلدة، يرتعشون على وجه الطبله..

أو:

لاتسافر بجواز عريى

لاتسافر مرة أخرى لأوروبا

هاوروبا كما تعلم ضاقت بجميع السفهاء

لاتسافر بجواز عريى بين أحياء العرب

فهم من أجل قرش يقتلونك

وهم حين يجرعون مساء يقتلونك..

وهكذا ينتقى فاضل من هنا وهناك، ليضع نزار قباني في صورة العدو والخصم الأكبر للقومية العربية، وما كان من النقاش إلا أن يفتش في تراث قباني، فيستخرج درراً تنصفه في قضية القومية العربية، وما هذه التطوُّحات الهجائية إلا غيرة على هذه القومية التى يتناهشها الكثيرون. وتعد هذه المقالات التى كتبها النقاش خط الدفاع الأول عن نزار قباني، من كاتب فى قيمة رجاء النقاش..

هذا قليل من كثير تعرض له النقاش.. وهذه الممارك التى خاضها رجاء، كان رائدها ضميره وروحه العربية، وهذا غيضى من فيض، فالحديث عن ممارك رجاء النقاش يحتاج إلى مجلد كبير، يفصح عن عقل نابِه ومثير ونابض بالحياة، رحم الله الفقيد الكبير وأدخله فسيح جناته.

أدب وقد



## قدر النبلاء

فاروق جويدة

ولم تكن نعلم ونحن نتحدث عن دور رجاء النقاش ولم تكن نعلم  
ونحن نتحدث عن دور رجاء وهو جالس بيننا انه يستعد للرحيل وان ما  
بقى له بيننا من الزمن ايام قليلة وان رجاء الذى ملا حياتنا جمالا  
وجلالا وروعة يوهلك ان

يجمع اوراقه ويرحل واننا سوف نفتقد بعده الكثير من الود والصفاء  
والشفافية.

ولم اكن مبالغا حين قلت فى هذه الليلة اننا فى حياتنا قد نندم على  
اشخاص عرفناهم ولكن الحقيقة اننى ندمت على عمر ضاع دون ان  
اعرف فيه رجاء النقاش. وكانت هذه قصتى معه.

فى بدايه الثمانينيات كانت مسرحيتى الوزير العاهق تعرض على  
مسرح السلام وفوجئت باثنين من اعلام مصر يتصدران الصف الاول  
فى قاعه المرض د.لويس عوض ورجاء النقاش. وكانت المره الاولى  
التي ارى فيها رجاء النقاش. وانتهى المرض وذهبنا مما وقد انتصف  
الليل وفى احد مقاهى وسط القاهره جلسنا نتحاور حتى اقترب ظهور  
الشمس.

كانت هذه هى المره الاولى التى ارى فيها رجاء النقاش ومن يومها لم

كانت احتفاليه  
نقابة  
الصحفيين  
برجاء النقاش  
حفل وداع يلىق  
بالرجل وتاريخه

أدب وقدر

نفترق الا وانا اودعه فى حفل تكريمه فى نقابتنا العريقة.

فى سنوات الجامعة ونحن ندرس فى رحاب جامعة القاهرة كان رجاء النقاش اسما باهرا فى بلاط صاحبه الجلالة حيث اجتمع البريق الطاغى والمصداقيه والاافه الشديده بين النقد والابداع. وكنا نشاهد رجاء من بعيد بشبابه ورشاقه كلماته وحيويته الفكرية الطاغية ونتمنى لو اننا يوما سلطنا دريه واصبحنا. مثله كان رجاء نموذجاً لشباب جيلنا فقد كان من الصعب ان نحسب انفسنا بحكم العمر على اجيال العمالقه التى سبقت او ان نتشبه بها مثل طه حسين او العقاد او مندور وقد اقترينا منه وكان استاذنا لنا ولكننا كنا نرى انفسنا الاقرب بحكم العمر والحلم المشروع الى رجاء النقاش الشاب المتفتح المستنير الذى تجاوز كل الحسابات فى انطلاقه نحو النجومية.

وللانصاف فان رجاء النقاش لم يكن ناقدا عاديا او كاتباً مضى فى طريق احد سبقه. كان طبعه وحيد ونسخه فريده فى تكوينه وفكره وقلمه ولهذا انهى السباق من البدايه ومنذ اللحظة الاولى واصبح فى مصر رجاء نقاش واحد وسط كوكبه ضخمه من الاسماء الرنانة. وفى تقديري ان رجاء النقاش خرج على كل قواعد النقد التقليديه وهو يتعامل مع النص الادبى. لم يكن كاتباً راصدا ولكنه كان مبدعا عاشقا للنص الادبى. بعض النقاد يتعامل بمنطق الجراح الذى يمسك بالنص حتى يتحول بين يديه الى اشلاء ممزقه ثم يسألك فى بساطه: واين هذا النص؟ انه يمسك بالزهره الجميله ويقطع اوراقها ورقه ورقه وتتناثر اوراق الزهره فى كل مكان وهى تنزف دماءها بين يديه ثم يسألك بقصوه اين زهرتك الجميله.

كان هذا طرازاً غريباً من النقد لم يضيفوا لالابداع شيئاً، ولكن رجاء النقاش جاء ليضع الورد فى مكانها ويسلط عليها الاضواء من كل جانب فتزداد جمالا وجلالا وروعه ثم يبدأ فى رسم ملامحها ظلا وظلا. ثم ينتقل بين الوانها الزاهية ويمررها ويجمعها بكل الحب. ثم ينتقل الى عبيرها الخلاب ويحملها اليك بحب ومودة وتختلط مشاعر رجاء مع مشاعر المبدع وتكاد لا تفرق بين من كتب النص ومن كتب عنه لان المبدع قدم مشاعره وقابله رجاء فى منتصف الطريق ليكمل مسيرة هذه المشاعر وهنا كان التوحد بين الابداع والنقد ليصل بك واليك حيث المتعة والجمال.

واذا اردت ان تعرف ذلك كله اقرأ نصا ادبيا مع نفسك اولا ثم اقرأ النص نفسه بعيون رجاء النقاش وسوف تدرك حجم ما اضاف رجاء للنص وصاحب النص

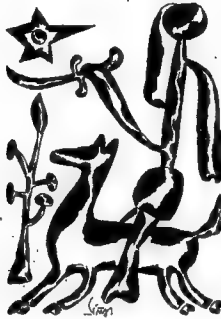
**أدب ونقد** والابداع بصورة عامه.

ان رجاء النقاش لم يعرف في حياته غير الحب. ومن هذا المنطلق كانت كتاباته. انه عاشق للتراث ولذلك غاص فيه الى ابعد مدى ولهذا لم يسقط كما سقط الكثيرون في حاله عداء مع تراثهم اما انبهارا بالاخراو سعيا وراء مصالح وادوار كشتفتها الاحداث والايام والزمن. وإذا كانت هناك أسماء قد وصلت الى درجه الانبهار الاعمى بالاخر افقدها القدرة على ان ترى نفسها فان رجاء النقاش كان يدرك من البدايه ان المسافه بيننا وبين ذواتنا اقرب كثيرا من المسافه بيننا وبين الآخرين وان علينا ان نقرأ انفسنا أولا. ولعل هذا ما جعل رجاء النقاش يغوص في اعماق ثقافتنا العربية بحب كبير وثقة لا حدود لها في انه ينتهي الى ثراث عظيم. وفي الوقت نفسه كان ينتقل بين حداثق الاداب العاليه يختار منها ويسبح في اعماقها ويخرج لنا بهذا التواصل الحميم بيننا وبين الآخر.

ومن خلال هذا الحب الذي عاش به رجاء وعاش من أجله كان يختار من يكتب عنهم ولا اعتقد انه كتب عن شيء لا يحبه او رضى ان يتماشى مع شيء يرفضه. ورغم الهدوء الشديد في شخصيته ويسامته حياته واسلوبه ولفته الا انه كان واضحا صريحا في مواقفه وثوابته ولم يتغير كما تغير الكثيرون ولم يهادن كما فعلت كتائب المثقفين في عصور كثيرة وكان قادرا على ان ينسحب في اى وقت ومن اى موقع لا يتناسب مع فكره وضميره. وعندما زادت الضغوط عليه في مصر سافر الى الدوحة ليقدم تجربة فريدة في الصحافة الثقافية مازالت حتى الان حديث الناس في كل مكان. وعندما تولى مسئولية مجله الكواكب انتقل بها من مجله فنيه عاديه الى مستوى المجلات الثقافية العراقية. وفي الهلال كانت له صولات وجولات ومعارك. والغريب في رجاء النقاش انه لم يختلف في ثوابته في مراحل الاولي عن نهاياته كان المصري الاصيل الذي احب تراب هذا الوطن واعطاء كل شيء بتجرد وسخاء. وكان العربي الذي امن دائما بوحده هذه الامه ماضيا وحاضرا ومصيرا. وكان المسلم الذي حفظ تقاليد دينه فكرا وسماحه ويقينا. لم تعرف الثقافة العربية نسختين من رجاء النقاش كان فريدا في تكوينه ويقى متفردا في جيله وعزف على طريقته دون ان يقلد نغمات الآخرين او ينهر باصوات قادمة من بعيد وكان يرى انه يمزق لنفسه أولا كما احب وعلى الزمن ان يسمع.

وفي الساحة الثقافية المصرية والعربية نجوم كثيرة اطلقها رجاء النقاش في سماءنا لتأخذ مدارها وكبرت هذه النجوم وتلاوات واضاءت ولكن سيبقى الفضل دائما لمن وضعها على المدار وسوف يذكر التاريخ لكاتبنا الكبير جولاته في رحله

أدب وفن الكشف عن النجوم في سماءنا المعتمه.



قبل ان يرحل بايام قليله ذهبت لزيارته فى بيته فى حدائق الاهرام وكانت ليلة شتوية طويلة وجلست معه اربع ساعات وكلما استاذنت فى الانصراف كان يمسك بيدي ونستكمل الحديث رغم اننى كنت مشفقاً عليه من طول الوقت، كان انساناً وديعاً صافياً محباً للناس ولم تغيره الاحداث ولا الزمن وبقي على صفائه القديم رغم ان كل شيء حوله قد تغير ولم تعد الحياه كما كانت. ولم يعد الناس هم الناس. كان حزيناً متألماً غاضباً رغم انه قليلاً ما كان يفضب.

ولا شك ان رجاء النقاش الذى كان بيننا بالامس كان يستحق مكانه اكبر فى واقعنا الثقافى وكان جديراً بمواقع كثيره يمكن ان يضىء دروبها ومسالكها. وكانت رحلته مع الحياه يمكن ان تكون اكثر رحمة به وينا فقد دفع ثمن مماركه رغم انه خاضها بشرف ودفع ثمن غريته وان كانت قد فرضت عليه. وقبل هذاوذاك دفع ثمن الكبرياء والتعفف وهذا قدر النبلاء فى كل زمان. يعلم الله وحده اننى سوف افتقد رجاء النقاش القلم الراقى، والفكر المترفع والانسان الجميل الذى احاطنا بحبه وتقديره وروحته التى اتسمت لحب كل الناس. أما رجاء الصديق فلن يبرح قلوبنا ابداً.

أدب ونقد

## رحلة حب جديدة

### حسن توفيق

كان هذا خلال منتصف الستينيات وأواخر السبعينيات من القرن العشرين الفارب.. فى هذين البيتين أتيج لى أن أنعم بصفاء المحبة، وأن ألقى مع كثيرين من الأدباء والشعراء والفنانين العرب وغير العرب الذين كانوا يزورون مصر، أو يقيمون فى أرضها الطيبة.

كان صلاح عبد الصبور يحب أن ينادينى بـ 'يا ابنى'.. وكنت دائماً أرفض، مؤكداً أنه أخى وليس أبى، وكان رجاء النقاش ينادينى بـ 'يا أخى' وكنت أفرح بهذا النداء، فقد كنت فعلاً أخاً محباً له، وكان أفراد أسرته الكريمة وإخوته يتعاملون معى على هذا الأساس.. أخ واحد له لم ألتق معه نهائياً، لأنه يقيم فى الولايات المتحدة منذ أكثر من أربعين سنة، ويعمل هناك فى مجال الإخراج السينمائى هو عطاء.. أما أخوه وحيد النقاش فقد عرفته وأحببته فى بدايات تكوينى، وكان كاتباً ومترجماً وإنساناً رائعاً، ومن ترجماته المعروفة رواية 'صمت البحر' للكاتب الفرنسى فيركور، وفيها صور بطولية للمقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك مسرحية 'يرما الثمريه' للشاعر الأسباني العظيم فيديريكو جارسيا لوركا، وكان وحيد النقاش ينقح لى قصائد المبهكة بكل رقة وحنو، ويكل أسف فإن الموت

شارعان من  
شوارع  
المهندسين  
بالقاهرة، كنت  
أحس بالنشوة  
تفمرنى، وأنا  
أطلق إليهما..  
الشارع الأول  
شارع شهاب،  
حيث يقع بيت  
أستاذى الشاعر  
العظيم صلاح  
عبد الصبور  
والشارع الثانى  
شارع الصفا،  
حيث يقع بيت  
أستاذى الكاتب  
الكبير رجاء  
النقاش..

أدب وفد

اختطفه قبل أن يناقش رسالة الدكتوراه من جامعة السوربون الشهيرة بباريس بأسبوع واحد، وأما فكري النقاش فهو تقريبا في مثل عمري، متعه الله بالصحة والعافية، وأما بهاء النقاش فقد كان شابا رائعا ومعيدا في معهد السيتما بالقاهرة، لكن الموت اختطفه كذلك سنة ١٩٨٦ على ما أذكر في حادثة مروعة على طريق مصر الإسكندرية الصحراوى، وأما الأصغر عاصم النقاش فإنه إنسان رقيق محب للفن وللحياة، وتبقى الأختان فريدة النقاش الكبيرة، وأمينة النقاش الصغيرة، وهما مشاكستان ومتمردتان ضد كل ما يعوق حركة التقدم في مصر وفي شقيقاتها العربيات، وكلتاها في حزب التجمع التقدمى الوحدوى، وقد تعرضتا للاعتقال والسجن مرات عديدة في عصر من حكم مصر بعد غياب الزعيم العربى الخالد جمال عبد الناصر.

الدكتورة هانية عمر المارية رفيقة رحلة رجاء النقاش مع الحياة بكل طموحاتها وصعوباتها، هي أساس كل المحبة التي تشع في بيت الكاتب الكبير، وهي إنسانة رقيقة حين تستدعى المواقف ان تكون كذلك، كما أنها إنسانة حاسمة وحازمة حين تتطلب المواقف ان تكون كذلك، وهناك الابنة البارة لميس التي أتمنى ان تحقق أمنية أبيها، فتحصل على درجة الدكتوراه التي تأخرت في إنجازها، وهناك الابن الجميل عاشق الفن سميح رجاء النقاش والذي اسماء أبوه سميح تيمنا بشاعر المقاومة الفلسطينية الكبير سميح القاسم، لكنى لن أنسى هنا زياد حفيد رجاء النقاش الذي كان يسمح له وهو يدلله ان يمتطى ظهره، وهذا ما كان يدفع الدكتورة هانية في حالات كثيرة للشكوى .. يا حسن .. تدليل رجاء الزائد، لزياد ليس في محله .. .

في مركز أجا بمحافظة الدقهلية الشهيرة بما أنجبتته من سياسيين مرموقين، من شيوعيين ومن إخوان مسلمين على حد سواء، وبما أهلتته للحرب أجمعين متمثلا في خالدة الصوت أم كلثوم.. في هذا المركز مركز أجا ولد الطفل محمد رجاء عبد المؤمن النقاش يوم ٣ سبتمبر ايلول سنة ١٩٣٤، وكان أبوه عبد المؤمن النقاش شاعرا أصيلا يميل إلى الكلاسيكية في معظم الأحيان ويجنح إلى الرومانسية أحيانا، وكان واحدا ممن يقتنون مجلة الرسالة الأسبوعية الشهيرة التي كانت قد بدأت صدورها قبل ميلاد ابنه بنحو سنتين لا أكثر.

من القرية ومن حياة الريف، انطلق الشاب العاشق للأدب والفن محمد رجاء عبد المؤمن النقاش الى القاهرة بكل أضوائها وضوئها، حيث تخرج من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٥٦ فكان له شرف أن يكون أحد أساتذته هو عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، ولكن الطالب الجامعى رجاء النقاش لم يكن من أبناء المؤسرين والأثرياء، ولهذا تكفل بإعالة نفسه

أدب و نقد

خلال سنوات الدراسة، وهو أمر دفعه لأن يعمل في الصحافة، وهو ما يزال يتلقى العلم في الجامعة حيث عمل محرراً أدبياً في مجلة روزاليوسف واحتضنه وقتها إحصان عبدالقدوس، وبعد تخرجه من الجامعة، تنقل ما بين أخبار اليوم والجمهورية وكانت مقالاته الأدبية والنقدية تبهر أبناء جيلى بجمال أسلوبها وطلاوته وحلاوته، وبفضل هذا الأسلوب البعيد تماماً عن التقعر والتكلف، تحققت لرجاء النقاش شهرة واسعة، وهو ما يزال شاباً، يناطح الكبار من الأدباء، ويزاحمهم، ولأن الساحة الأدبية والثقافية وقتها لم تكن ساحة ضغائن وأحقاد، كما هى الحال الآن فى معظم الأحيان، فإن الكبار الذين زاحمهم رجاء النقاش أحبه واحضنوه ورعوا موهبته الصاعدة خير رعاية، وكان من هؤلاء ناقدان كبيران هما الدكتور محمد مندور والأستاذ أنور المعداوى.

ما سر جمال أسلوب رجاء النقاش؟.. السريكم بيساطة... فى أنه من أبناء جيل عربى عاشق للمعرفة ومحج للقراءة. الآن لدينا كتاب كثيرون لا يقرأون.. وربما كانوا يعرفون أسماء أدباء عالميين وعرب لكنهم يكتفون من المعرفة بالأسماء لا أكثر ولا أقل. حين نسأل رجاء النقاش عن الينابيع الثقافية والأدبية التى استقى منها ما استقى، والتى أسهمت فى تشكيل أسلوبه الجميل الصافى، فإنه لا يتردد فى القول إن هذه الينابيع تترقق على صفحات مجلة الرسالة التى اشرت إليها، والتى كان يصدرها الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات من سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٥٢، فعلى صفحات هذه المجلة الرائعة والمريقة، كانت تتلاقى أقلام طه حسين وعباس محمود العقاد وإبراهيم المازنى وتوفيق الحكيم وإبراهيم ناجى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وعبدالرحمن الخميسى وسهير القلماوى وشوقى ضيف وعبدالقادر القمط وسواهم، وكان رجاء النقاش يتأمل أساليب هؤلاء جميعاً، ويتذوق منها ما يتذوق وقد يقترب من أحدهم ويعتمد عن سواه.

لكن جمال الأسلوب وحده ليس المؤهل الوحيد لكى يكون الإنسان كاتباً مرموقاً، إذ لابد من المعرفة التى ينبغى ألا تكون محصورة ومقصورة على مجال معين، وإنما يجب أن تكون معرفة موسوعية شاملة فى الفلسفة وفى التاريخ والاجتماع والسياسة وعلم النفس والدين، بل فى الأديان المقارنة، وهذا كله لم يجعل رجاء النقاش مجرد كاتب من ذوى الأساليب الساحرة، وإنما أكسبه عمقا فى النظرة وفى التحليل، وأبعده تماماً عن مزالق التسطيح والفبركة وتشهد مكتبته الشخصية الهائلة التى خصص لها طابقاً كاملاً فى بيته الجديد بحدائق الأهرام على عمق قراءاته وشمولها ورحابتها، وقد شهد البيتان القديم فى شارع الصفا بالمهندسين، والجديد نقاشات ومساجلات بين عشرات بل بين مئات من المثقفين والفنانين

أدب وفن

والكتاب العرب من أبناء مصر وأبناء سواها من شقيقاتها العربيات، وأتذكر هنا ان الشاعر العظيم محمود درويش حين التجأ إلى مصر في البداية لم يكن يسهر سهرات متعددة إلا في بيت رجاء النقاش، أما إذا شاء أن يستأذن في الانصراف مبكراً فإن وعداً ضاحكاً كان يتكفل بأن يعيده إلى مقعده، حيث كان رجاء النقاش يعمده بأن يتصل تليفونيا... بالمطرية العذبة نجاة الصغيرة التي كان محمود درويش وقتها يحبها حباً جارفاً ويلتقي معها أحياناً ويسعد بسماع صوتها إذا احترق شوقاً ولو من خلال التليفون، وأظن أن هناك من يعرفون أن نجاة الصغيرة كانت مشهورة بأنها ملهمة لشعراء سابقين على محمود درويش، من بينهم كامل الشناوي صاحب لا تكذبى. وهى قصيدة من وحى المطرية العذبة نفسها فى موقف محين، كما أن نجاة الصغيرة كانت المطرية العربية الأولى التى أطلقت بشعر نزار قباني من القراءة إلى السماع، عبر قصيدته أيلظن.

أحتضن الآن ما عندى وما هو أمامى وأنا أكتب هذه السطور... من كتب أستاذى الراحل... أحتضن هذه الكتب النفيسة، كأنى ألوذ بها من الفراغ، وأتحصن بها ضد الغياب.. وإذا كنت قد أشرت إلى جمال الأسلوب وصق التحليل عند رجاء النقاش، فلا بد أن أتذكر التوجه الفكرى والإنسانى الذى يتيح لى القول دون أى شهادة من أحد... إن رجاء النقاش إنسان جميل ونبل، تتجسد فيه إنسانية العروبة بانطلاقتها ورحابتها البعديتين عن العنصرية، ويفضل هذا الإحساس المربى الأصيل الذى يجرى مع الدم فى عروقه، فإنه يرى وهذا حق أن الأدب المربى هو أولاً وأخيراً أدب واحد، لكن بيئاته المحلية تتوزع، كما تتنوع جنسيات مبدعيه ومبدعاته، ويفضل هذا الإحساس كتب من محمود درويش وسميح القاسم وفدوى طوقان وسلمى الخضراء الجيوسي وغسان كنفانى من فلسطين، وكتب عن الطيب صالح ومحمد الفيتورى وجبلى عبدالرحمن من السودان، وكتب مقدمة رائعة لمجموعة كلثم جبر القصصية وجع امرأة عربية كما رعى سنان المسلمانى ومريم آل سعد ومحمد بن خليفة العطية وحسن رشيد ومرزوق بشير وسواهم من أبناء قطر، ولا يزال الشاعر الكبير الشيخ مبارك بن سيف آل ثانى حين يسألنى عنه يقول: ما أخبار اليهاها؟

كتبت منذ أكثر من عشرين سنة رحلة حب مع رجاء النقاش وها أنذا أكتب الآن عنه ومعه فى رحلة حب جديدة، وإذا كانت وكالات الأنباء ووسائل الاعلام قد أشارت الى غيابه يوم الجمعة الثامن من فبراير ٢٠٠٨ فإن هذه الإشارة لا تعنينى، لأنى مدرك أنه

يسكن فى قلوب مجييه جميعاً، وسيظل يسكن قلبى ■

أدب وند



## الموت يخطف الشرفاء

سلامة أحمد سلامة

وكان نداء الموت لا يتعجل غير الشرفاء، يختطفهم من بين أحبائهم...  
في أجواء تفتقر إلى آفاق الحرية واستقامة الفكر والإيمان  
بالمستقبل... تلك التي كانت علامات على الطريق في مسار حياة كل  
منهما وإن تنوعت المسارات..

وضاعف من آلام الفقد مجزى عن المشاركة في تشييعهما مع جماهير  
غفيرة من مشيعيهم إلى المثوى الأخير... دع عنك اللحاق بلحظات  
وداع أخيرة، كانت كل المؤشرات تنذر بها منذ أسابيع وشهور من مرض  
مضن لا يرحم!

كان رجاء النقاش يمثل بالنسبة لنا . ونحن من جيل واحد . الذين  
اجتهدوا في إقامة جسور من التواصل والتفاعل بين الثقافة بمعناها  
الأوسع والصحافة ببحورها الهادرة ومسالكها الضيقة الوعرة، منارة  
تضيء الطريق بالنقد الموضوعي الهادف ويكتشف المواهب والأقلام  
التي تصل الأدب والفكر بالسياسة وتياراتها المتلاطمة، وقد أسهم بأدائه  
وأفكاره وخبرته القديمة في إنشاء المجلات الثقافية في دعم مجلة  
وجهات نظر حين شهدت مراحل ولادتها.

كنت في  
المستشفى  
أما ألق أوجاعها  
في القلب،  
حين داهمتني  
أبناء فقد  
المهيزين رجاء  
النقاش  
ومجدى وهنا  
دفعة واحدة  
في ساعات  
متقاربة،  
وكلاهما له في  
القلب مكانته  
من الحب  
والتقدير  
والرفقة  
الطويلة  
طريق معبد  
بالصخور  
والأشواك في  
دنيا الكتابة  
والصحافة..

أحمد سلامة

وقد ظل رجاء باستمرار قادرا على أن يضع الأدب في قلب الحياة والمجتمع والناس، وإن يثير اهتمام الأشخاص العاديين بالضرع والقصة والرواية، ويقدم باقتدار عقدا من اللآلئ التي أنارت طريق الثقافة وحب الأدب أمام أجيال جديدة أغوتها التفاهة والخفة عن الفكر الجاد والرؤى المستنيرة.

وربما كان أكثر ما ضاعف لوعتي في فقد الصديقين أنهما وإن تباينت ليهما سبل الكتابة، بين النقد الأدبي الرصين لرجاء، والرأى الحر وشرف الكلمة وجسارة الموقف لمجدى مهنا، فقد جمعتهما تلك الخلقة النادرة التي أخذت تختفى من حياتنا، وهي الصديق مع النفس.

عرفت مجدى مهنا حين كان طالبا بالإعلام، وكنت ألقى بعض دروس في الترجمة الصحفية، وتابعته وهو يرتقى سلم المهنة بثبات واقتدار في صحف ومجلات مختلفة.. ريطنا خلالها صداقة مهنية واحترام متبادل... وكنت كلما بلغتنى انباء مرضه العضال، وهو يفترس كبده، تذكرت قول الشاعر العربي القديم:  
ولى كبد مقروحة من يبيعنى... بها كبدأ ليست بذات قروح؟  
أباها على الناس لا يشترونها... ومن ذا يشتري ذاعلة بصحيح؟

ولكن الشهور بالخسارة لفقده، ذلك الشعور الذى لمس أجيالا من مواقع ومستويات شتى، إنما يدل على استعداد هطرى لدى الفالابية العظمى من الناس لفرز الطيب من الخبيث، ومن إيمان بأن قيم النقاء والشرف ومقاومة الظلم ومساندة الحق والإخلاص هي الرأى بعيدا عن مواكب النفاق هي الأبقى!

إن رحيل الصديقين رجاء ومجدى معا وكأنهما على موعد، هو صرخة استغاثة أطلقها القدر تمهيدا عن توق شامل وعميق إلى قيم الحق والخير والجمال...

أدب وقد  
رحمهما الله ولطف بنا!

## تهريب الحوريات من الجنة

(مهدها إلى رجاء النقاش)

عبد المنعم رمضان

وحقّب أخرى تعتدل  
وكان الناس مثل أحفادهم  
ومثل الوقت الضائع  
ومصاييح الشرفة تنوى السطو على  
ما يبقى  
كانت حافة الرجاء  
قرب حافة جسمي  
انتظرت  
هزّزت انقاضى وقدمي  
نظرت إلى الأعلى  
رأيت فيما رأيت ضباباً  
رأيت خيول أعداء تنهب الرمل ولفتي  
وخيول أعداء لا تنهب الرمل ولفتي  
رأيت سقف كأنه سقفاً  
يليه سقف كأنه سقفاً  
يليهما السديم الذي  
كنت أظنه السديم

فيما مضى من الريح  
فيما مضى من أوراق البردي  
فيما مضى من الحمام  
وشجر التوت  
وأعشاش النمل  
فيما مضى من كل بهو  
كنت أخطئ للبحث عن أيقونة جدي  
وعن رثة أبي  
وقفت على سور عال جداً  
هزّزت قدمي  
التفت إلى المرايا الجوف  
والمرايا المعتمة  
كانت السماء تحتى  
كانت الممرات التي تفصل الليل عن  
الليل

وكان ظلام غفل  
وكانت حقب مائلة  
أدب ورفق

احتميت بالأودية التى حول جسمى  
وبالشمس الهاربة داخل ظلامى  
لم أستطع أن أنزع الخوف من دمى  
لم أستطع أن أنزع الندى  
كانت المتاهات تظهر لى وتختفى  
وسقف الصدى يظهر لى ويختفى  
استعنت عليها بالأمثال  
وعهد الراحة  
ونشيد الإنشاد  
استعنت على نفسى بالصمت  
والأثار البائدة  
خلعت أصابعى من كفى  
فرستها فى أطراف الأرض  
بعد قليل من اليأس  
بعد اليأس  
رأيت خيالا يمشى  
ورأيت أجنحة تتكاثر بين يديه  
رأيت الرجاء على حدودى  
والغابة على حدود اليأس  
فالتجأت إلى الأيام الأولى  
فيما مضى من الحيرة  
فيما مضى من أوراق البردى  
فيما مضى من كل بهو  
نزلت عن سورى العالى جداً  
بحثت عن رواق الفصول الأربعة  
بحثت عن الزغب المكسوة به روحى  
وعن الحشرات الناعمة  
وعندما ضللت طريقى  
رأيت الخيال نفسه

أدب وقد

الذى رأيته منذ سطور يمشى  
ورأيت الأجنحة التى تتكاثر بين يديه  
وقبل أن يخصنى بالنعمة  
كنت قد تشبثت بثيابه  
وعرفت أنه الوحيد الذى سيقودنى إلى  
الجنة  
سألته: ما اسمك  
فاستدار إلى جنبى من لسانى  
ويعد أن اجتزنا العتبة والردهة  
بعد أن اجتزنا البابين الخامس  
والسابع  
بعد الحديقة  
بعد مزرعة الحوريات  
استطعت أن أهرم الراحة يده  
استطعت أن أتوق إليها  
أن الثمها  
أن أمحو خطواتى، وأغمغم.  
لا شيء لا شيء  
لن أتكلم مثل العاصفة  
لن أتكلم مثل الحنين  
ثم استطعت أن أخرج  
وورائى الحوريات  
وعند منتهى الباب  
عرفت أننى الوحيد المنبؤ من خلايى  
أننى الطاغية  
والعميل السرى  
والخائف  
والمخبول  
وأنه الوحيد الذى سيقودنى إلى

نفسى

سألته: ما أسمك  
فاستدار إلى، جذبني من حلقى

وحمل عصاه

اتجه فى كل مكان

فيما مضى من الريح

فيما مضى من أوراق البردى

فيما مضى من كل صوت

كنت أبحث عن القادر

أن يكون غيمة فى السماء

وغيمة فى الماء

وأن يكون عمود نور

وأن يكون قبطان الأيام القادمة

والذى يحمل عصاه

والذى هو هو

والذى أنا أنا

والذى لا تخشاه الحوريات

والذى لا يفتنى

الذى لا يضيع

الذى ليس الرجاء قبله

الذى ليس الرجاء بعده

الذى يتجه إلى كل مكان

الذى سوف تحرسه الحوريات

سوف يفتنى مع الحنين الخام

الذى سوف يفتنى مع سارق الحوريات

أغنية سارق الحوريات

لو لم تكن هفتى

أدب وقد لو لم تكن أرضى

ومزرعتى

لو لم يكن فى البيت مارغبوا

لوهبتهم أسرار أغنيتى

لو أن مصباحى الذى عبثوا

بضياؤه، لو أن محبرتى

هذا إذن بيتى وأغطيتى

هذى سراديبى وأوديتى

وشعاب مملكتى

هذى جذوعى كنت أقطعها

كالمستجير وهذه رثتى

وهناك أشعاري وأثويتى

وهناك معصيتى

وهناك أهلى يسبهرون معى

وهناك بعض دمي وأشرعتى

وهناك أستاذى يعلمنى

أن اختفى وأهيد صومعتى

فإذا أراه تخافنى لفتى

وإذا أراه أخاف من لفتى

وإذا قبل الفجر يمنحنى

تاجى، وبعد الفجر أوسمتى

وحدوده تمشى على مهل

جهة الملاك العذب أو جهتى

لو لم يكن ، لو لم يكن دمه

مثل الرجاء ومثل أخيلتى

لو لم تكن شفتى

لو لم يكن قلبى وأغشيتى

ومياه حنجرتى

ما كان لى صوتى ومنزلتى.

## قطعة من روحه

### طلعت الشايب

وأهدت من فيضه الكريم علما وثقافة ومن تلك النفس الجميلة، التي لا تجرى وراء أخطاء الناس، بل تحاول أن تنظر إلى الجانب الطيب والإيجابي والمشرق، وتحاول أن تساعد هذا الجانب من جوانب الحياة على النمو والازدهار، كما يقول وكأنه يصف نفسه الزكية. الدوحة في منتصف الثمانينيات وكنت أكتب من وقت لآخر بعض المقالات وترجم مادة ثقافية ينشرها الصديق الشاعر حسن توفيق في الملحق الثقافي لجريدة، الراية، القطرية الذي كان يشرف عليه.

هوجئت ذات صباح بحسن يبلغنى، الأستاذ رجاء النقاش عاوز يشوفك ضروري، كنت أعرف رجاء النقاش - طبعاً - من خلال كتاباته ولكن لم يكن سبق لنا أن التقينا وجهاً لوجه، ذهبت للقاء رجاء النقاش - بمكتبه بمجلة الدوحة - الذي استقبلني بمودة بالغة وراح - بذائكة أذهلتني - يناقشني في كل ما كتبت حتى تلك التفاصيل التي كنت قد نسيتها، لم يكتف رجاء النقاش بإصدار شهادة ميلاد لي عندما قال لحسن توفيق إنني كاتب ومترجم محترف، بعد فترة قصيرة أبلغني هو شخصياً بأن الأستاذ محمد الحزب موسى مريض واعتذر عن عدم القدرة على الاستمرار في تحرير باب نافذة على الثقافة العالمية بمجلة الدوحة، وطلب أن أقوم بهذا العمل مؤكداً قدرتي على ذلك، وكأنه أصبح ولي أمري في دولة قطر، إذ بعد توقف مجلة الدوحة، واستعانة إحدى المؤسسات الخاصة بخبرته لإصدار مجلة أسبوعية، أخبار الأسبوع، يختارني محرراً ثقافياً لها ويمهد لي بتحرير مذكرات فتحى رضوان وثروت عكاشة وكان قد نجح في الحصول عليها من أصحابها للنشر في المجلة.

استمرت علاقتنا بعد عودتنا إلى القاهرة، اختارني للعمل معه مديراً لتحرير جريدة القاهرة في تجربة لم تكتمل، استكتبني في الكواكب كان يتابعني كما يتابع الآخرين ويحتفى بما انشره من كتب مترجمة بالقول والكتابة علمي، أن الحقيقة التي ينبغي ألا ننساها أبداً هي أن الثقافة بهجة تملأ القلوب والنفوس وتدفع الناس إلى العمل وهم متفانون قادرون على الصبر واحتمال المشقات، وأن النجاح مستحيل بدون عقل ضاحك، وقلب متفائل، مسيرة رجاء النقاش الحياتية والإبداعية والإنسانية، وعلاقته بالبشر قصة تروي، وإنحيازه لقيم الحرية والحق والخير والعدل والجمال مع غيره من كبار المفكرين والفنانين هو ما يحول الموت إلى حياة باقية لأن من يترك فيك قطعة من روحه ليس يميت.

رجاء النقاش  
صاحب أفضل  
على كل من  
عرفه سواء  
عن طريق  
القراءة  
والكتابة أو  
علاقة  
شخصية، وأنا  
أحد أولئك  
الكثير المديونون  
له بالفضل  
حيث عرفته  
وعملت معه  
واقتربت منه  
أدب ونقد

## صبياد اللؤلؤ

### سناء البيسى

ولم أمكث زمنا تحت مظلة فيرتى من رجاء النقاش بعدما اجتمعنا  
مما على محبة بهاء بعدما لمست فيه الحكاء الذى يجيد السرد  
ويمتلك ذاكرة تحتشد بحكايا الثقافة وطرائف المبدعين عبر الزمان  
ويسيل منه عذب الكلام عن الذين يملأون حياتنا أديا وضمرا أمثال  
نجيب محفوظ ويوسف إدريس ونزار قباني وكامل الشناوى وزكى نجيب  
محمود.. وغيرهم.. وغدونا أصدقاء فرجاء هو من يصادق ولا يعرف  
العداء. من يثق فى نفسه فيمجد مواهب الآخر. من ينقد ولا يجرح.  
من كلامه الهمس وصوته رنين العقل. من يصيبك بالفرح كلما التقيت  
به ويترك لك أغلى الذكريات كلما غاب عنك.

من يقرأ بتجرد ويكتب بتجرد. من ينقد فتتجدد طاقة الكتابة لدى  
من كتب عنه. من له لغة مختلفة عن اللغة التى تتردد على السنة  
المثقفين المتقربين الذين يدججون كلماتهم بالشعارات. من أعتذر عن  
أى جمع قبل أن أعلم بقدمه إليه وعندما أعلم أكون فى مقدمة كشف  
الانتظار.. من تلقانى ابتسامته فأحظى بتوقيع الشطارة والمهارة  
والنجاح والفلاح واستمرار الكفاح. من أسمع وأقرأ فأشعر بطمأنينة  
الغريب العائد إلى وطنه. من لم يكف عن صيد اللآلى الحقيقية وأبدا  
لم تخدعه الشباك. من يتحدث بنوع من الصدق أقرب ما يكون

مكثت أغان منه  
لغزبه الشديد  
من الأستاذ  
أحمد بهاء  
الدين رئيس  
تحرير أخبار  
اليوم وقتها،  
كان موقعه فى  
الحجرة المحقة  
تكتب الأستاذ  
الذى يقوم إليه  
فجأة ليحادثه  
طويلا على  
النزاد ثم يعود  
إلينا ليلقى  
علينا  
ملاحظات  
المبتسرة  
كمجموعة

أدب وقد

للتقوى. من يمتلئ بطاقة هائلة من التواضع أمام النص الذى يتحدث عنه ويكشف أسرارهِ مستخدماً لغة لا يتحاذم فيها ولا يستمرض ولا يقحم الأسماء الأجنبية ولا يختلس مكان الكاتب.. من يعيش التاريخ فأعشق تفانيهِ فى كشف كنوزه لأصبح على رأس طابور زيارة متاحفه الثرية وحدايقه الغناء.

من ينقب عن الجمال فيكتشف عشق شكسبير لامرأة فى لون الأبتوس وخطابات شعر الغرام بين أنور المعداوى وقدوى طوقان.. ابن النقاش ابن قرية منية سمنود بالدقهلية صاحب العيون الخضراء الذى دعاه عبدالناصر عام ١٩٩٦ ضمن أعضاء المؤتمر الأول لكتاب آسيا وإفريقيا فدخل قصر عابدين للمرة الأولى لينبهر بناصر وعابدين وقفنا فى صفوف متراصة ومر علينا عبدالناصر وصافحتنا واحداً واحداً فرأيناه من قرب وأدركنا صحة ما كان يقال عنه من أن له هيبة وسحراً وجاذبية وعينين مليئتين ببريق استثنائى يأسر القلوب.. كان هذا كله صحيحاً فقد مستنا كهرياء عبدالناصر فاهتزت منا الأعصاب والمشاعر وأدركنا جميعاً أننا فى حضرة رجل عظيم.. وبعد أن انتهت المصافحات انتقلنا إلى قاعة العشاء التى تبهر العيون وتخطف الأبصار من فرط جمالها وبهائها وكان سقفها كله مطلياً بالذهب.

وكلمنا نظرننا إلى هذا الجمال وهذا الجلال شعرنا كأننا نعيش ليلة من ليالى ألف ليلة مع فارق واحد هو أننا لم تكن أمراء ولا أصحاب مال أو سلطان بل كنا فى معظمنا فقراء أبناء فقراء ومن كان منا أفضل من ذلك فهو فى أحسن الفروض من متوسطى الحال لو كنا نذكر جميعاً أنه لولا عبدالناصر الذى فتح لنا الأبواب وقال لنا ادخلوا ما كان لنا أبداً أن ندخل هذه القاعة الذهبية فى قصر عابدين ونحن آمنون بأن الشرطة لن تقبض علينا وتسيء بنا الظنون فقد كان قصارى ما نحلم به هو أن نرى الأسوار الخارجية لقصر عابدين ثم نعود إلى بيوتنا سالمين غانمين.

رجاء.. الخجول الذى يشتد خجله كلما تكاثرت من حوله أمواج الثناء فيسقط فوق وجهه قناعاً من الجدية والوقار لا يرى ولا يسمع أصداً الإعجاب وينظر بعيداً وكأنه يبحث عن ذلك الشخص الذى يزجون إليه عبارات الثناء وكأنه ليس رجاء.. وكأنه ليس رجاء النقاش الذى غادر مقعده بجوارى فى مدينة دبي عام ٢٠٠٥ متعثراً فى خجله متقهقراً فى سيره كطفل يساق عنوة إلى سبورة الامتحان ليحل مسألة حساب مستعصية وكان رجاء يوماً مدعواً للصعود إلى منصة التكريم العربى الكبير حيث قام الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى العهد بتسليمه جائزة شخصية

العام تقديراً لدوره الثقافى العربى الكبير.. ويومها بحثت عن صورة

أدب وقف



المحتفى به لنشرها فلم أجده إلا متواريا في آخر الصفوف لا يكاد يبين.. وتلك هي أخلاقياته وتصرفه ونهجه الذي لا يحيد عنه بالفعل أو بالقلم كن عبقريا في عملك أو شخصية مهمة هنا أو هناك بما تملك من ميزات وجهود تبذلها ولكن عليك أن تعيش كنسان طبيعى يتعامل مع الذين حوله تعاملا هادئا يسيرا بسيطا لا تكلف فيه.

ونمت بيننا أنا ورجاء زهور الوداد زمنا أدفع فيه عنه أى قول يخدش شفافية الصفاء لكنى عدت غصبا عنى أغار ثانية منه بسبب اقترابه من نجيب محفوظ إلى حد الجلوس إليه لمدة عام ١٩٩٠ - ١٩٩١ مع خيوط الصباح ثلاث ساعات يوميا ليسجل معه ما يقرب من خمسين ساعة كاملة فى مقهى على بابا الصغير بميدان التحرير فى وسط القاهرة ليخرج بعدها بكتابه المنهل الذى حشد فيه الأفكار والآراء الجريئة بل والمثيرة أحيانا التى سمعها من نجيب محفوظ أضواء جديدة على أدبه وحياته ورغم اقترابه من صاحب نوبل سنينا مديدة على الجانب الآخر حيث خصنى وحدى بجميع أعماله فظ بكنوز لا مثيل لها من خطابهات ومسوداته وأوراقه إلا اننى من بعد أن أهدانى رجاء النقاش كتابه المرجع الفريد عن محفوظ سامحته وعدت إلى موقعى منه شغوفة أبدا لحلو حديثه وعذوبة نقده وتجليات توارىخه واجتماعنا معا على حب محفوظ.

وتمكس لفظة المشروع عند رجاء النقاش مفهوم الإيجاز فى رؤيته للزعماء فىرى أن المشروع الناصرى كان فى أن تصبح مصر الصغيرة بلدا آخر قويا له تأثير محسوس على المحيط الذى تعيش فيه ومشروع السادات كان فى نظرتة الواقعية التى تقوم على رفض الأفكار السابقة والاعتراف

بالحقائق الموجودة أمام العين... وفى تلك النظرة يرى النقاش جوانب إيجابية لأنها تقلل من تأثير الأوهام والخيالات والأحلام على المواقف والقرارات... ولكن السادات هيما بدا للنقاش قد بالغ فى واقعيته وأضاف إليها لزوم ما لا يلزم... أما عن الرئيس مبارك فلا يملك النقاش أن يقول عنه شيئا... لأننى من المحبين له والمقدرين لجهوده كما اننى أثق فى وطنيته وإنسانيته وأنا مدين له كثيرا فلولاً رعايته لى بعد محنة مرضى منذ أكثر من عامين لكنت الآن فى عداد الموتى منذ وقت طويل... والحمد لله الذى قدر لى أن أكون موضع رعاية الرئيس مبارك وعنايته... .

ويأتى مشروع رجاء النقاش نفسه بدخوله عش الدبابير حيث يطالب

بالإصلاح الدينى وتحرير القرآن من قيود منها انعدام وجود تفسير

أدب وثقافة

عصرى سهل القرآن ومنها الإصرار على عدم كتابة مصحف بالخط العصري المعروف والإصرار على أن تكون كل المصاحف مكتوبة بالخط القديم مما يشكل عبء رئيسية أمام كل الأجيال الجديدة التى تريد أن تقرأ فتجد فى كتابته عناء شديدا قد يصرفها عن القراءة فى المصاحف الحالية نقرأ هذه الكلمات الصرط بدلا من الصراط والصلوة بدلا من الصلاة والزكوة بدلا من الزكاة وأبصرهم بدلا من أبصارهم وظلمت بدلا من ظلمات والسموات بدلا من السماوات وجنت بدلا من جنات الخويرى رجاء أنه من واجبنا ولاهلك أن نحفظ بالمصحف القديم بخطه المعروف.

فذلك أثر عزيز من آثارنا لا يجوز أن نهمل فى المحافظة عليه ولكن يجب أن تكون لدينا الشجاعة الدينية الكافية لكي نطبع مصحفا خاليا من هذه الحروف التى تجعل قراءته صعبة إلا عند المتخصصين فى قراءة القرآن وليس هناك أى نص دينى مقدس يحرمنا من هذه الخطوة بل إن روح الدين تتمثل فى أن الدين يسر وليس عسرا وكل ما ييسر الدين بدون الخروج على جوهر مبادئه أمر مطلوب ويمضى رجاء فى قوله: إننى استفدت من القراءة المتأنية للقرآن الكثير من المعرفة باللغة العربية لا من حيث الألفاظ فقط ولكن من حيث التدقيق والتصوير الفنى القادر على التأثير الكبير فى النفس وكنت شغوفا بحفظ القرآن الكريم فى السن المبكرة.

وقد ساعدنى والذى المرحوم عبدالمؤمن النقاش على ذلك لأننى كنت أجد صعوبة فى قراءة أى سورة وحدى ولا أتصور أن هناك من يحب الثقافة ويريد أن يكسب نفسه ذوقا رفيعا سليما يمكنه من أن يصل إلى شئ من ذلك دون أن يقرأ القرآن قراءة فهم واستيعاب من الناحية اللغوية والأدبية والأخلاقية أما الناحية الدينية فمن البديهي أنها واجب على الجميع ولقد ساعدنى على تذوق القرآن أن جدى كان مقرئا للقرآن فى القرية وكان صاحب صوت جميل.. النقاش صياد اللائى فى بحور الفن والثقافة من كان بالنسبة للشعراء والأدباء الشبان المثقفين الواعدين بمثابة الحبل السرى الذى يربطهم بالحياة الأدبية فيطلقون من خلاله عليها وعلى آخر منجزاتها ومن خلاله يتصلون بالقارئ صاحب النصيب الكبير فى تلميح وتثبيت أقدام كل الكبار المشهورين على الساحة الأدبية فى مصر والعالم العربى والسودان وكفيه حفنة من لآله خلفت الأبصار فيها جاهين والطيب صالح وحجازى ومحمود درويش.

رجاء الشقيق الأكبر فى الأسرة الريفية الكبيرة العدد . ثمانية . التى حارت من أجل تعليم أبنائها ولاحتقتها البلهارسيا لتخطف الأم فى

أدب و فن



شرح الشباب ورغم أميتها فإنها كانت تميز اسم رجاء ابنها في قصاصات الصحف والمجلات فتعلمها لتضعها في خبيلتها تحت الوسادة لتنشرها زهوا من حولها ساعة الصفا وحين ماتت اكتشف الأبنال أنه ليس بحوزتهم لقطة تعكس ملامحها لتبقى صورتها القدسية في مخيلتهم خالدة محفورة على جدران القلب ويحوم الموت بسبب البلاء المستوطن في ريفنا المصرى الذى يسد خنجره للكبد ليخطف وحيد الموهوب الشقيق الأثير لدى رجاء وتوعم روحه وجرحه الغائر الذى لم يندمل أبدا وتعبر الشقيقة الكاتبة الناقدة فريدة النقاش رئيس تحرير الأهالى عن مسارات العائلة المستنيرة زرع يؤس الفلاحين فينا وفي رجاء على نحو خاص خوفا طافيا من المستقبل وكان قد تراكم في الأصل من تجربتنا القاسية كأمرة فقيرة كبيرة العدد حاربت من أجل تعليم أبنائها.

وحين افترقنا على الطريق كان من أجل أن يؤسس كل منا حياة مستقلة فاخترت أنا أن أخوض في عالم السياسة واختار رجاء أن يتفرغ للأدب وغضب منى لا لأنه يرى إلا جدوى من السياسة وإنما خوفا على من البطش ولهذا اعترض على زواجى من حسين عبدالرازق لأنه هايودينى فى داهية وسرعان ما أصبحا صديقين طالعى بين أوراق النقاش ورقة صفراء نيتها صفراء تاريخها يعود إلى الخامس من سبتمبر عام ٧١ سطورها ثلاثة لا غير تقرر نقل رجاء النقاش رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون إلى وظيفة أخرى بعيدا عن أجهزة الإعلام حيث إن كبار المتأمرين في مؤامرة مايو كانوا قد وضموهم في مواقع رئيسية ليقوموا بتنفيذ خطة التأمير سطور تهد الجبال لكن النقاش الجبل ظل شامخا حاملا سلاح قلمه الشريف ليشد الرحال إلى قطر ليؤسس ولو على الضفة الأخرى رواسخ المعارف التى ارتفعت بينها راية مجلة الدوحة.

وفي جميع المحن فالنقاش محظوظ رفعت والدته يوما يديها للسماء ودعت له أن يرفقه بنبت الحلال الهادية النادية فمنحه الله خيرة الزوجات طيبة الأطفال الدكتوراة هانية عمر التى أنجبت له سميح المخرج التليفزيونى والأبنة لميس النقاش الغواص فى بطون التاريخ الثقافى والاجتماعى والسياسى المصرى البعيد والقريب من يلومون عليه انصرافه الآن عن الواقع الثقافى والأدبى المصرى الراهن الذى فى أشد الحاجة إلى قلمه الصادق لفرز الفث من الثمين لكنه يا سادة الغوص المطلوب أيضا بإلحاح وبشدة لمهارة صاحبه فى اصطيد أحداث لها دلالاتها إنه الشوق إلى

الماضى الذى يطابق الحاضر... العودة لتراث خفى عنا بفعل فاعل

أ. د. وفد

ويجهل إلقاء الكراكيب القديمة بدعوى شغلها للمكان الذي سوف تزف إليه العرائس الجديدة والشقة زحمة والمطرح ضيق واحنا أولاد النهاردة.. بالله عليكم من كان منا بدون رجاء يعرف كمثال أن أم كلثوم التي صاحبها رجاء في أكثر من جولة فنية في السودان وليبيا ونسج من لقاءاتهما الحوارات أنها كانت أول فتاة تمشي بين الرجال في الشارع تشيع جنازة رجل من تسعين عاما عندما قررت أن تمشي خلف نعش أستاذها الشيخ العظيم أبو العلا محمد.

أو أن الإمام محمد عبده كان في منفاه بباريس يدخل الأوبرا الفرنسية بصحبة الأميرة نازلي فاضل وهو بالإمامة أو أن الشيخ طه حسين في فترة تعليمه بالأزهر لم يجد حرجا من دينه ولا أخلاقه في كتابة أغنية يقدمها للموسيقار كامل الخلعي لتغنيها منيرة المهدية وتسجلها شركة الفونوغراف في اسطوانة مكتوب عليها من كلمات الشيخ طه حسين وتقول عباراتها الرقيقة.

أنا لولاك كنت ملاك غير مسموح أهوى سواك.. سامحني  
في العشاق أنا مشتاق أبكى وأنوح بالأشواق صدقني  
عهديك فين يا نورالعين بالفتوح تهوى اتنين جاويني  
واحد بس يهوى القلب قلبي يهوى له بالحب طاوطني  
أنا أهواك ومين قساك أنا مجروح وغايتي رضاك واصلني  
ما أحلاك وقت رضاك لما تلوح ما أبهاك كلمني

ويقطع النقاش الشك باليتين في أمر تقبيل طه حسين بيد الملك فاروق بنشره رسالة طه إلى رئيس تحرير روزاليوسف أنت لا تعلم أن فاروق أرسل إلى الرسل بالمغريات سنة خمس وأربعين (١٩٤٥) فلم يجد إلى إغرائي سبيلا وإنما ردت رسله ردا رفيقا كريما فيه كثير من ارتفاع عن الصفائر ولو شئت لبلفت من فاروق وسلطانه وماله وجهه ما أردت ولكني لم أرد لأنني رأيت الكرامة والوفاء والصدق في خدمة الوطن أغلى من المال والسلطان ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد شهد شاهدان أمام محكمة الثورة بأنني قمت مع غيري من الوزراء بتقبيل يد فاروق والله يشهد ما قبلت يد فاروق ولا يد أبيه ولا يد عمه السلطان حسين ولا يد ابن عمه عباس حلمي الثاني حين كان أميراً لمصر ولا يد ملك من الملوك الذين لقبتهم قط والله يشهد أنني ما قمت بتقبيل يد أحد من الناس إلا أن تكون يدي أبوي أو يد بعض شيوخنا في الأزهر

أدب وفد

رحمهم الله ولا أستثنى من ذلك إلا يد سيدة أجنبية كانت ترفع يدها بشفقتى إصافا .  
واضحك من ذلك إن شئت واعبت به إن أحببت فليس عليك فى الضحك والعبث  
جناح ومن كان سيعلم إذا لم يخبرنا رجاء بأن الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت عندما  
قام بزيارة جامعة القاهرة الأهلية التى يرأسها الأمير أحمد فؤاد فى لأعترض فى عام  
١٩١٠ أعترض خطابه على وضع دستور للبلاد بحجة أن المصريين ليسوا أهلا بعد لأن  
يحكموا أنفسهم بأنفسهم وأن يحمداوا الله على نعمة الاحتلال الإنجليزى وعليهم  
الانتظار سنوات طويلة حتى يمكنهم التفكير فى حكم أنفسهم.. واشتعلت البلاد  
بالغضب وقاد محمد فريد مظاهرة الاحتجاج إلى فندق شبرد محل إقامة روزفلت  
مطالبين بسقوطه، وانهاالت عليه رسائل السخط ومنها رسالة بالفرنسية كتبها ثلاثة  
من المحامين المصريين جاء فيها، إنك أردت مجاملة الإنجليز على حساب المصريين  
ومن كان خليفة واهنطن العظيم يجدر به أن يقدر الحرية حق قدرها.. وسارع روزفلت  
بالهرب ولم تكن الطائرة قد ظهرت حتى ذلك فاستقل القطار من محطة مصر النائرة  
لمحطة الإسكندرية الهادئة إلى الباخرة حيث ثم تستغرق زيارته للبلاد سوى ثلاثة أيام  
مهولة ليفادها غير مأسوف عليه.

وعمره بالعمر الصديق الغالى رجاء النقاش لا أسمع منه إلا كل جميل ولا يهدينى  
كتابا جديدا له إلا مكللا بمشاعره المعطرة المرة الوحيدة التى لم نتفق فيها كانت  
عندما كتبت فى الأهرام بتاريخ ٢٠٠٧/٥/١٩ مقالا حول عرابى المفتري والمفتري عليه  
لقد عاد الصديق من أجازته المرضية ليجد فى بريده رسالة متاب من أحد قرائه  
الأفاضل حول ما كتبت مدعما بالوثائق والمراجع الموجودة فى دار الكتب المصرية التى  
لم تخرج إلى النور من قبل.

فقام رجاء بنشر الرسالة معقبا بأن عرابى قد تعرض لاثهومات ظالمة وملفقة وحرب لا  
هوادة فيها وحرمان من ممتلكاته حتى عاش فى سنواته الأخيرة فى عسر عظيم ويكفى  
الإشارة إلى واقعة مرضه بسرطان المثانة وما أدى إليه هذا المرض من وفاة الزعيم  
الكبير ولم يكن لدى أولاده من المال ما يكفى لتجهيزه ودفنه فاضطروا إلى عدم إعلان  
نبا وفاته إلى اليوم التالى حتى قبضوا معا شه .. الخ.

ولم أكن أعلم بأبنى عندما جسرت على الكتابة عن عرابى قد تعديت خطوط النقاش  
الحمراء وأبنى بدون قصد قد دخلت عرش دبائيره وأبنى عن جهل قد لمست وترا حساسا  
لديه لم يكن لدى علم به حتى قرأت سيرة رجاء النقاش الشخصية  
وقوله على لسانه عملت فى مجلة الإذاعة الأسبوعية مراجعا لكل المادة

أدب وقف

التي تنشر وكنت لم أزل طالبا في السنة الثانية بكلية الآداب وكان أول رئيس تحرير لها اسمه عبدالعزيز أحمد عرابي وهو النجل الأصغر للزعيم عرابي وسبحان الله كان عبدالعزيز صورة طليق الأصل من والده العظيم وكنت كلما رأيته أهب واقفا وأحيانا منزعورا لأني كنت أتخيل أن ما أعيشه ليس حقيقة وإنما هو وهم وخيال وكان الرجل يسعد لمعاملتي له وإن ظل مندهشا من شدة مبالغتي في إجلالي واحترامي له!!

رجاء النقاش الذي كان يتمنى أن يكون أكاديميا مثل أساتذته ورغم رسالة الماجستير التي قدمها في سكة الدكتوراه تحت إشراف الدكتورة سهير القلماوي إلا أن الصحافة سرقتها من الحلم الذي ظل منطويا عليه لا يفارقه من بنى لنفسه في جدية وصرامة مكانته كناقد أدبي حيث يقول «تعبت على نفسي، جميل الخلق والخلقة صاحب الموهبة الفذة التي أهنت عمرها بين فكي المطبعة أحد الذين عشقوا الكلمة وأخلصوا لها من انطلق من منتصف الخمسينيات يقدم القصة والرواية والديوان الشعري والمسرحية والعمل السينمائي والتلفزيوني محتفيا بالجاد والأصيل والجديد لا يفرق في اهتماماته بين مكتمل الأدوات مثل نجيب محفوظ أو شاب يخطو أولى خطوات المسيرة.

الناقد المبدع الذي جلس عشرات مئات آلاف الساعات يكتب للنهل منه وننتظر رأيه وتقييمه العادل الذي لا يجامل ولا يخلط الخاص بالعام ولا يتمالي على القارئ بعبارات اللوغاريتمات ويكتب بأسلوبه السهل الممتنع الذي يظهر الإيجابيات من قبل السلبيات الذي يتقى الله فيما يكتب المثقف المتواضع البسيط دون إفراط أو تفريط النقاش الذي عاش واقع صحافتنا المحنة وليست المهنة صحافة لا تقوم على تقاليد راسخة مهما قيل فيها ومنها من مواثيق وعهود ووثائق مهنة محنة ليست مثل غيرها من المهن فلا مكان للسفن أو الخبرة وليس هناك من يفرض عليها أن تحقق الراحة والوقت لمن بذلوا فيها جهدا كبيرا واضاموا عمرهم عليها فانت في الجامعة كمثال إذا ما وصلت إلى منصب الأستاذ لا يستطيع كائن ما كان أن يعيدك فجأة إلى منصب المعيد أو إلى مدرج الطلبة أو لتقديم صينية القهوة لسيادة المعيد ولكننا في صحافتنا لا نتهيب من شيء أو نضع في عيوننا حصوة ملح.

فأنت تصل إلى منصب مرموق ثم فجأة تجد روحك خاضعا لشلوث اطلع لى برة فجأة تعود إلى مقاعد صفار المحررين فلا مكتب لك ولا تحية لك ولا سيارة لك بل إنك بعد الجهد المرير والعمر الطويل في خدمة المحنة قد تجد صعوبة بالغة في

نشر كلمتك والتعبير عن نفسك إنها مهنة بلا وفاء لأهلها خاصة من

أدب و نقد



بعد سقوطهم فى جب التعب... وتظل كلمات رجاء النقاش شاهدة على هذه المحنة المهنة.. كلمات قالها وهو لم يزل فى المستشفيات فى وقت لم يكن يعرف فيه أن مشوار التعب لم يزل طويلا طويلا ليدركه فيه المرض ويجعلنا جميعا فى لهفة عليها نبتهل إلى الله له بالشفاء والعافية ليظل يتعب على نفسه صدقونى إذا قلت إننى أعمل فى الصحافة الآن كما كنت أعمل عندما بدأت حياتى الصحفية وأنا طالب فى الجامعة.. نفس الجهد.. نفس التعب.. نفس المعاناة أبدا لم تحفظ لى هذه المهنة قيمة الجهد الكبير الذى بذلته بحيث أجد من حقى أن أعمل بهدوء وبكمية أقل ونوعية أرقى. وليس هذا حالى وحدى فهو حال الكثيرين غيرى ألث فى ساحة العمل الصحفى كما يجرى أى شاب صغير من أجل لقمة العيش وحق قولك فىنا يا رجاء

أدب- وقد  
ففى المحنة التى تأكلنا لحما وترميننا عظما ■



## فارس الأدب الجميل

فرانسوا باسيلي  
(نيويورك)

وكما كتبت في حياته بروح التقدير والعرفان اكتب اليوم في حب رجاء النقاش، ذلك الفارس النبيل لأدب الزمن الجميل، وللرجل الفضل الأدبية شاملة على جيلى كله، وأفضل أدبية بالنسبة لى شخصيا، يهمنى هنا أن اكتب عنها .

كثيرا مايعجب قارئى بكتّاب او مبدع او شاعر اعجابا شديدا من خلال قراءاته له حتى يقابله ويتعرف عليه فيصدم فيه كشخص وانسان، فكثيرا ما توجد هوة شاسعة بين مايكتب المبدع من أحلام ورؤى شاهقة ويرفع من رايات خافقة ملونة وبين واقع هذا المبدع وأخلاقه وسلوكه اليومي.

وقد حدث هذا لى فى مطلع تمرّفى بالوسط الأدبى فى مصر وكنت طالبا بجامعة القاهرة فى نهايات الستينيات وبدأت فى التردد على مقاهى ريش والأتيلية وغيرها من اماكن تجمع الادباء والشعراء واقتريت من بعضهم شخصا فكان هذا اللقاء — المفجع وقتها — احد مراحل نضوجى الشخصى واكتسابى لمعرفة الفرق بين مايمكن ان يقوله ويبدعه الانسان وبين مايقله كل يوم.

وكان رجاء النقاش من القليلين الذين لم افجع عند الاقتراب منهم،

قدم رجاء  
النقاش للأدب  
العربى  
والثقافة  
العربية  
اسهامات جليلة  
يندران يقدمها  
شخص واحد،  
وذلك صبر  
مايزيد عن  
نصف قرن من  
العطاء والابداع  
فى مجالات  
النقد والأدب  
والصحافة

أدب وقد

بل على العكس. فقد كان في شخصه وقوله ومسلكه كما هو في كتاباته، نفس المبادئ النبيلة والمشاعر الجميلة والترفع عن السفساف والبداءات اللفظية والفعلية معا. ويمكن ان يلقي لقائى الأول برجاء النقاش ضوءا على إحدى خصال هذا الناقد الادبى الهام فى علاقته بالادباء الناشئين.

فعلى أثر تخرجى من كلية هندسة القاهرة فى صيف هزيمة ٦٧ الهائلة بدأت استكشاف الوسط الادبى فى مصر، الذى كان يتناقل قصيدة هوامش على دفتر النكسة لنزار قباني الممنوعة فى مصر تناولا سريا سحرى، فقد كانت هى المرة الاولى فى عمر جيلى جيل الثورة التى نقرأ فيها كلمات بها اى نقد للثورة وتزعيمها وللحالة العربية بشكل عام. وفى جو الاحباط العام والانكسار القاتل والياس الشامل بعد ضربة الحرب السريعة الباطشة. كتبت قصيدة قصيرة جدا وارسلتها لمجلة الهلال فى براءة كانت بلائك وراء جرائتى فى ان ارسل للهلال مرة واحدة وهى اهم مجلة ثقافية فى مصر منتظرا ان تنشر لى قصيدة وانا لم انشر فى اى مكان من قبل!

وبعد ذلك بايام عدت الى البيت ذات مساء ليقول لى ابنى ان رجاء النقاش اتصل تليفونيا يريدك ان تقابله . وفعلنا ذهبت الى مكتبه وانا اكاد اطير من الدهشة المصحوبة بالتوجس من ان يكون الغرض من المقابلة هو تقديم النصيحة المعتادة من ناقد كبير لشاعر ناشئ بأن يستمر فى المحاولة والمثابرة لعله يكون من الممكن نشر شئ له فى المستقبل .

وحين دخلت الى مكتبه فى خجل وتردد قابلنى رجاء النقاش بدفئه الانساني الذى لايفارقه مما اراحنى كثيرا . وكان فى مكتبه احمد عبد المعطى حجازى وأعطى النقاش قصيدتى لحجازى فقرأها وأثنى عليها وقال لى النقاش انه سينشر قصيدتى القصيرة قريبا. وفعلنا نشرنا ، وقد كتب النقاش بعد ذلك بما يقرب من ثلاثين عاما عن هذا اللقاء مقالا عنى بجريدة الاهرام بعنوان الشاعر لايضع (١٧ مارس ١٩٩٧) .

هذا هو الأسلوب المدهش الذى يتعامل به رجاء النقاش مع الادباء الناشئين فهو يبحث عنهم ويشجعهم وينشر لهم بلا قيد ولا شرط ودون ان يطلب او يتوقع منهم تلك الطقوس الطويلة التى يتطلبها غيره، طقوس الاطراء والمديح والنفاق وتقديم فروض الولاء والطاعة، ولم اكن اجد أيا منها، وللمقارنة أقول أننى فى نفس تلك الفترة قابلت وأعطيت اشعارى لنقاد مصريين آخرين؛ هم د. لويس عوض وكان من اكبر نقاد مصر وقتها، والناقد المميز غالى شكرى والاستاذ الكبير يحيى حقى، ولم احظ بتشجيع جميل وحنون من أحدهم سوى من الاستاذ العظيم

أدب وقت

يحي حقى، الذى نشر لى ثلاثة قصائد مرة واحدة فى عدد واحد من مجلة المجلة المصرية.

أما الدكتور لويس عوض فزرتة فى مكتبه وأستنتجت من أسلوب حديثه معى ان الحصول على تشجيعه ستكون عملية مجهدة طويلة الأمد ، وكان مكتبه فى الاهرام بالغ الفخامة ، ولكنه لم يعرف عنه طوال حياته النقدية سوى احتضانه لشاعر واحد هو صلاح عبد الصبور. ولم يكن مهتماً باكتشاف المواهب الناشئة.

رجاء النقاش قدم للأدب العربى عدداً كبيراً من الأدباء باحتضانه وتشجيعه لهم وتقديم اعمالهم باحتفاء وحماس ويلا قيد او شرط.

وقد ذكر عدد لأبأس به من الكتاب كيف كان لرجاء النقاش معهم مواقف مشابهة لموقفه معى، فلديه دائماً ذلك الاهتمام الشديد بالمواهب الجديدة، يتعامل معها بحنو واحترام ومحبة شخصية وامانة عفوية هى خصال اساسية فى طبيعته النقية الجميلة. يتميز رجاء النقاش بدفع انسانى يلضحك بمجرد اقترابك منه تبثه شخصية مصرية اصيلة تنضح بعذوبة البساطة وعفوية ومرح المصرى ابن البلد الذى يمنح بكرم وتلقائية من جيبه ومن نفسه مما. اضاف الى ذلك احساس مرهف بالفكاهة يتميز بها معظم المصريين ولكن يفقدها الكثير من الكبار الذين تستولى عليهم مشاعر التعاضل والتكبر والتفاخ الذاتية ولقد لمست الدفء وعذوبة البساطة فى رجاء النقاش عندما زرتة فى مكتبه بدار الهلال عام ١٩٩٨ بعدما كتب عنى ذلك المقال الطويل بالاهرام لأشكره. ولكنه اصبر على ان يأخذنى معه للمشاء فى احد مطاعم السيدة زينب الشعبية الجميلة. وهناك مع أطباق المشويات ومشروب اسمه ويسكى ابن البلد لم يكن به اى شئ من الويسكى ولكن كان مزيجاً من الضرورية الساخنة وماء المخلل والشطة وربما الحلبة وكان نشدة سخونته وحرقة يلدغ (الزور) ويدفع الجسد فاعلا فيه فعل الويسكى ولكن بدون الخدر العلقى، حدثنى النقاش ليلتها بحماس عن كتابه الجديد عن نجيب محفوظ وحدثته عن اعجابه بالعرض المميز الذى حضرته عن حرب العبور. وسألتة ان كان هناك اعمال فنية اخرى مماثلة عن حرب الصبور. فقال لى فى مزيج من الاستنكار والدهشة: تسألنى الآن بعد ربع قرن عن حرب العبور، ان مشكلتنا اليوم هى العبور من ميدان التحرير الى ميدان رمسيس ا وضحكنا معا ضحكة

**أدب و نقد** مجلة لم تكن ماوراءها من حسرة خافية على أحد

## رجاء فى المساء الأخير

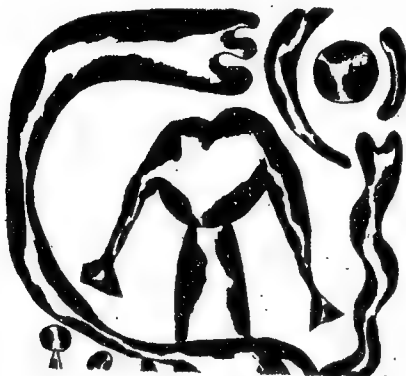
حسن طلب

٢

تلك أيام اقلام اهل الغرض،  
وأنا - ربما فى صدر -  
أن أن أستريح..  
وسوف اكلم بنتى دليس..  
أو ابنتى «سميح»..  
كما والدى كان بعد الوفاة  
يكلمنى  
فأقول: اذكرا الآن جدكما  
فهو أول من كان علمنى  
ثم الهمنى القابضون على الجمر  
فى زهرة العمر -  
والأنبياء  
فقلت: انتبه يا رجاء..  
إذا ما كتبت..  
وأن هروا الصاعدون..  
على سلم القصر

تلك أيام اقلام اهل الغرض  
هكذا كنت فى مرضى أختلى  
وأحدث نفسى  
وكم كنت احتال..  
حتى أروض يأسى  
فأضمر فى محنتى أننى؛  
لم أكن قبل قط صحيحا معافى  
كمثلنى هذا المساء  
أحدث نفسى لتنسى  
- على بطشة - الداء  
تنسى الدواء  
وما كان من أحد يتطلع..  
ما كان يسمع  
غير صديقى الوحيد..  
صديقى اللدود: المرض!

أدب ورفق



قف حيث أنت..

فلا يذكر اسمك فيمن ركض

٣

تلك أيام أقلام أهل الغرض

آه لو علموا بمض ما أعلم الآن!

لو أدركوا هول ما سيكون..

فتابوا.. وأبوا إلى الحق..

واستهونوا كل ما كان!

لو أدركوا بعيون البصائر..

رعب المصائر!

لو مسحوا الصدا

المتكلم..

أدب وقد

فوق جلود الضمائر..

لو اقترضوا الله!

فأالله من خلقه يقترض!

٤

تلك أيام أقلام أهل الغرض

وأنا الآن لا حول لي

لست إلا رفات امرئ مات..

يرقد.. والقلم الحرفي يده

والتراب المسير..

إلى أن يشاء القدير..

فإن قال - سبحانه - انهض

نهض!

## سهيل إدريس شجاع لعب دور الثوار المؤثرين

### رجاء النقاش

سهيل إدريس شخصية أدبية بالغة القيمة والأهمية في الثقافة العربية الحديثة. وهذه الشخصية لا تقوم على جانب واحد من جوانب الأدب أو العمل الفكري، ولكنها شخصية تقوم على التنوع، ولا يمكن فهمها ولا إعطاؤها حقها من الفهم والتقدير إلا بالنظر إليها من عدة جوانب في وقت واحد. وأول جانب أحب أن أتحدث عنه هو جانب شخصي يتصل بي، فتأثير سهيل إدريس في حياتي الأدبية هو نموذج من عشرات النماذج التي تمثل تأثير هذه الشخصية المهمة على الكثيرين من أبناء جيلي. فقد بدأت حياتي الأدبية حوالي سنة ١٩٥٢، وكنت في الثامنة عشرة من عمري وذلك بالعمل كمراسل لمجلة «الأدباء» التي أصدرها سهيل إدريس كما أذكر في ذلك العام في بيروت. وكان عملي كمراسل في القاهرة بترشيح من استاذي الناقد العظيم والإنسان النبيل أنور المعداوي. ولم يكن أحد يعرفني في تلك الفترة، غير زملائي وأساتذتي، ومع ذلك لم يتردد سهيل إدريس في قبولي كمراسل لمجلته الشهرية المهمة، التي كانت في ذلك الوقت أهم مجلة أدبية عربية على الإطلاق. ولم يكن سهيل إدريس يعرف عنى شيئا أكثر من قراءته مقالا لي كنت أرسلته إليه ونشره على الفور، وكان عنوان

شهادة كتبها  
عن سهيل  
إدريس الناقد  
الراحل رجاء  
النقاش في  
صمود، ضواحي  
الضفدعة  
بصحيفة  
«أخبار الأدباء»  
المصرية في ١  
يونيو  
(حزيران) عام  
٢٠٠٣ وقد  
عمل رجاء  
النقاش مراسلا  
أدبيا لمجلة  
«الأدباء»  
بالقاهرة لعدة  
سنوات منذ  
ظهورها.

أدب ونقد

المقال فيما اذكر هو، الماضي المفروض، وكان المقال يعبر عن ضيق شديد بسيطرة الأفكار الأدبية القديمة ووقوفها في وجه التجديد والبحث عن صورة عصرية للأدب العربي تتناسب مع مشاكلنا الراهنة وهمومنا التي لم يعرفها السابقون علينا. وربما كنت في هذا المقال مندفعاً ومتهوراً في الهجوم على الماضي الأدبي العربي، وهو أمر عدلت عنه تماماً فيما بعد، ولكن المقال مع ذلك كان يعبر عن حنين كبير إلى شيء جديد مختلف في الأدب والثقافة والحياة. وما فعله سهيل إدريس معي، وأنا المجهول الذي لا يعرفه أحد، يمثل الموقف العام لسهيل إدريس. فقد كان رائداً في تجديد الحياة الأدبية العربية، وكان يبحث عن أجيال أدبية جديدة يحتضنها ويقدم لها العون، أي أنه كان يبحث عن بناء مستقبل أدبي عربي جديد، ولم يكن أدبياً تقليدياً يكرماً هو موجود ويدفع عن الواقع القائم. بل كان مكتشفاً وصاحب نظرة أصيلة تريد أن تضيق إلى الأدب العربي والمجتمع العربي أجيالاً جديدة. فهو من هذه الناحية صاحب ريادة وفضل لا ينساه أحد، لأنه فتح الأبواب الواسعة أمام تيارات أدبية جديدة تماماً، ولم تكن هذه التيارات تجد فرصة للتعبير عن نفسها، وفي اعتقادي أنه لولا سهيل إدريس لتأخر ظهور هذه التيارات الأدبية الجديدة لمدة لا تقل عن عشر سنوات أو عشرين سنة، مما كان سوف يضعف منها ويجعلها محدودة التأثير ويفقدها حيويتها وقيمتها الحقيقية. في سنة ١٩٥٨ صدر لي أول كتاب وهو، في أزمة الثقافة المصرية، وقد قام سهيل إدريس بنشره في إطار الأدباء التي يملكها، وكتب للكتاب مقدمة مهمة وجميلة جداً، وبذلك فأننا اعتبره صاحب الفضل الأول في تقديمي إلى الحياة الأدبية بدون تردد من جانبه. وكنت أيامها في الثالثة والعشرين من عمري. أي أنه أخذ بيدي وأنا في أول الطريق. وهذا ما فعله مع كثيرين غيري من أبناء جيلي ومنهم صلاح عبد الصبور وأحمد حجازي، وأبو المعاطي أبو النجا، وسليمان فياض، ومحي الدين محمد، وإبراهيم أصلان وغيرهم كثيرون.

هذا عن الجانب الشخصي، أما الجانب العام الذي يمثله سهيل إدريس فهو جانب آخر عظيم الأهمية. فسهيل إدريس هو الذي ساند حركة الشعر الجديد، التي كانت تعاني من الاختناق والحصار في الخمسينات من القرن الماضي، وحركة الشعر الجديد بكل تياراتها هي التي جددت الشعر العربي ودفعته إلى شرايينه بدماء قوية أعادت إليه النضارة والحيوية والشباب وهذا تأثير لسهيل إدريس من أكبر التأثيرات التي تركت على وجه أدبنا الحديث علامة أساسية.

أدب و نقد  
على أن هناك جانباً مهماً جداً، كان البطل فيه هو سهيل إدريس الذي

تبني فكرتين كبيرتين وهما «العروية» و«الالتزام». أما العروية فقد أخرجت جيلنا الأدبي من النطاق الإقليمي الضيق، وأصبحنا نشعر أننا نكتب ونقرأ ونتعامل كأفراد من أمة كبيرة واسعة هي الأمة العربية. وأنا واحد من الذين ترسخت مشاعرهم العروية بفضل سهيل إدريس، أي أنه هو الرائد الذي نقل أمثالي من الإحساس الإقليمي المحدود إلى الإحساس القومي الوطني الشامل.

أما فكرة «الالتزام في الأدب» فإن سهيل إدريس هو الذي قام ببناء هذه الفكرة وترسيخها في الثقافة العربية الحديثة. وأهمية هذه الفكرة الخطيرة أنها أتاحت للكثيرين من الأدباء أن يرتبطوا في مشاعرهم وإنتاجهم بمجتمعاتهم وما فيها من مشاكل، بدون أن يضطروهم ذلك إلى الارتباط بنظريات تميل إلى السياسة وتجور على الأدب مثل النظرية الماركسية، ولولا فكرة الالتزام لأصبحت النظرية الماركسية في الأدب هي السائدة. وأظن أن الماركسية الأدبية بسبب صرامتها الشديدة كانت من النظريات القاتلة للإبداع الأدبي الحر: وقد تخلص الكثيرون من هذه المصيدة بفضل فكرة الالتزام التي تبناها سهيل إدريس ودعا إليها بقوة وأصالة.

فالالتزام يربط الأدب بمجتمعه بدون أن يفرقه في السياسة وبدون أن يقتل فيه روح الإبداع الحر المستقل.

وانتقل من هذا كله لأحدث عن جانب آخر مهم في شخصية سهيل إدريس هو جانب كتاباته المختلفة، فقد أصدر سهيل إدريس مجموعات عديدة في القصة القصيرة، كما أن له ثلاث روايات مهمة نعلها تكون أهم روايات عربية صدرت في لبنان حتى الآن، وهي «الحى اللاتيني»، و«الخنزق الغميق»، و«أصابنا التي تحترق»، وهذه الروايات تكشف عن موهبة فنية عالية جدا عند سهيل إدريس. ولو أن سهيل إدريس تفرغ لكتابة الرواية فقط لحقق في هذا المجال قفزات عالية، لأنه كان في أعماله يجمع بين أصالته العربية وثقافته العصرية، وكان يعالج بعمق وجمال مشاكل مهمة يعاني منها المجتمع العربي المعاصر.

على أن النظر لسهيل إدريس كروائي فقط هو أمر خاطئ، فسهيل إدريس من طراز طه حسين، أي أنه كان دائما يجمع بين الكتابة والعمل وتبني الدعوات الجديدة والأفكار التي تدعو إلى النهضة والتقدم، ولذلك فإن قيمة سهيل إدريس تعود إلى التنوع فيه ككاتبه وناشره، وصاحب مجلة مهمة عمرها الآن يزيد على خمسين

سنة. وسهيل إدريس مهم جدا كصاحب دور كبير في اتحاد الأدباء العرب

أدب وثقافة





حيث كان يقف دائما في هذه المنظمة الثقافية إلى جانب الحرية ويدافع عن الاحرار، ولا يهدأ له بال إذا كان هناك أديب مضطهد أو كتاب مصاد، إلا ويعمل مجتهدا ومجاهدا في سبيل الدفاع الشجاع عن كل ما يستحق الدفاع عنه.

هذا هو، بعض، وليس، كل، سهيل إدريس، فلهذا الرجل الكبير دور هو عندي يشبه دور الزعماء المؤثرين في بلادهم والمؤسسين لمصور جديدة من الحرية والإبداع والفكر الذي يضيف إلى مجتمعه ويغيره إلى الأفضل، وليس الفكر الخامل النائم الذي لا يقدم ولا يؤخر. ولذلك فسهيل إدريس يستحق الكثير من الاهتمام والدراسة التفصيلية مني ومن غيري ممن يعرفون فضله ويقدرّون دوره العظيم ■

أدب وف

# الصديق الأثير

## د. ثروت عكاشة

ولما تماكنت نفسى وأخذت القلم لأكتب هذه الكلمة. وجدت الكلمات تفر منى والقلم يجمد فى يدى من فرط التأثر. ولم أجد مسعفا يعبر عما تجيش به نفسى من أسى غامر إلا العبارات الملتهبة والبكاء الشخين. وكيف لا أبكيه وقد كان. يرحمه الله. رقيق الحاشية. عذب النفس. حلوا الحديث... تجالسسه فتشعر بأنك حيال قديس يسمو بشمائله كثيرا عن مستوى البشر. ولعل سر هذا الشعور الذى يعتريك فى حضرة النقاش أنه كان إنسانا بمعنى الكلمة.. أحب الناس كثيرا فكان محبا للبشر. لم يكره أحدا على الإطلاق. حتى الذين تسببوا له فى بعض الأذى.

ولقد عرفته ميالا بطبيعته الى نصرته الحق وإنصاف المظلوم. مبادرا الى عون كل من يحتاج الى مساعدة. وإنى لأدين له بالكثير من مواقف الشجاعة التى سأظل أذكرها ما حييت. وإلى جانب هذا كله. فغنى عن البيان أن أؤكد مكانته ككاتب منور. وناقد قدير محايد. وصحفى ذى قلم وطنى صدوق... وأنا لا أقول هذا على طريقة أذكروا محاسن موتاكم. إذ ليست لرجاء مساوئ تخفى ومحاسن تذكر. وإنما هو رجل ذو سيرة عاطرة ستبقى مذكورة بالخير الى الأبد... كما أنه ليس من الراحلين. بل هو باق بيننا حتى يكتباته الجميلة الوسيمة وذكرياتنا الحلوة معه.

لقد رحلت عنا بجسدك يارجاء. ولكن ستبقى روحك الطاهرة السامية تحيا بيننا دوما... ولن يعزىنى عن فقدانك فى الدنيا إلا أننى قريب عهد بليقائك فى رحاب الله. حيث لا خوف بعد من رحيل آخر.

ماكدت أقرا  
خبر رحيل  
أخى الحبيب  
رجاء النقاش  
حتى أخذتني  
الصدمة  
وملكت على  
حواسي. إذ لم  
أكن لأحتمل  
الفجعة فى  
ذهاب هذا  
الصديق  
الأثير الذى  
أكننت له على  
الدوام كل  
عزاز وتقدير.

أدب وقد



## أقلام:

رجاء النقاش / أحمد عبد المعطى حجازى / محمد سماوى / فاروق جويده  
فاروق شوشة / عبدالعزيز المقالح / أبو بكر السقاف / محمود درويش  
مكرم محمد أحمد / محمد حافظ دياب / محمد حسين أبو العلا  
قاسم مسعد عليوة / رفعت السعيد / سناء البيسى / حسن توفيق / جورج جرداق  
فريدة النقاش / جابر عصفور / صلاح عيسى / ثروت عكاشة / صلاح فضل  
أمينة النقاش / شعبان يوسف / فرانسوا باسيلي / عيد عبد الحليم / ماجد يوسف  
عبد المنعم رمضان / طلعت الشايب / حسن طلب / سلامة أحمد سلامة / حلمى سالم.

